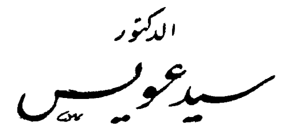
الخدمة الاجتماعية ودورها القيادى
فى
مجتمعنا الاشتراكى المعاصر

الدكتور



١٩٦٦



دار المعارف بمصر



« ان الكلمة الحرة ضوء كشاف أمام الديمقراطية السليمة »

الميثاق

الاهداء

الى استاذى الجليل . . .

الرائد المصرى الاول فى ميدان الخدمة الاجتماعية فى محيط المجرمين والاحداث الجانحين .. المغفور له .. الاستاذ فتح الله المرصفى ..

تحية لكفاحه الانسانى الشريف .. واعترافا له بالفضل والجميل . . .

سيد عويس

الاعتراف بالفضل لذويه

لا يسعنى وقد تم اعداد كتاب « الخدمة الإجتماعية ودورها القيادى فى مجتمعنا الاشتراكى المعاصر » إلا أن أتقدم بالشكر والتقـــدير إلى كل من يسر لى هذا العمل .. والا أن اعترف بالفضل لكل من عاوننى .. وتعاون معى . . مهما كانت صورة هذه المعاونة أو صورة هذا التعاون ..

وان أنس لا أنسى فضل السيدة الزا ثابت مديرة جمعية الخدمات الإجتماعية بحى بولاق التى لولا تشجيعها المتواصل ما خرج هذا الكتاب الى حيز الوجود ، والتى سمحت لى بالاطلاع على العديد من المراجع الأجنبية المتخصصة ، وتفضلت باتاحة الفرصة لى للاعتراف من فيض علمها الواسع وخبرتها المتعمقة المستمرة .. المتجـــددة .

ولن أنسى فضل الذين يسروا لى أو ساعدونى فى جمع مادة هذا الكتاب . . لا أنسى فضل الأستاذ ابراهيم المنوفى والدكتور محمد محمد شلبى والاستاذ محمد كامل البطريق والأستاذ أحمد السنهورى والاستاذ أنيس عبد الملك والدكتور محمـــد شمس الدين والدكتور عبد المنعم شوقى والأستـاذ عدلى سليمان والدكتور أحمد كمال والأستاذ عدلى سرجيوس الذين تفضلوا باهدائى مؤلفـــاتهم أو دراساتهم القيمة .. ولا فضل الأستاذ درويش المنزلاوى الذى جمع بعض المادة من محاضراتى فى مادة الخدمة الإجتماعية .. ولا فضل الأستاذ أحمد عويس والأستاذة تيسير عويس والأستاذ مسعد عويس الذين يسروا لى الاطلاع على بعض المؤلفات المتخصصة ..

وانى أذكر بالشكر الذين تفضـــلوا بالإسهام فى ترجمة بعض موضوعات

الكتاب من المراجع الاجنبية وأخص منهم بالذكر الزميلة الأستاذة الباحثة نجوى حافظ والزميل الأستاذ الباحث على عبد الرازق جلبي والزميلة الأستاذة الباحثة زينب رضوان .

وأذكر بالشكر والتقدير الاستاذ لطفى فطيم والاستاذ محفوظ عبد الرحمن على ما أدياه من خدمات جليلة تتعلق بهذا الكتاب .

وأذكر بالشكر الجزيل الاستاذ محمد شوقى ابراهيم الذى قام بعملية الكتابة على الآلة الكاتبة . .

وأخيرا وليس آخرا يسرنى أن أذكر بالشكر والتقـــدير السيدة حرمى والاستاذة آمال عويس والاستاذ سمير عويس الذين تفضلوا بتشجيعى فى أثناء كتابة هذا الكتاب ويسروا لى الظروف الملائمة للقيام بهذه العملية .

فلهم منى ، جميعا ، فائق شكرى وعظيم تقديرى . .

سيد عويس

محتويات الكتاب

الموضوعات | الصفحة

الموضوع | الصفحة

الموضوع | صفحة

الموضوع	صفحة
- المجالات تطبق فيها خطة التنمية الاجتماعية وخطة الوقاية الاجتماعية وخطة العلاج الاجتماعى	١٤٦
٤ - طريقة خدمة المجتمع ومجالاتها :	١٤٨
أولا - اهتمامات طريقة خدمة المجتمع :	١٤٩
- مفهوم المجتمع .	١٤٩
- المجتمعات أنواع .	١٥٠
- دور طريقة خدمة المجتمع فى مجتمعنا الاشتراكى الثورى	١٥١
- ملاحظات على الأشخاص والجماعات والمجتمعات .	١٥٣
- بعض تعريفات طريقة خدمة المجتمع ونقدها .	١٥٥
ثانيا - مبادىء طريقة خدمة المجتمع :	١٦٠
- مبادىء طريقة المجتمع تتضمن بالضرورة مبادىء طريقتى خدمة الفرد وخدمة الجماعة .	١٦١
- وعى المتخصص فى طريقة خدمة المجتمع ببعض الحاجات :	١٦١
- الحاجة إلى الوعى بقوى خدمة المجتمع .	١٦٢
- الحاجة إلى الاعتراف بالعنصر الانسانى .	١٦٢
- الحاجة إلى التدريب على المهارات العملية .	١٦٤
- أهداف العاملين فى مجالات طريقة خدمة المجتمع:	١٦٥
- كسب ثقة الجماهير .	١٦٦
- رفع روح المجتمع المحلى .	١٦٧
- المساعدة فى العمل التعاونى .	١٧٠

الموضوع | صفحة

الموضوع | صفحة

الموضوع	صفحة

الموضوع	صفحة

الموضوع	صفحة

الموضوع صفحة

الموضوع	صفحة



مقـــدمة

منذ خمسة وعشرين عاما أو يزيد . . تخرجت فى مدرسة الخدمة الاجتماعية بالقاهرة ، وعملت ، أول ماعملت ، فى مجتمعنا ، فى ميدان الأحداث الجانحين . . عملت كاخصائى اجتماعى يستخدم طريقة خدمة الجماعة أولا . . . ثم عملت ، ثانيا ، كاخصائى اجتماعى يستخدم طريقة خدمة الفرد . . ومنذ عام ١٩٥٦ أعمل كباحث اجتماعى فى ميدان البحوث الاجتماعية والجنائية حتى الآن . . .

وفى عام ١٩٤٧ أسهمت فى تأسيس « جمعية الخدمات الاجتماعية للاحياء الوطنية بحى بولاق » . . . وهى جمعية تعمل ، ومازالت ، فى الحقل الاجتماعى البولاقى وتستخدم طريقة خدمة المجتمع . . فضلا عن طريقتى خدمة الفرد والجماعة . .

وقد درست « نظام المراقبة الاجتماعية بالمحاكم » (The Probation System) فى المملكة المتحدة فى خلال المدة من فبراير ١٩٤٨ إلى سبتمبر ١٩٤٨ . . ومارست عمل ضابط المراقبة فى لندن وفى وولتش وفى كارديف . . وكنت أمارس استخدام طريقة خدمة الفرد ، فى هذه الفترة ، كما تمارس فى المجتمع الانجليزى . .

وقد اسهمت عن وعى فى بعض المشروعات الاجتماعية فى مستهل ثورتنا المجيدة منها مشروع « معونة الشتاء » ومشروع « قطار الرحمة » . . وغيرهما . .

وفى خلال المدة من أغسطس ١٩٥٣ حتى مايو ١٩٥٦ ، كنت أعيش فى مدينة بوستن بالولايات المتحدة الامريكية ، والتحقت طوال هذه المدة بمحلة « نورفلك » (Norfolk House Centre) بحى روكسبرى بالمدينة . وكنت

أعمل ، بعض الوقت ، أخصائيا اجتماعيا يستخدم طريقة خدمة الجماعة فى محيط الشباب الزنوج ، كما تمارس هذه الطريقة فى المجتمع الامريكى . والتحقت ، أيضا ، فى خـــلال شهور مايو ١٩٥٥ إلى يوليو ١٩٥٥ بمستشفى بوسطن السيكوباتى (Boston Psychopathic Hospital) . . وكنت أدرس وأطبق طريقة « العلاج الجماعى »(Group Therapy) فى خلال مدة التحاقى بهذا المستشفى .

وقد عاصرت الخدمة الاجتماعية باهدافها وأساليبها قبل انشاء أول معهـــد للخدمة الاجتماعيـة فى بلادنا . . كما عاصرتها بعد انشاء هـذا المعهد وغيره من المعاهد . . وقد لاحظت أن الخدمة الاجتماعية باهدافها وأساليبها . . فى مجتمع ما قبـل ثورة ١٩٥٢ ، يجب أن تـكون ، بالضرورة ، غيرها فى مجتمع ما بعـد الثورة . . فنحن الآن نعيش ، فى الواقع ، فى ثورة اجتماعية عارمة . ونحيا تجربة انسانية عظيمة . . وأصبحت الحاجـة ماسة إلى أدوار اجتماعية جـديدة يقوم أصحابها بدراسة نتائج هذه الثورة وفهمها وتوجيهها . . أى يقومون ، مستخدمين المنهج العلمى ، بمعالجتها . . أى أن الحاجة ماسة ، فى ظروفنا التاريخية الحاليـة ، إلى قادة اجتماعيين ثوريين . . قادة متخصصين بحـكم تدريبهم العلمى وخبراتهم الثقافية . . قادة ثوريين بحكم ظروفهم الاجتماعية وتنشئتهم الاجتماعية ومصالحهم الاجتماعية . . أى قادة تـكون صناعتهم الثورة الواعية التى تهدف إلى مواجهة نتائج الثورة الاجتماعيـة التى نعيشها فى الوقت الحاضر حينما تـكون هـذه النتائج وحيثما تـكون .

ولاحظت ، أيضـا ، ان الاخصائيين الاجتماعيين فى بلادنا ، كانوا ، على الرغم من قيادتهم الرجعيـة فى مجتمع ما قبل الثورة ، قاعدة ثورية واعيـة . . وهم يستطيعون ، اليوم ، وهم فى احضان ثورتنا الرشيدة ، وقد توحدت الأهداف

الثورية للقيادة والقاعدة ، أن يؤدوا رسالتهم الاجتماعية ، مع غيرهم من المتخصصين فى كل المجالات . . ولهم من خبراتهم ، وكلها خبرات ثورية ، ما يؤهلهم للقيام بدورهم الاجتماعى الايجابى لمواجهة نتائج الثورة الاجتماعية التى نعيشها فى الوقت الحاضر . . حينما تكون وحيثما تكون . .

وفى ضوء كل هذا . . أى فى ضوء الخبرات العملية السابقة والحالية ، فضلا عن الخـــبرات الاكاديمية التى اكتسبتها فى المجتمع المصرى العربى . . والمجتمع الانجليزى . . والمجتمع الامريكى . . وغيرها كالمجتمع اليوغسلافى . . والمجتمع الدانيماركى . . والمجتمع النرويجى . . والمجتمع السويدى ، وفى ضـوء الظروف التاريخية التى يواجهها مجتمعنا المعاصر . . قمت بتأليف الكتاب الحالى عن « الخدمة الاجتماعية ودورها القيادى فى مجتمعنا الاشتراكى المعاصر » .

ويتضمن هذا الكتاب ستة فصول هى :

١ - تربية الكادر الثورى .

٢ - مفهوم الخدمة الاجتماعية فى ظل الاتجاه الثورى التقدمى .

٣ - طرق الخدمة الاجتماعية المهنية ومجالاتها .

٤ - من التحديات التى تواجه مهنة الخدمة الاجتماعية .

٥ - أهم ميادين الخدمة الاجتماعية .

٦ - الخدمة الاجتماعية ودورها فى تكوين المواطن الصالح .

وانى إذ أقدم هذا الكتاب إلى طلبة معاهد الخدمة الاجتماعية وطالباتها فى مجتمعنا المعاصر . . وإلى غيرهم من الطلبة والطالبات المهتمين بهذا الموضوع . . أقدمه ، أيضا ، إلى أعضاء المجتمع كافة . . المتخصصون منهم وغير المتخصصين . .

بقصد التعريف بمهنة الخدمة الاجتماعية وبدورها القيادى فى مواجهـــة ثورتنا الاجتماعية الحالية . . ومحاولة تحقيق أهدافها . . ففى ميدان تحقيق هذه الأهداف الإنسانية متسع للجميع . .

والرجاء كل الرجاء أن أكون قد وفقت . .

١٩٦٦ سيد عويس

الفصل الأول

تربية الكادر الثورى

يتضمن هذا الفصل الموضوعين الآتيين :

١ - الحاجة الى قادة اجتماعيين ثوريين .

٢ - الاخصائيون الاجتماعيون فى الميزان .

١ ــ الحاجة إلى قادة اجتماعيين ثوريين ...

لا يكابر أحد ، فى داخل الجمهورية أو فى خارجها ، فى الانتصارات العظيمة التى حققها الشعب فى ميادين السياسة والصناعة والاقتصاد . لقد عرف الشعب طريقه السليم فى ضوء الأهداف الكبيرة التى اختارها لنفسه منذ ثورة ٢٣ يوليو ١٩٥٢ . وسار على الهدى ، وهو فى ثورة ، تحت لواء قيادته الحكيمة ، وعمل ، ومازال يعمل ، فى هذه الميادين مبرزا مظفرا على الرغم من الرواسب المعوقة الباقية من العهود البائدة ، وعلى الرغم من الظروف غير المواتية التى تخلقها قوى الاستعمار الشريرة من حين إلى حين .

ولا يكابر أحد [illegible] فى أن [illegible] تعنى فى الواقع ، الغاء أدوار اجتماعية قديمة أو تنحيتها، وخلق أدوار اجتماعية جديدة فى المجتمع . ولما كان هذا الالغاء وهذه التنحية وهذا الخلق قد تمت ، جميعها ، فى سرعة مذهلة فان المجتمع أصبح يواجه ، ولا يزال [illegible] ... أى أنه يواجه الظاهرة الاجتماعية التى يعبر عنها بظاهرة « التغير الاجتماعى » ... فى سرعة مذهلة كذلك .

ولا يكون التغير الاجتماعى فى المجتمع .. أى مجتمع، فى كل النواحى ، بنسبة واحدة . فالتغير الاجتماعى ، فى الواقع ، هو تغير فى التراث الاجتماعى للمجتمع بعناصره الثقافية المادية وغير المادية . وهو تغير يحدث ، عادة ، بنسب متفاوتة . فيلاحظ أن العناصر الثقافية المادية (الآلات ، ووسائل المواصلات ، والمبانى ، والأثاث ، والراديو ، والتليفزيون ، والتلغراف ، والتليفون ... الخ) ، فى

التراث الاجتماعى ، تتغير ، عادة ، بسرعة أكبر من العناصر الثقافية غير المادية (اللغة ، والعادات ، والاعراف ، والمعتقدات ، ... الخ .). أى أنه بينما تتطور العناصر الثقافية المادية فى مجتمعنا بخطى أوسع نجد أن العناصر الثقافية غير المادية فى تطورها تتخلف . وهذا ما يعبر عنه بظاهرة « التخلف الثقافى » .

ومن نتائج التخلف الثقافى الناشىء عن درجة تفاوت التغير أو التطور فى كل من العناصر الثقافية المادية وغير المادية ما يسبب ظاهرة أخرى يعبر عنها بظاهرة « التفكك الاجتماعى » . ومن مظاهر الظاهرة الأخيرة ما يبدو ، فى بعض الأحيان من علامات القلق والاضطراب فى العلاقات الاجتماعية بين أعضاء المجتمع ، أى الصراع بين القديم والجديد . ويبدو هذا واضحا بين أعضاء الأسرة الواحدة ، حيث أصبح لا توجد فى الأسرة أجيال زمنية فحسب بل أجيال ثقافية كذلك . وكذلك الصراع بين المجتمعات المحلية والجماعات ... التى تصبح ، فى ضوء ظروف التغير السريع فى المجتمع ، منعزلة ثقافيا ، وبين المجتمع الجديد والجماعات الأخرى فى المدينة وفى خارج المدينة على السواء .

ويتبلور الصراع عادة ، ويكون واضحا جليا بين القيم الاجتماعية القديمة المعوقة وبين القيم الجديدة التى تعكس ، بالضرورة ، صور الظروف الاجتماعية الجديدة . وما القيم الاجتماعية القديمة المعوقة الا رواسب بالية لا تزال تعمل فى نفوس الناس وتوجه سلوكهم عن طريق العادات والتقاليد وبتأثيرها . فالمعروف أن التقاليد وحتى الاتجاهات الفكرية والمعتقدات الدينية لست جزءا منفصلا عنا ولذلك يتمسك بها الناس على الرغم من تطور العناصر الثقافية المادية الأخرى .

ومهما يكن من الأمر فإن ظاهرة التغير الاجتماعى السريع ، فى مجتمعنا ، حقيقة لا ريب فيها . وأن ما يصاحب هذه الظاهرة يجب أن يعتبر أمورا عادية

ومسائل متوقعة . مهما كانت حدة التناقض أو الصراع بين المعايير الثقافية . ومهما تسلط ، فى المجتمع ، ضعف سلطان القواعد أو المعايير السلوكية فى بعض الاحيان. ومهما كانت الحاجة ماسة إلى تعاريف عامة متفق عليها لبعض المواقف الاجتماعية الجديدة . ومهما ظهر ما يعبر عنه بظاهرة « التخلف الثقافى » أو بظاهرة « العزلة الثقافية » ومهما صاحب كل ذلك من نتائج . أى أنه يجب أن لا يساورنا القلق أبدا .. فنحن ، أولا وقبل كل شىء ، نبنى مجتمعا جديدا هو المجتمع الاشتراكى الذى يسوده أو يجب أن يسوده التفكير العلمى والاتجاه العلمى فى معالجة كل الأمور .. ومن ثم يجب أن نحذر كل الحذر مما يقال من أن هذه النتائج ستذهب وحدها مع الزمن دون ما تدخل بل يجب أن نعالجها أى نوجهها فى ضوء الاهتمام بها ودراستها وفهمها ..

ونحن نرى ، إذ نعيش فى الواقع فى ثورة اجتماعية عارمة ، ونحيا تجربة انسانية عظيمة ، الحاجة ماسة الى أدوار اجتماعية جديدة يقوم أصحابها بدراسة نتائج هذه الثورة وفهمها وتوجيهها .. أى يقومون ، مستخدمين المنهج العلمى ، بمعالجتها .. أى أن الحاجة ماسة ، فى ظروفنا التاريخية الحالية ، الى قادة اجتماعيين ثوريين .. قادة متخصصين بحكم تدريبهم العلمى وخبراتهم الثقافية .. قادة ثوريين بحكم ظروفهم الاجتماعية وتنشئتهم الاجتماعية .. أى قادة تكون صناعتهم الثورة الواعية التى تهدف الى مواجهة نتائج الثورة الاجتماعية التى نعيشها فى الوقت الحاضر حينما تكون هذه النتائج وحيثما تكون : فى الأسرة ، وفى المدرسة ، وفى المؤسسة الدينية ، وفى النادى ، وفى المعسكر ، وفى المستشفى ، وفى المؤسسات العامة والخاصة ، وفى المجتمع المحلى ، وفى القرية ، وفى المدينة ، وفى ميادين أجهزة الاعلام العديدة... الخ أى مواجهة هذه النتائج بقصد القضاء عليها أو الحد منها أو بقصد إرساء معالم التنمية الاجتماعية

السليمة فى كل المجالات وفى محيط كل الفئات : الذكور والاناث ، الذين يسكنون الحضر منهم ، أو يعيشون فى الريف ، أو يحيون حياة البداوة ، سواء كانوا ينتمون الى أسر أو كانوا يعيشون فى المجتمع كأشخاص منعزلين .

ومجتمعنا ، ككل المجتمعات ، لم يخل قط ، فى الماضى أو فى الحاضر ، من قادة اجتماعيين . وقد ألغت ثورتنا المباركة أدواراً اجتماعية قيادية قديمة (الأحزاب) كما نحت غيرها (الاقطاعيين والرأسماليين) . وقد خلقت الظروف الاجتماعية الجديدة عن وعى ، ادوارا إجتماعية قيادية جديدة (الحكم المحلى والاتحاد الاشتراكى) .

ومما هو جدير بالذكر أن نجد أن الثورة الواعية قد استبقت مع من استبقت ، بعض الأدوار الإجتماعية القيادية التقليدية (رجل الدين والمدرس وضابط الشرطة الخ) . ومن هذه الأدوار أيضا ، بعض الأدوار القيادية القديمة التى كانت ، فى الواقع ، تمثل الطلائع الثورية ، فى الحقل الإجتماعى ، فى عهود ما قبل الثورة ونذكر من هؤلاء ، على وجه الخصوص ، الاخصائيين الإجتماعيين .

وسنتحدث ، فيما يلى ، عن الآخيرين ، وندعو ، ملحين ومخلصين ، المتخصصين فى الحقـــل الإجتماعى والتربوى ، فضلا عن قادة الرأى والفكر فى البلاد ، إلى التحدث عن الفئات القيادية الأخرى . . حتى نعرف ما لهم وما عليهم ، ونأخذ بيدهم ونيسر لهم طريقهم ، ونعترف بهم ؟

إن الثورة الإجتماعية التى نحياها ثورة عارمة ، وهى فى الوقت نفسه تجربة إنسانية عظيمة ، وفى ميدان تحقيق أهدافها الإنسانية متسع للجميع .

٢ - الاخصائيون الاجتماعيون فى الميزان

على الرغم من الحاجة التى كانت ملحة إلى إنشاء معاهد الخدمة الإجتماعية فى مجتمع ما قبل الثورة ، فقد أنشىء أول معهد فى عام ١٩٢٧ فقط . ذلك لأن قوى الاستعمار والرجعية والاقطاع قد وقفت ، جميعهـــا ، حجر عثرة فى سبيل ذلك .

ولعل القلق الذى كان يستحوذ على قوى المجتمع الخلاقة ، ولعل وطأة الحاجة الى ايجاد بعض الحلول فى سبيل مواجهة المشاكل الاجتماعية الصارخة فى مجتمع ما قبل الثورة ، فضلا عن توقيع معاهدة عام ١٩٣٦ - لعل كل ذلك قد أرغم قوى الإستعمار والرجعية والاقطاع على تعديل موقفها العنيد. فبادرت ، مضطرة ، تدعو إلى إدخال مهنة الخدمة الاجتماعية لأول مرة فى برامجنا الدراسية .

وتكون أول جهاز للاشراف على تدريس مهنة الخدمة الاجتماعية فى مجتمعنا فى عام ١٩٣٧ ، بقصد اعداد قادة إجتماعيين من المصريين أنفسهم . وكان جهازاً غريبا ، يضم أغلبية من مؤيدى الاستعمار وممثلى الاقطاع والرجعية من الوزراء والمستوزرين فى عهد ما قبل الثورة (١) . . وكان لسان حالهم يقول فى صراحة مزرية ، « إن قوى الشعب الخلاقة قد استنفذت كلها فى ميدان السياسة أما وقد حصلنا على الاستقلال ! فقد آن لنا أن نوجه هذه القوى نحو القضاء على مشاكلنا الاجتماعية »

---

(١) كان رئيس هذا الجهاز على ماهر الذى عارض قانون تحديد الملكية الزراعية الأولى عام ١٩٥٢ عندما كان رئيسا للوزراء .

بدأ هذا الجهاز ، بتشكيله الغريب ، وقد ضم أعضاء يجمعون ، على الرغم مما يبدو من تنافرهم ، على هدف موحد . هو ، فى الواقع ، محاولة التغرير ببلدنا الطيب .

أى أن المؤرخ الصادق لمهنة الخدمة الاجتماعية فى بلادنا يجد ، أول ما يجد ، أن قيادتها الأولى كانت قيادة رجعية ، تهدف الى الحلول المبسطة ، لا الجذرية ، للمشاكل الاجتماعية العديدة التى اضطرتها ، مرغمة ، الى مواجهتها .

واذا كانت القيادة الرجعية لمهنة الخدمة الاجتماعية فى مستهل وجودها فى مجتمعنا قد قدرت أمورا ... فان مهنة الخدمة الاجتماعية ، وهى مهنة انسانية أولا وقبل كل شيء ، قد حققت أهدافها فى العاملين فى ميدانها وفى مجالات تطبيق أعمالهم ، سواء كان ذلك فى القرية أو فى المصنع ، فى المدرسة أو فى النادى ، مع البالغين أو الاحداث ، مع الاشخاص الاسوياء أو غير الاسوياء . أى سواء كانت هذه المجالات تطبق أساليب التنمية الاجتماعية أو أساليب الوقايه أو الاساليب العلاجية .

والنظرة نحو العاملين فى ميدان الخدمة الاجتماعية منذ أن تخرج أول دفعة منهم حتى الآن نجدهم من أبناء وبنات الشعب الطيبين ...معظمهم، إن لم يكن كلهم ، من أبناء الطبقة المتوسطة الدنيا . أى أنهم بحكم ظروفهم الاجتماعية وظروف تنشئتهم الاجتماعية ومصالحهم الاجتماعية ، أشخاص ثوريون .

وما أن أتيحت لهم فرص الدراسة العلمية التى تؤهلهم ليكونوا قادة اجتماعيين حتى بادروا الى تنفيذ خطط التغيير إلى الافضل، ومواجهة الادوار الاجتماعية الراسخة فى

مجتمع ما قبل الثورة ، فى ايمان وشرف ، فانتشرا فى الأرض الطيبة ، يعملون مع قرنائهم وأهليهم وذويهم من العمال والفلاحين وأعضاء الطبقة المتوسطة الدنيا .

وعلى الرغم من القيادة الرجعية وأهدافها المسكنة ، كان الاخصائيون الاجتماعيون يؤدون أدوارهم الاجتماعية الجديدة . فواجهوا الادوار الاجتماعية القديمة وحدهم ، وصارعوها وصرعوها ، ونحوا ، بايمان ، أدوارا اجتماعية بالية . . وكانوا الطلائع الثورية ، فى الحقل الاجتماعى فى كل مكان يعملون فيه .

قام الاخصائيون الاجتماعيون بأول دراسة اجتماعية علميـــة لمشكلة الفقر فى مجتمعنا فى عام ١٩٣٩ ، وذهبوا إلى القرى فى عام ١٩٣٩ ، أيضـا ، يعيشون تجارب حية فى قرى المنايل وشطانوف والعجايزة . . واقتحموا مجال الأحداث الجانحين فى عام ١٩٣٨ ، فأنشأوا أول مؤسسة تربوية لهم ، وفرضوا أنفسهم على مجال محاكمة الأحـداث فى عام ١٩٤٠ ، وأنشأوا الاندية الشعبية منـذ عام ١٩٤٠ . . وانتشروا فى المصانع ومارسوا القيادة الاجتماعية لابنائنا فى المدارس منذ عام ١٩٤٩ .

أى أن الاخصائيين الاجتماعيين ، كانوا ، على الرغم من قيادتهم الرجيعية فى مجتمع ما قبل الثورة ، قاعدة ثورية واعية .

وهم ، اليوم ، فى أحضان ثورتنا الرشيدة ، وقد توحدت الأهداف الثورية للقيادة والقاعدة ، يؤدون رسالتهم الاجتماعيـة ، مع غيرهم من المتخصصين ، فى كل المجالات . ولهم من خبراتهم ...وكلها خبرات ثورية ، ما يؤهلهم للقيام بدورهم الاجتماعى الايجابى لمواجهة نتائج الثورة الاجتماعية التى نعيشها فى الوقت الحاضر حينما تكون هذه النتائج وحيثما تكون : فى الأسرة ، وفى المدرسة ، وفى المؤسسة الدينية ، وفى النادى ، وفى المعسكر ، وفى المستشفى ، وفى المؤسسات العقابية

وفى المؤسسات الانتاجية ، وفى المجتمع المحلى ، وفى القرية ، وفى المدينة ، وفى ميادين أجهزة الاعلام العديدة .. الخ ، أى مواجهة هذه النتائج بقصد القضاء عليها أو الحد منها ، أو بقصد ارساء معالم التنمية الاجتماعية السليمة فى كل المجالات وفى محيط كل الفئات .. الاشخاص والجماعات والتنظيمات الجماهيرية ..

والاخصائيون الاجتماعيون ، كأشخاص ثوريين يؤدون أدوارا قيادية فى الحقل الاجتماعى فى مجتمعنا ، فى مسيس الحاجة إلى رعاية الدولة لهم كمواطنين عاديين ، وكمهنيين عاملين ..

ومطالب الاخصائيين الاجتماعيين قليلة .. وهى تنحصر فى التشجيع المعنوى والمادى .. وذلك بالتعرف على ما لهم وما عليهم وتيسير الطريق أمامهم .. فضلا عن الاهتمام بمستواهم العلمى حتى يتمكنوا من النهوض بمسئولياتهم بكفاءة . لأن انخفاض المستوى المهنى للاخصائى الاجتماعى يعتبر خسارة عامة يدفع ثمنها المجتمع ويتحملها المواطنون ، خصوصا ، فى الظروف التاريخية التى يمر بها مجتمعنا فى الوقت الحاضر . والنهوض بمستوى الاخصائيين الاجتماعيين العلمى يعنى فى رأينا ، اتاحة الفرصة للمتفوقين فى دراساتهم بعد البكالوريوس ، فى الاستزادة من التخصص والدراسة العليا فى الخدمة الاجتماعية . فنحن ، فى الواقع ، فى أشد الحاجة إلى متخصصين اجتماعيين يمكنهم النهوض بالمجتمع والتقدم به سريعا لتحقيق الأهداف الاجتماعية العليا فى ضوء الميثاق الوطنى ..

الفصل الثانى

مفهوم مهنة الخدمة الاجتماعية فى ظل الاتجاه الثورى التقدمى

يتضمن هذا الفصل الموضوعات الآتية :

١ - العلم والمجتمع .

٢ - أضواء على مهنة الخدمة الاجتماعية .

٣ - مفهوم مهنة الخدمة الاجتماعية .

٤ - مهنة الخدمة الاجتماعية بين الاحتراف والتطوع .

١ - العلم والمجتمع

منذ قيام الثورة فى يوم ٢٣ يوليو عام ١٩٥٢ ، والدولة الفتية تعمل جاهدة فى سبيل التطبيق العلمى ، وبوصفها قاعدة الانطلاق والتحرر العربى تنشر العلم وآثاره ، عن طريق دور العلم المتعددة المستويات ، فضلا عن المؤسسات العلمية المهتمة بالبحوث فى ميادين العلوم المادية والانسانية (١).

ويعتبر العلم نهرا من أنهار المعرفة الانسانية ، ومصدرا من مصادرها العظيمة ، مثله فى ذلك مثل الدين والفن والفلسفة . ولكن العلم ليس فقط سجلا للآراء ، ولكنه سجل لما تعين هذه الآراء الانسان على ما يقوم به وهو يواجه ظواهر الطبيعة أو ظواهر المجتمع ، مواجهة موضوعية . وهو ، إذ يفعل ذلك يكون ، دائما ، مهتديا بالشعار القائل « لا شىء يأتى من لا شىء » .

ومنهج العلم هو السعى الى التعرف على القوانين التى تحكم هذه الظواهر أى السعى الى الاجابة على السؤالين كيف ؟ ولماذا ؟ أى التعرف على العوامل التى من وراء وجود هذه الظواهر وعلى القوانين التى تحكمها . مع ملاحظة أن العلم لا يبحث أبدا ، ولا يهمه أن يبحث أبدا. عن الإجابة على السؤال لماذا؟ على وجه الاطلاق. كما يلاحظ أيضا أن وجود أية ظاهرة متوقف على عوامل متعددة وديناميه .

ويعنى العلم ، فى بساطة ، دراسة الظواهر المادية أو الانسانية دراسة واقعية ؛

---

(١) كالمركز القومى للبحوث الاجتماعية والجنائية والمركز القومى للبحوث ومؤسسة الطاقة الذرية وغيرها ... فضلا عن كليات الجامعات العديدة ...

أى القيام بدراسة العلاقات بين الأشياء وقوانين حركتها الداخلية ، فى ضوء الطبيعة والمجتمع، وليس فى ضوء بعض المبادىء المنطقية والعمليات العقلية فحسب.

كما يعنى المنهج العلمى ، فى بساطة ، استخدام المنهج الاستقرائى ، أى الانتقال من الجزئيات إلى الكليات .

وقد نجـــد ، فى بعض الاحيان ، أن بعض الناس يخشون العلم ، ويظنون بالعلماء الظنون . فالذين عانوا من ويلات الحروب ، من القنبلة الذرية مثلا ، يودون لو أتيحت لهم الفرصة فيفترسوا العلماء الذين اخترعوها . وحتى فى وقت السلم ، نجد أن صرعى حوادث السيارات أكثر ، فى بعض الاحيان ، من القتلى بسبب جرائم القتل العمد مـــع سبق الاصرار والترصد . ولا يمكن أن نتوقع واحدة من الأمهات التى قتل ولدها تحت عجلات إحدى السيارات التى يقودها أحد هواة جنون السرعة ، أن تكون فى عداد المعجبات بالسيارة أو بمن اخترعها . وحتى بعض رجال الدين ، نجدهم ، لسبب أو لآخر ، يعتبرون العلم خطرا شديدا على الانسانية [1] .

ولكن يلاحظ أن التطبيق العلمى لاينتج شرا دائما . ومن ثم فمن العدل أن نسجل للعلم آثاره ومآثره . ولن نستطيع أن نفعل ذلك ، لأن السجل حافل ، ويكفى أن نذكر ما لاحظه فرانسيس بيكون منذ نحو أربعة قرون ، إذ يقول :

---

(١) جون لويس . مدخل الفلسفة ـ ترجمة أنور عبد الملك ، القاهرة ، الـــدار المصرية للكتب ، ١٩٥٧ ، صفحة ٣

أنظر أيضـــا

— J.B.S. Haldane, "What Is Life?", London. 1949, pp. 133-134

« من الخير أن نلاحظ مدى قوة الاكتشافات وتأثيرها ونتائجها . ويبدو »
« هذا جليا فى ثلاثة أمور لم يعرفها الأقدمون . ولئن كان أصلها حديثا »
« فانه يبدو غامضا . وهذه الأمور هى : الطباعة والبارود والمغناطيس »
« (البوصلة) . إن هذه الأمور قد غيرت وجه الأشياء وأحوالها فى كل »
« مكان فى العالم . وكان تأثير الأمر الاول فى المؤلفات ، وتأثير الأمر »
« الثانى فى الحروب ، أما تأثير الأمر الثالث فقد كان فى الملاحة . ومن ثم »
« حدثت تغييرات لا تعد ولا تستقصى . حتى إنه لم تكن قوة أية »
« امبراطورية ، ولا طائفة أو مذهب ، ولا إمكانية تأثير النجوم ، ولم »
« يكن تأثير كل أولئك كذلك ، فى الشئون الانسانية ، يبدوان أعظم »
« من قوة هذه المخترعات الميكانيكية وتأثيرها » (٢).

كما نكتفى بما يلاحظه أى شخص عادى من تأثير البخار ، وتأثير الكهرباء ، فضلا عن تأثير الذرة ، على الطبيعة ، وعلى شئون الناس فى كل بقعة من البقاع فى وقتنا الحاضر ، وما يرجى من تأثير كل ذلك فى المستقبل ... مستقبل الطبيعة ومستقبل الناس .

ونلاحظ أنه إذا كان العلم يدمر العدو ، فانه يحمى أيضا من يقاتل هذا العدو ، وليس ، بالضرورة ، أن يكون هذا العدو الانسان فحسب ، فقد يكون ميكروبا أو أثرا من آثار الطبيعة العاتية . وإذا كان العلم يستخدم فى وقت الحرب كسلاح رهيب فتاك ، فان بعض آثاره التى وصل اليها العلماء فى أثناء الحرب

(٢) Benjamin Farrington, "Francis Bacon: Philosopher of Industrial Science", London, Lawrence & Wishart Ltd. 1951, p. 6.

تنقذ الأرواح فى وقت السلام . وإذا كان معظم العلماء فى المجتمع الرأسمـــالى يكدحون فى سبيل حفنة من الناس ، يملؤن جيوبهم بالأرباح الوفيرة ، فان كل العلماء فى المجتمع الاشتراكى يعملون مخلصين فى سبيل كل الناس . فبالعلم يوضع الأساس الاشتراكى الإقتصادى والثقافى ، لتزدهر فضائل الانسان . وروحانية الانسان ، لأن الإشتراكية ، تؤمن بأن الجائع أو الجاهل أو العاطل أو القلق على رزق يومه أو رزق غده ، ان يستطيع أن يفكر ويتأمل ويعبد الله ، عن رضا وإيمان ، لاعن خوف أو عن ذل وحاجة » .

ويجب أن نلاحظ أن الطريق ليس دائما معبدا ميسرا ، فالعقبات فى الطريق قائمة باستمرار . ولكن النتائج الإيجابية تكون دائما من نصيب الذين يظاهرون العلم . فالعلم يعمل ، إذ يعمل ، وكأنه فى ميدان قتال يواجه خط النار . وعلى طول هذا الخط يهاجم العلم ، فى صبر والحاح ، مستخدما كل القواعد الخاصة بفنون الحرب . وفى زماننا الحالى لا يتقهقر العلم بصفة عامة ، بل على العكس نجد أن الجبهة العلمية تتقدم بثبات ، على الرغم من أن هذا التقدم لا يكون ، كما يحدث تماما فى الحرب الحقيقية ، متعادلا . وفضلا عن ذلك نجد أن النجاح عند قطاع معين من الجبهة العلمية يساعد القطاعات المجاورة ، وربما يساعد، القطاعات البعيدة الأخرى ، على التقدم[1]. ويبدو معدل تقدم الانسان فى ميدان العلم ، جليا ، إذا عرفنا أن الانسان قد تمكن ، بعد فترة من الزمان تبلغ نحو ٥٠٠ سنة ، من اختراع الطباعة والبارود والبوصلة ، وقد تمكن ، منذ ذلك الحين ، من اختراع

M. Vasilyev & S. Gushchev, "Report From the Twenty (I) First Century", Foreign Languages Publishing House, Moscow, p. 66.

الطائرة بعد مرور فترة لا تزيد على ٥٠٠ سنة ، وأصبح فى مقدوره تحطيم الذرة بعد مرور فترة تبلغ نحو عشرين سنة منذ اختراع الطائرة .

ويجب أن نلاحظ ، أيضا ، ونحن فى مستهل إستخدام المنهج العلمى فى دراسة الظواهر المادية والظواهر الانسانية فى مجتمعنا الحالى ، وذلك توطئة لتحقيق الهدف الأكبر لنا فى هذه الحقبة من التاريخ ، وهو ، أولا وقبل كل شىء ، التخطيط العلمى لمجتمعنا الإشتراكى - بعض الأمور ، أهمها :

١ - أن نحرص على اختيار الباحثين العلميين ، أيا كانت مجالات بحثهم، اختيارا علميا دقيقا . وأن نحرص على تدريبهم ، نظريا وعلميا ، التدريب الكافى السليم .

٢ - أن نحرص على كرامة البحث العلمى ، وذلك بالإيمان بالتخصص فيه . أى اعتبار القيام به مهنة لها مجالاتها المتخصصة .

٣ - أن نحرص على إرساء التقاليد الصالحة التى تيسر إزدهار مهنة البحث العلمى فى مجتمعنا ، على أسس رشيدة .

٤ - أن يحرص المسئولون عن البحث العلمى على أن لا يحتموا بسلطان العلم على حساب كرامة الانسان ، وعلى حساب المصالح الحقيقية للانسان .

٥ - أن نحرص من الادعياء، مهما كان لونهم ومهما كانت مكانتهم الإجتماعية . وذلك بقفو أثرهم ، فى كل وقت ، وفى كل مكان . وبالكشف عنهم أولا بأول . حقا أن الزمن ، وحده ، كفيل بابراز الغث من الثمين من الاعمال . ولكننا ، ونحن نبنى المجتمع الجديد ، نسابق الزمن ، وفى مسيس الحاجة إلى كل جهد ثمين .

ولما كنا من المؤيدين لإستخدام الاسلوب العلمى فى تناول الأمور كلها ، أى أننا نرى ، فى ضوء النظرة الاشتراكية ، وحدة العلوم المادية والانسانية ،

فانه يجب أن يستند تناول أية ظاهرة، مادية كانت أو إنسانية، الى أسس المنهج العلمى؛ ذلك أن الهروب من التفسير العلمى لظواهر مجتمعنا ومشكلاته لا يزيد الأمور إلا تعقيدا . وأن فرض اتجاهات غير علمية على تناول قضايا المجتمع ان يقضى على العلم بقدر ما يعوق التقدم الإجتماعى الذى نبغيه .

وتناول أية ظاهرة بالدراسة العلمية لا يعنى سوى فهمها ، حتى يمكن التسلط عليها ، ومن ثم محاولة القضاء عليها أو توجيهها ، فالمجتمع الإشتراكى مجتمع بناء . يواجه مشكلاته دائما بالوسائل العلمية بغرض تغيير الواقع جذريا لتحقيق حياة أفضل . أى أن المجتمع الإشتراكى يؤكد أن العلم للمجتمع .. أى أنه يؤكد عدم إنفصال النظرية العلمية والتطبيق العلمى لها .. فلا توجد نظرية علمية دون تطبيق علمى كما لا يوجد تطبيق علمى دون نظرية علمية ..

ولعل خير مثال على ذلك نجـــده واضحا فى مهنة الخدمة الاجتماعية . فهى تواجه مشكلات المجتمع ومسائله دائما بغرض التغيير الى ما هو أفضل .. وهى وإن بدا الجانب التطبيقى فيها واضحا جليا ، فانه تطبيق علمى .. وهى ترتكز ، أولا وقبل كل شىء ، على نتائج البحوث العلمية والدراسات العلمية فى ميادين العلوم الانسانية وبعض العلوم المادية .. ، وهى فضلا عن ذلك ، إذ تقوم بعمليات التطبيق العلمى لهذه النتائج قـــد تيسر تعديل ما فيها من نظريات .. أو تيسر إثراءها .. أو إبراز نظريات أخرى جديدة .

٢ - أضواء على مهنة الخدمة الاجتماعية

بعد أن تحدثنا عن الإخصائيين الإجتماعيين ، كقادة اجتماعيين متخصصين ثوريين ، في مجتمعنا ، في ضوء الظروف التاريخية التي خلقت وجودهم (١) ، نجد لزاما علينا أن نلقي بعض الأضواء على المهنة التي يمارسونها ... مهنة الخدمة الإجتماعية .

والمعلومات التالية مستقاة من تقرير هيئة الأمم المتحدة عن إعداد الاخصائيين الإجتماعيين ، البحث الثالث عام ١٩٥٨ ، وتتلخص فيما يلي :

١ - تختلف مستويات معاهد الخدمة الاجتماعية من ناحية المستوى العلمي للطلاب ومدة الدراسة ، فهي تتراوح ما بين عام وعامين بعد الحصول على البكالوريوس أو الليسانس ، وما بين دراسة تدريبية قصيرة لمدة عامين بعد الثانوية العامة . والسائد الآن ، في دول كثيرة ، هو دراسة لمدة أربع سنوات أو خمس سنوات بعد الثانوية العامة ، يعقبها دراسات تخصصية عالية . وتنظم بعض الدول دراسات في جامعاتها لمنح درجة الماجستير أو الدكتوراه في الخدمة الاجتماعية .

٢ - إن أهداف مهنة الخدمة الاجتماعية واتجاهاتها تنبثق ، دائما ، من احتياجات المجتمعات . المتقدمة منها أو النامية .

---

(١) أنظر الفصل الأول : صفحات ٧١ - ٩٤

وتهتم الخدمة الاجتماعية ، أول ما تهتم ، بتنمية المواطن الصالح فى المجتمع على أسس علمية . فهى ترعاه منذ أن يولد ، بل قبل أن يولد ، حتى يصبح صبيا ، ثم شابا ، ثم كهلا ، ثم شيخا .

فتراها تهدف ، فى بعض المجتمعات ، إلى مساعدة المحتاجين وذوى المشكلات . كما تعد دارسيها إعدادا مناسباً للميادين التطبيقية فى مؤسسة اجتماعية خاصة بحيث يمكنهم أداء خدماتها وتنفيذ برامجها العلاجية والوقائية على حد سواء .

ولا تقتصر مهنة الخدمة الاجتماعية على ذلك ، بل تهتم ، فى الكثير من الأحيان بمقابلة الاحتياجات المتطورة للخدمات المختلفة بحيث تصبح نظاما اجتماعيا يخدم الأنظمة الاجتماعية الأخرى فتشترك فى التخطيط العام للمجتمع وفى تشكيل السياسة الاجتماعية . وتتجه ، فى برامجها ، نحو النهوض والتقدم بالمجتمع وأفراده مستخدمة فى ذلك وسائل إنشائية وإنمائية ووقائية وعلاجية .

٣ ـ وسواء اتجهت الخدمة الاجتماعية نحو علاج المشكلات أو انطلقت فى جميع الميادين الانشائية أو الانمائية الوقائية والعلاجية ، فإن هناك اتفاقا على أن عمليات الخدمة الاجتماعية تنحصر فى النواحى التالية :

ـ إعادة توزيع الطاقات داخل الجهاز الاجتماعى الواحد (الشخص الفرد ـ الجماعة ـ المجتمع المحلى ـ المجتمع الكبير) .

ـ تحويل بعض الطاقات « المنحرفة » الى طريقها الايجابى السليم .

ـ تصحيح وسائل الاتصال بين أجزاء الجهاز الواحد .

ـ ايجاد طاقات أو مجالات جديدة أو تنمية الموجود منها .

- تأكيد كرامة الانسان ، وأهميته ، وقدراته كشخص أو فى جماعة أو فى المجتمع على النهوض بنفسه والتغلب على مشكلاته .

- ضرورة استخـــدام الأسلوب الديموقراطى وتطبيق المنهج العلمى فى أداء كل الخدمات .

٤ - وتتضمن مناهج مهنة الخدمة الاجتماعية مواد تأسيسية ومواد مهنية ، ثم التدريب العملى .

وتشمل المواد التأسيسية دراسة الانسان ودراسة المجتمع . فهى تتضمن دراسة نمـو الانسان النفسى واحتياجاته فى مراحل نموه ، والاختلاف بين النمو العـادى والنمو غير العادى ، والمشكلات النفسية والاجتماعية والانحراف بصوره المتعددة: الانحراف الخلق ومشكلات إدمان المخدرات والكحول والامراض العصابيـة والذهنية . الخ. وهى تتضمن، أيضا، إيضاح أثر البيئة على النمو وكيفية تكوين انماط الحياة التى تميز الجماعات وتشكل ثقافات أعضائها وتحدد أغلب استجاباتهم الانفعالية. فضلا عن المشكلات والمسائل الاجتماعية والاقتصادية والقانونية ووسائل التخطيط وعملياتها والنظام الحكومى والدين والتاريخ . . الخ .

وتشمل المواد المهنية مهنة الخدمة الاجتماعية من حيث مكانها فى المجتمع وتطورها ودورها واتجاهاتها ومستقبلها ، ثم فلسفتها ومحتوياتها الاساسية واتجاهاتها وارتباطها بالقيم والنظم الاجتماعية . كما تشمل أيضا طرق الخدمة الاجتماعية ومبادئها ونظرياتها وقواعدها وأهميتها وتطورها ، ودراسة بعض الحالات التطبيقية المناسبة للاحاطة بأهم مواقف الخدمة الاجتماعية مع الاشخاص ومع الجماعات ومع المجتمعات . . فضلا عن بعض التطبيقات من علوم الإدارة والسياسة والبحوث والتخطيط فى ميادين الخدمة الاجتماعية .

ويكون التدريب العملى مركزا على الطرق المهنية ، مستخدما مواقف تطبيقية من المواد التأسيسية . ويتناول التدريب ، عادة ، ما يلى :

- تدريب ميدانى على طريقة خدمة الفرد .
- تدريب ميدانى على طريقة خدمة الجماعة .
- تدريب ميدانى على طريقة خدمة المجتمع .
- تدريب ميدانى على أعمال الادارة والسياسة والتخطيط والبحوث .
- تدريب ميدانى على البرامج الانشائية والانمائية والعلاجية فى ميدان الرعاية الاجتماعية .

وفى ضوء كل ماسبق نجد أن مهنة الخدمة الاجتماعية كانت ولاتزال ، فى ضوء الظروف التاريخية التى يمر بها مجتمعنا فى الوقت الحاضر ، تؤدى دورها القيادى فى الحقل الاجتماعى .

فهى تعد طلاب معاهد الخدمة الاجتماعية ليكونوا اخصائيين اجتماعيين يعملون مع الاشخاص والجماعات والتنظيمات الجماهيرية بما يتفق واحتياجات المجتمع ، بحيث يكونون معدين فكريا ومهنيا ومؤهلين شخصيا لهذه المهام . (١)

وهى ، بذلك ، تستطيع ، بالتعاون مع الادوار الاجتماعية القيادية الاخرى فى المجتمع ، ان تواجه نتائج الثورة الاجتماعية التى نعيشها فى الوقت الحاضر حينما تكون هذه النتائج وحيثما تكون ...

---

(١) يحق لنا أن نذكر بالفخر والأعتزاز وجود ثلاثة معاهد للخدمة الاجتماعيه فى بلادنا يقوم بالعمادة فيها مصريون عرب منهم اثنان من خريجى معاهد الخدمة الاجتماعية هما الزميلان العميد الدكتور بدراوى محمد فهمى والعميد الاستاذ محمود فهمى ...

٣ - مفهوم مهنة الخدمة الاجتماعية

إذا سلمنا ، فى ضوء مضمون الموضوع السابق ، بأن مهنة الخدمة الاجتماعية مهنة ذات أهداف واتجاهات معينة ، وتستخدم طرق مهنية معينة (أساليب علمية) Technique . فانه يلاحظ أن هذه الأهداف والاتجاهات . . وأن هذه الطرق تتغير من مجتمع إلى آخر . . ومن وقت إلى آخر فى المجتمع الواحد . أى أن أهداف مهنة الخدمة الاجتماعية واتجاهاتها وطرقها فى المجتمع الاقطاعى ، مثلا ، تختلف ، بالضرورة ، عنها فى المجتمع الرأسمالى . . وأن أهداف مهنة الخدمة الاجتماعية واتجاهاتها وطرقها فى المجتمع المصرى العربى قبل ثورة يوليو ١٩٥٢ ، تختلف عنها فى مجتمع ما بعد الثورة . . وهكذا . .

وإذا حاولنا التعرف على أهداف مهنة الخدمة الاجتماعية واتجاهاتها فى ضوء تطور مجتمعنا فاننا نجد أن بعضها كان موجودا منذ القدم . . ولكنه كان محدودا . فما لا شك فيه أن بعض أهداف مهنة الخدمة الاجتماعية قد ورد فى جميع الديانات والعقائد التى اعتنقها المصريون على مر العصور . . ونادى به المصلحون الاجتماعيون المصريون على مر الزمان . . وقد استمرت هذه الأهداف وهذه الاتجاهات استمرار مجتمعنا القديم قدم الدهر . . المستمر استمرار الحيـــاة . أما أساليب تحقيق هذه الأهداف فقد كانت فى معظم الأحيان غير علمية . أى أن مهنـــة الخدمة الاجتماعية بأساليبها العلمية الحديثة . . فى مجتمعنا . . حديثة نسبيا . . مثلها فى ذلك مثل الأساليب العلمية فى ميادين العلوم المادية والانسانية الأخرى .

وكان أول خبرة بمهنة الخدمة الاجتماعية بطرقها المهنية الحديثة ، فى بلادنا ،

خبرة أجنبية (١) . وقد دعمت هذه الخبرة ، فى أول الأمر ، عندما عاد المتخصصون المصريون من بعثاتهم من الخارج . وانتهى الأمر الى وجود محاولات جديدة ، خصوصا فى مجتمع ما بعد الثورة ، نحو تطوير أهداف مهنة الخدمة الإجتماعية وإتجاهاتها حتى تواجه نتائج الثـــورة الاجتماعية المصرية التى نعيشها فى الوقت الحـــاضر .. والمؤلف الحالى إن هو إلا محاولة جدية فى سبيل تحقيق هذا الاتجاه .

أما من حيث طرق الخدمة الاجتماعية المهنية ، فقد استوردت كلها من الخارج وبقيت تدرس كما هى حتى الآن .. ويستخدمها الأخصائيون الاجـــتماعيون وغـــيرهم دون ما تقنين .. ويرى الكاتب أنها فى حاجة إلى المراجعة .. وذلك بإجراء البحوث العلميـــة التقييمية لها .. حتى تتوامم مع ظروف مجتمعنا الحاضر .. المجتمع الاشتراكى .. والرجاء كل الرجاء أن يبدأ فى اجراء هذه البحوث فى وقت قريب .

ويلاحظ أن طالب الخدمة الاجتماعية يعيش فى المجتمع .. وهو يهتم ، بالضرورة ، بشئون المجتمع . أى أنه يعيش ، كانسان ، وكمتخصص ، فى علاقات اجتماعية دائما . ويتميز طالب الخدمة الاجتماعية ، كمتخصص ، بأنه يدرس العديد

---

(١) كان أول خبرة بمهنة الخدمة الاجتماعية بطرقها المهنية (الأساليب العلمية) ، فى بلادنا ، اى فى عام ١٩٣٧ ، خليطا من الخبرات الاميريكية والانجليزية والفرنسية مع ملاحظة أن الخبرة الانجليزية كانت متأثرة ، اذ ذاك ، وخصوصا ، خبرة طريقة الفرد ، بالخـــبرة الاميريكيه . أنظر :

Noel Timms " Social Casework - **Principles and practice** " **London, Routledge and Kegan Paul, 1964, P. 1**

من العلوم الانسانية وبعض العلوم المادية ومن ثم فهو فى مسيس الحاجة الى إدراك المفاهيم الانسانية، وغيرها، إدراكا موضوعيا . والمفهوم - المفهوم العلمى... هو لفظ له معنى مادى محدد أو له دلالة مادية محددة .

فاذا أخذ القارىء بالمعيار السابق .. معيار المفهوم العلمى .. على أنه أولا لفظ .. وهو ثانيا ذو معنى مادى أو دلالة مادية .. واذا تحدد معنى هذا المفهوم بدقة حتى تصبح دلالته ملموسة .. واذا قبله المتخصصون أو أكثرهم .. لم تعد هناك مشكلة .. فمفهوم « الأكسجين » مثلا معناه دقيق ودلالته ملموسة .. ويقبله المتخصصون فى كل أنحاء الدنيا .. فى لندن وفى موسكو .. وفى القاهرة .. وفى نيويورك .. الخ على إختلاف ثقافات مجتمعاتهم .. وتباين أساليب الحكم فيها . ولكن يجب أن يلاحظ القارىء أنه إذا كان يحدث هذا فى محيط العلوم المادية ، فانه لا ينتظر أن يحدث ، أيضا ، فى سهولة ويسر ، فى محيط العلوم الانسانية على مستوى المجتمعات المختلفة أو حتى على مستوى المجتمع الواحد . فالملاحظ أن المفاهيم الانسانية مفاهيم ، فى الأغلب الأعم، غامضة...وهى أيضا فضفاضة...أى لها صور متعددة، وقد تستخدم فى بعض الأحيان ، فى مواقف متناقضة .

ويرجع غموض مفاهيم العلوم الانسانية وتعدد صورها .. إلى عوامل كثيرة منها .. وأهمها :

١ ـ حداثة العلوم الانسانية نسبيا .

٢ ـ اختلاف الثقافات الاجتماعية (والايديولوجيات منها على وجه الخصوص) باختلاف المجتمعات البشرية .

٣ - تباين معدل تقدم العلوم الاجتماعية فى المجتمعات البشرية .

٤ - تسرع المتخصصين فى العلوم الإنسانية فى صياغة المفاهيم المتعلقة بميدان تخصصهم وتنافسهم غير الضرورى فى هذا المجال .

ومهما يكن من الأمر فاننا نؤكد أنه بارتقاء العلوم الإنسانية وتقدمها ، وبالاحتكاك الثقافى ، وبسيادة روح الفريق بين المتخصصين فى العلوم الإنسانية.. ستتحدد مفاهيم العلوم الانسانية وتصبح معانيها أكثر دقة .. وربما بمرور الزمن ، تلقى قبولا عاما من المتخصصين وغيرهم .. ولعل ذلك أن يحدث أولا على مستوى المجتمع الواحد .. ثم ثانيا على مستوى المجتمعات الأخرى .

وفى ضوء كل ما سبق يمكن أن نقرر :

١ - ان مفاهيم العلوم الإنسانية مفاهيم غامضة متعددة الصور .

٢ - ان غموض هذه المفاهيم وتعدد صورها يرجعان الى بعض العوامل .

٣ - ان المستقبل ينتظر تحديد هذه المفاهيم فى المجتمع الواحد أولا ثم ثانيا فى المجتمعات الأخرى ..

وإذا حاولنا أن نعرف مفهوم مهنة الخدمة الإجتماعية ، فاننا نلاحظ أنه مفهوم إنسانى .. وهو ، كمعظم المفاهيم الإنسانية ، إن لم يكن كلها ، مفهـــوم غامض .. أى له معانى متعددة .. وهو أيضا مفهوم فضفاض أى أنه ذو صور متعددة .. أى أن طالب الخدمة الإجتماعية يواجه مايواجهه طالب علم الإجتماع أو طالب علم الإجرام .. فالأخير ، مثلا ، يجد أن مفهوم الجريمة مفهوم له معانى متعددة .. وفضلا عن ذلك له صور متعددة .

ونلاحظ ، أيضا ، أن تعاريف مهنة الخدمة الإجتماعية العديدة . . كلها . . في ضوء الظروف التاريخية ، تعاريف أجنبية . . ولعل توضيح بعض مفاهيم الخدمة الإجتماعية ، في هذه المرحلة ، أن يكون ضروريا ، فالغاية التي نرجوها في هذه الآونة هي توحيد الصورة الذهنية لهـــا عند القارىء . . وهي غاية ملحة ولازمة . . وفيما يلي بعض هذه التعاريف :

١ـ الخدمة الإجتماعية مهنة تهدف إلى خدمة الانسان كفرد أو كعضو في جماعات مختلفة لتحقيق علاقات إجتماعية ناجحة بين أفراد المجتمع حتى تصل بهم إلى المستويات التي تتناسب مع رغباتهم وقدراتهم في حدود إمكانيات المجتمع وظروفه . .

٢ ـ الخدمة الإجتماعية خدمة فنية تتضمن علما ومهارة تحاول بهما مساعدة الفرد على مقابلة إحتياجاته في بيئته الإجتماعية ، كما أنها تعمل من ناحية أخرى على إزالة العوائق التي تمنع الفرد من الحصول على أقصى ما تسمح به قدراته . .

٣ ـ الخدمة الإجتماعية تهدف إلى مساعدة الأفراد على استغلال قدراتهم وموارد البيئة التي يعيشون فيها لتحقيق الرضا الذاتي والتكيف الإجتماعي كما أنها تعمل على المعاونة في تغيير البيئة وتعديلها وذلك بحل مشاكل الأفراد الشخصية والإجتماعية . .

٤ ـ الخدمة الإجتماعية خدمة فنية ترمى إلى مساعدة الناس سواء أكانوا أفراداً أم جماعات للوصول بهم إلى تكوين علاقات مرضية ومستوى من الحياة يتفق مع رغباتهم وقدراتهم وميولهم الخاصة (١) . .

---

(١) احمد كمال وعدلى سليمان : الخدمة الاجتماعية والمجتمع ـ القاهرة ، مكتبة القاهرة ==

ويلاحظ في التعاريف السابقة بعض الأمور . . هي :

أ - أنها تهتم بالفرد كفرد أو بالفرد كعضو في جماعة أو في جماعات .

ب - أنها تهدف إلى تحقيق التكيف الإجتماعي . .

جـ - أنها خدمة فنية . .

د - أنهـــا مهنة . .

وحاجات الفرد ، في رأينا ، يجب أن ننظر لها في ضـــوء حاجات المجتمع الكبرى . . خصوصا إذا كان هذا المجتمع ، كمجتمعنا في الوقت الحاضر ، يواجه ثورة إجتماعية بناءة . . أي أنه يواجه عمليات التنمية الإجتماعية الكبرى ويحاول أن يرسي قواعدها على أساس علمي سليم . . وعمليات التنمية الإجتماعية هـــذه تهدف ، كما هو معلوم ، الى الحاضر . . كما تهدف ، أيضا ، وهذا هو المهم ، إلى المستقبل، أي تهدف إلى اسعاد الأجيال الحاضرة . . كما تهدف الى إسعاد الاجيال القادمة على السواء (١) .

ويضاف الى ذلك ، أيضا ، أن محاولة تعريف مفهوم التكيف الإجتماعي ليس

= الحديثة ١٩٦٣ ، صفحات ١٤ - ٢٢

انظـر ايضـا :

- محمد كامل البطريق : الخدمة الاجتماعية مهنة ذات علم وفن - القاهرة ١٩٥٨ ، صفحات ٥٣ - ٥٧

(١) لاجدال في أن المجتمع . . أي مجتمع . . لكي يحيا ولكي يستمر في الحياة . . يقوم عادة بأداء وظائف اجتماعية حيوية اساسية لمن يعيش فيه من البشر ، لأعضائه من الرجال والنساء والاطفال على السواء . . ومن هـــذه الوظائف الاجتماعية الحيوية الأســاسية تحقيق اغراض حفظ الحياة وحفظ النوع مثلا . . ومن الحاجات الأساسيه التي يحتاجها الفرد لكي يعيش ، مثلا ، المأكل والمشرب والملبس والمأوى والأمن الاجتماعي .... الخ . .

سهلا .. وقد يعنى من الناحية اللغوية : « تمكين الفرد من أن يتكامل إجتماعيا . أى محاولة مساعدته على تحقيق النمو الفردى والاجتماعى السليم ، وعلى خلق الاتجاهات الاجتماعية البناءة فى كيانه ، وخلق الشعور بالمسئولية الإجتماعية الذى يسمح له فى مرحلة معينة من عمره لتقبلها وممارستها .... ومهما يكن فان مفهوم التكيف الاجتماعى ومفهوم نقص التكيف الإجتماعى فضلا عن مفهوم سوء التكيف الاجتماعى مفاهيم تستخدم بكثرة ، فى الوقت الحاضر ، فى علوم البيولوجيا والتربية والنفس والنفس الاجتماعى والاجتماع . وهى مفاهيم غامضة فضفاضة يتراوح استخدامها منذ « هربرت سبنسر » حيث يقول : « الحياة هى عملية تكيف العلاقات الداخلية إزاء العلاقات الخارجية » ... الى « ديل كارنجى » حيث يقول : « إن النجاح هو عملية التكيف إزاء الآخرين » ... ويلاحظ أن كل شىء خلاق لا بد أن يحوى عنصرا كبيرا من مخالفة ما هو معتاد . ومن الناس ، كالفنانين مثلا ، من لا يمكن إعتبارهم ، فى بعض الأحيان ، أشخاصا متكيفين إجتماعيا .. ومع ذلك فلا يمكن اعتبارهم بالضرورة ، من الأشخاص المشكلين اجتماعيا (١) .

كذلك نجد أن بعض أعضاء المجتمع المحلى يعيشون فى ثقافة ثانوية معينة وهم فى ضوء قيم هذا المجتمع يتصرفون .. أى أنهم متكيفون إجتماعيا .. ولكنهم فى ضوء قيم المجتمع الكبير قد يعتبرون منحرفين .. أى غير متكيفين إجتماعيا . نجد أمثال هؤلاء الذين يعيشون فى مجتمع تسوده قيم الأخذ بالثأر .. ونجدهم فى أحد

---

(١) سيد عويس : دور المدرسة وعمليات التربيه خارج المدرسة فى الوقاية من سوء التكيف الاجتماعى بين الشبان والأحداث الجانحين — المجلة الجنائية القومية — عدد شهر نوفبر ١٩٦٤ .

أحياء المدينة ممن يظللهم مناخ إجتماعى معين يسمح لهم بممارسة انماط السرقة .. ويشجعهم عليها .. ويتقبلها .. بل ويتوقعها .. إلى الدرجة التى تكون فيها ممارسة هذه الأنماط تحت ظل هذا المناخ الاجتماعى .. علامة من علامات النجاح الاجتماعى فى هذا الحى ... ويكون الإعراض عنها ... أى الإعراض عن هذه الممارسة ... علامة من علامات الفشل الاجتماعى ... أى عدم التكيف الاجتماعى .

أى أن أعضاء المجتمع فى الأمثلة السابقة متكيفون إجتماعياً وفقاً لأجهزة القيم الاجتماعية السائدة فى المجتمع .. وهم فى الوقت نفسه يعتبرون غير متكيفين .. منحرفين أو فاشلين .. فى ضوء أجهزة القيم الاجتماعية السائدة فى المجتمع الكبير .

ونحن لا يمكن أن نوافق الآخرين على أن التكيف الإجتماعى ، فى ضوء ما ذكر آنفا ، وعلى الرغم من غموض هذا المفهوم ، غرض فى ذاته من أغراض الخدمة الإجتماعية ، فى ضوء ظروفنا الحاضرة .. إن أغراض الخدمة الاجتماعية ، فى بلادنا ، إذ تواجه الثورة الاجتماعية الحالية ، بالضرورة ، أغراض عريضة .. وما التكيف الاجتماعى ، مهما كان معناه ، إلا أن يكون عرضا من أعراض تحقيق هذه الاغراض العريضة .. إنه ، فى رأينا لا بد أن يأتى فى المرتبة الثانية (١) .

ويلاحظ أن عملية التكيف الاجتماعى ، فى ضوء معناه السابق ، تصدر بالضرورة ،

---

(١) انيس عبد الملك : خدمة الجماعة والريادة .. القاهرة ـ مكتبة الشرق ـ ١٩٥٩ صفحة ٦ .

عن الاشخاص . ولكنها تستلزم تغيير البيئة (النظم الاجتماعية .. والاوضاع الاجتماعية .. الخ) . ونحن قد نظلم الاشخاص اذا طالبناهم دائما وباستمرار أن يتكيفوا دون أن نعترف ، فى صراحة ، أن مشاكل هؤلاء الاشخاص والجماعات مشاكل لها جذورها فى المجتمع الذى يعيشون فيه .. وأن جهودنا أولى بالتوجيه نحو استئصال هذه الجذور أولا . ، وأرجو أن يكون القارىء قد لاحظ أن التعريف رقم (٢) قد إقتصر على «إزالة العوائق التى تمنع الفرد من الحصول على أقصى ماتسمح به قدراته » مع ملاحظة أن هذه القدرات قابلة للنمو .. كما ارجو أن يكون القارىء قد لاحظ أن التعريف رقم (٣) قد إهتم بـ « تغيير البيئة وتعديلها » والمقصود من السياق « بيئة الفرد » بمعناها الضيق . ، كما أرجو للمرة الثالثة ان يكون القارىء قد ثار ، تماما كما فعلت ، عندما قرأ فى التعريف رقم(١) عبارة « فى حدود امكانيات المجتمع وظروفه » وكأن المجتمع وظروفه فى مجتمع كمجتمعنا الثائر ، ثابتة لا تتغير .. او لها حدود .. إن واقعنا الحى يرفض هذه العبارة ، وفى ضوء ظروفه الحالية ، لا يمكن أن يقبلها .. فنحن فى هذه الفترة من حياتنا ، نبنى مجتمعاً جديداً .. وإذ نبنيه نحيا مرحلة الإنطلاق بلا حدود .. ونحرص على أن نسابق الزمن .. حتى تتحقق أمانينا أى حتى يتحقق الرخاء لاعضائه ، جميعاً ، بلا استثناء .. وحتى ترفرف عليهم الرفاهية .. فضلا عن العدالة والإنصاف .

وقد يلتبس على القارىء قول البعض ان الخدمة الاجتماعية خدمة فنية . أى أنها خدمة تستند على الفن (Art) لا على العلم (Science) .. وقد سبق القول بأن الخدمة الاجتماعية ، فى ضوء النظرة الاشتراكية ، تؤكد أن العلم للمجتمع .. أى أنها تؤكد عدم انفصال النظرية العلمية والتطبيق العلمى لها .. وانها وان بدا الجانب التطبيقى فيها واضحا جليا فإنه تطبيق علمى .. فهى ترتكز ، اولا وقبل كل شىء ، على نتائج البحوث العلمية والدراسات العلمية فى ميادين العلوم الإنسانية

وبعض العلوم المادية .. وهى ، فضلا عن ذلك ، اذ تقـــوم بعمليات التطبيق العلمى لهذه النتائج قد تيسر تعديل ما فيهـا من نظريات .. او تيسير اثراءها .. او ابراز نظريات أخرى جديدة ..

ومن حيث ان الخدمة الاجتماعية مهنة فان الكاتب يؤيد ذلك على طول الخط .. لأن سمات المهنة تتوفر فيها فى وضوح وجلاء .. ومن هذه السمات مايلى :

١ ـ انها مهنة ذات اهداف واتجاهات وتخصص .

٢ ـ انها مهنة يكتسبها الطالب عن طريق مناهج دراسية نظرية وعملية .

٣ ـ انها مهنة ذات طرق مهنية (اساليب علمية) .. اى انهـــا تستخدم المنهج العلمى .

٤ ـ انها مهنة لها آداب (Ethics) معترف بها .

٥ ـ انها مهنة تربط ممارسيها علاقات مهنية .

٦ ـ انها مهنة يتقاضى ممارسوها عند ادائها اجوراً ومرتبـات وفضلا عن ذلك فان الخدمة الاجتماعية :

٧ ـ مهنة تؤدى ، فى مجتمعنا .. المجتمع الاشتراكى ، دورها القيادى فى الحقل الاجتماعى . وتستطيع ، بالتعاون مـــع الادوار الاجتماعية القيادية الاخرى فى المجتمع ، ان تواجه نتائج الثورة الاجتماعية التى نعيشها فى الوقت الحاضر حينما تكون هذه النتائج وحيثما تكون ..

وللخدمة الاجتماعية تعاريف أخرى نذكر منها :

١ ـ الخـــدمة الاجتماعية مهنة تخصصت لتيسير وتقوية العلاقات الاجتماعية الاساسية بين الافراد والجماعات والنظم الاجتماعية ، لذلك فان من مسئوليـة المهنة ،

العمل الاجتماعى أيضا الذى هو فى الواقع ينبثق من وظيفة الخدمة الاجتماعية ومن معلوماتها المهنية .

٢ ـ الخدمة الاجتماعية يمكنها أن تحقق بنجاح أهدافها إذا جعلت خدماتها تتجه نحو بناء سياسة إجتماعية رشيدة للمجتمع تواجه بها جميع الاحداث المنتظرة .

٣ ـ الخدمة الاجتماعية عمليات تهدف إلى إحداث تغيرات إجتماعية مقصودة فى الافراد والجماعات والمجتمعات فى حدود مبادىء المهنة ونظرياتها وبواسطة أخصائيين إجتماعيين (١) .

ويلاحظ على التعاريف السابقة ما يلى :

أن الخدمة الاجتماعية تهدف إلى العمل الاجتماعى .. وتستطيع أن تسهم فى البناء الاجتماعى . بل وتهدف عن وعى إلى إحداث تغيرات اجتماعية ..

ونحن نرى أن الخدمة الاجتماعية ، بهذه المفاهيم، أقرب ماتكون إلى مفهوم الخدمة الاجتماعية الذى يوائم ظروف مجتمعنا فى الوقت الحاضر .. ، ونحن نرى أنه على الرغم من أنها ، كلها ، تعاريف أجنبية فهى تساعد على صياغة تعريف مصرى عربى للخدمة الاجتماعية .. فهى تبرز التطور الحادث فى الدنيا بأسرها .. تطور المجتمعات العالمية .. وبخاصة تطور المجتمعات النامية .. ومجتمعنا المصرى العربى ، كما لايخفى على القارىء ، مجتمع متطور .. مجتمع نام .

إن الاخصائى الاجتماعى الذى يعيش فى المجتمع .. والذى يهتم بالمجتمع ..

---

(١) الخدمة الاجتماعية والمجتمع : صفحات ١٤ ـ ٢٢ .

إن هذا الاخصائى أجدر القادة الإجتماعيين بالشعور بالمسئولية والادراك الواعى للظروف الإجتماعية التى تحيط به .. وهو .. فى مجتمع كمجتمعنا .. أولى القادة الاجتماعيين بمحاولة دراسة هذه الظروف الإجتماعية لكى يفهمها ولكى يتنبأ بما ينتظر ، فى المستقبل القريب أو البعيد ، من نتائجها .. وإذا كان المجتمع الإشتراكى هو مجتمع العدالة الإجتماعية بأجلى معانيها .. وهو إذ يهدف إلى تحقيق هذه العدالة يحاول فى ضوء الواقع الحى ، عن وعى ، أن يغير المجتمع ويطوره ، أى أنه يحاول ، عن وعى ، إحداث تغيرات إجتماعية .. فان الاخصائى الإجتماعى جدير بفهم كل هذه الأمور .. وأن الخدمة الاجتماعية ، كمهنة ، تستند على العلم ، وتستخدم المنهج العلمى .. والعلم فى مجتمعنا الإشتراكى ، هو السلاح الذى يحقق النصر الثورى جـــديرة بأن تسابق الزمن وتلاحقه .. حتى تواجه نتائج هـذه التغيرات الاجتماعية وحتى تسهم فى عمليات البنـــاء الإجتماعية القائمة فى كل المجالات وفى كل الميادين .

وقد حاول بعض المتخصصين المصريين أن يصيغ مفـاهيم للخدمة الاجتماعية جديدة .. مفاهيم تتفق مع ظروفنا الإجتماعية الحاضرة .. ونحن إذ نرحب بهذه الخطوة المباركة نحو عملية التنظير المصرى العربى لبعض المفاهيم الإجتماعية النابعة من واقعنا الحى .. ومنهـا مفهوم الخدمة الاجتماعية .. فانه يسعدنا أن نتجاسر ونلقى بدلونا فى هذا المضمار .. ونرجو التوفيق .. ولنحتفظ .. ونقول .. إننا قد نجد من يختلف مع الكاتب فى صياغة هذا المفهوم .. وهذا لن يغير من الصورة شيئا .. فالكاتب لا يهدف الى ان يفرض المفهوم الذى صاغه على أحـد .. وإنما الهدف الحقيقى هو أن للقارىء ، وليس عليه ، أن يتمثل هذا المفهوم كما يراه الكاتب .

ومن مفاهيم الخدمة الاجتماعية نورد مايلى :

« الخدمة الاجتماعية قوة متحركة تعمل بأسلوب متكامل »
« يهتم بالفرد باعتباره الخلية أو النواة لهذا المجتمع ، كما »
« يهتم بوحدات المجتمـــع فى شكل الجماعات التى ينظمها »
« المجتمع لتحقيق أغراضه فى مسايرة التطور الإشتراكى »
« إلى جانب تدعيم وتوجيه منظمات المجتمع والتنسيق بينها »
« لتعمل فى وحدة متكاملة » (١)

ونلاحظ على التعريف السابق ما يلى :

١ - أن الخدمة الاجتماعية قوة متحركة .

٢ - أنها تستخدم أسلوبا متكاملا .

٣ - أنها تهتم بالفرد باعتباره الخلية أو النواة للمجتمع .

٤ - أنها تهتم ، أيضاً ، بوحدات المجتمع .

٥ - أنها تهدف إلى تحقيق أغراض المجتمع فى مسايرة التطور الاشتراكى .

٦ - انها ، بالاضافة إلى كل ذلك، تهدف إلى تدعيم وتوجيه منظمات المجتمع والتنسيق بينها لتعمل فى وحدة مكاملة . .

ومحاولة تعريف الخدمة الاجتماعية بأنها قوة متحركة قد صدمت الكاتب . . فما كنه هذه القوة المتحركة . . هل هى قوة طبيعية ؟ هل هى قوة إجتماعية ؟ . . هل هىقوة غيبية؟ . . لا يدرى أحد . . ما مصدر هذه القوة ؟ الانسان مثلا . . أم

---

(١) أحمد عبد الحكيم السنهورى : أصول خدمة الفرد — القاهرة ، مكتبة القاهرة الحديثة ، ١٩٦٣ ، صفحة رقم (ح) .

الحيوان ... أم الطبيعة ؟... لا يدرى أحد ... ويلاحظ أن كل شيء فى الدنيــا يتحرك ... ويتغير ... ويتطور ... الانسان يتحرك ... ويتغير ... ويتطور والمادة تفعل ذلك ... وكل شيء ... ان التعاريف العلمية ... تثور على الغموض ... وعبارة « قوة متحركة » فى هذا التعريف عبارة غامضة .

ومن حيث التعبير بـ « الأسلوب المتكامل » نجده تعبيرا غامضا كذلك ... فليتساءل القارىء ، كما تساءلت ، هل هذا أسلوب علمى ؟ ... أم أسلوب فنى ؟... أم أسلوب أدبى ...؟ ما المقصود بإستخدام الخدمة الإجتماعية الأسلوب المتكامل...؟ صحيح أن الخدمة الاجتماعية تستخــدم أساليب مهنية (Techniques) ... مثلهـا مثل كل عمل علمى ... ومثلها مثل كل عمل فنى ... ومثلها مثل كل نوع من الأعمال الادبية .

والفرد ... فى المجتمع ... أى فرد ... لا يمكن أن يكون خلية أو نواة لهذا المجتمع ... كل النـــاس تعرف ذلك ... وكل المتخصصين يعرفون ذلك ... إن المجتمعات لا تقوم على أفراد ... إن تعريف المجتمع فى بساطة ،، هو (جماعة من الناس) (رجال ونساء وأطفال) يهدفون ، متعاونين أحيانا أو وهم فى صراع أحيانا أخرى ، إلى تحقيق مصالح جوهرية (حفظ الحياة وحفظ النوع مثلا) . بصفة مستمرة ، ويعيشون فى بيئة جغرافية واحدة ، إن قوام المجتمع ... أى مجتمع . . هو الجماعات . . لا الافراد . . أين هو الفـــرد الذى لا يعيش فى علاقات إجتماعية دائما ؟ ... من هو الفرد الذى لا يعيش فى علاقات إجتماعية دائما ؟ ربما يكون الرد على هذين السؤالين هو المصاب بأحد الأمراض الذهانية فهل الفرد المصاب بأحد الأمراض الذهانية هو الخلية أو النـواة للمجتمع ؟ ... إذا كان الرد على هذا السؤال بالنفى .. فالكاتب يوافق على ذلك ... يضاف

إلى ذلك ... كيف يعرف أى شخص منا شخصا آخر دون أن يعرف عن أسرته ، والجماعات الأخرى التى ينتمى اليها ، سواء كانت جماعات مرجعية أو غيرها ، وعن طبقته الإجتماعية . . فضلا عن قيمه وثقافته الاجتماعية...،وأخيرا نرى أن التعبير بلفظ (الخلية) أو لفظ (النواة) هو تعبير غير إجتماعى ... فهو إلى التعبير (البيلوجى) أقرب .

ولعل الإهتمام بوحدات المجتمع هو إهتمام ، أيضا ، بالأفراد ... فالفـــرد العادى .. أقصد الفرد السوى . . يعيش دائما ، كما سبق أن أوضحنا ، فى جماعة أى أن الإهتمام بالفرد ، فى هذا الضوء ، مكفول.

أما تحقيق أغراض المجتمع فى مسايرة التطور الإشتراكى ... ، كما ورد فى التعريف ، فهو وان كان ضروريا ... فإن العبارة قاصرة ... إن الخدمة الاجتماعية الجديدة فى بلدنا لا تساير التطور الاشتراكى فحسب ... ولكنها ، بامكانياتها العلميـــة والبشرية وبتراثها التاريخى ، تصنع هذا التطور ... أو يجب أن تصنعه ... إن المسايرة لا تكفى الثائرين ... إن مجتمعنا فى حاجة الى ثوار ... فى حاجة الى قادة اجتماعيين ثائرين ومنهم الاخصائيون الإجتماعيون .

وتحقق الملاحظة الأخيرة عمليات أحد أساليب الخدمة الاجتماعية وهو أسلوب تنظيم المجتمع أو طريقة خدمة المجتمع ... والواقع أن التعريف السابق قد ضيق على نفسه الخناق ... ذلك لأنه قد صيغ فى ضوء عمليات الأساليب العلمية الثلاثة للخدمة الاجتماعية وهى الأسلوب الفردى والجماعى والمجتمعى فقط وكأن هذه الأساليب مطلقة ... أى أنها لا تتغير ولا تتطور ... لا تزيد ولا تنقص ... والكاتب يرى أنها أساليب جوهرية ، فى الوقت الحاضر ، ولكن ربما

فى ضوء تقنينها .. وتقييمها تتغير وتتطور .. وربما أصبحت أربعة أو خمسة . صحيح أننا ما زلنا نستخدم الأساليب العلمية الأجنبية فى مصانع بلادنا وفى حقول بلادنا . . وفى المعامل فى بلادنا .. وفى الكثير من البحوث العلمية فى محيط العلوم المادية .. وفى كل البحوث العلمية فى محيط العلوم الانسانية .. ولكننا .. لا يمكن أن نتوقع .. فى ظل المجتمع الإشتراكى .. أن نستمر على هذا المنوال .. إن الأساليب العلمية النابعة من مجتمعنا الاشتراكى أمر متوقع .. نحن نتوقعه .. فى ضوء ما تحقق فى مجتمعنا فى الفترة القصيرة الماضية .. وكل متخصص متفائل يجب أن يتوقعه .

ولعل القارىء أن يتساءل ، ومن حقه أن يفعل ذلك ، فى ضوء كل ما قيل حول تعاريف الخدمة الإجتماعية .. وفى ضوء مناقشة كل ما قيل . ماهو مفهوم الخدمة الإجتماعيه الذى يتبناه الكاتب ، .. والاجابة على هذا السؤال موجودة ، حتما ، فى ثنايا كل ما قيل قبل ذلك وفى ضوء مناقشة كل ما قيل قبل ذلك .. والمفهوم الذى نتبناه لم يأت عفوا .. بل ، على العكس ، هو نابع ، بالضرورة ، من واقع مجتمعنا الحى فى ظروفه الحاليه .. ونكرر .. قائلين .. اننا قد نجد من يختلف مع الكاتب على صياغة هذا المفهوم .. وهذا لن يغير من الصورة شيئا، فالكاتب لا يهدف إلى أن يفرض المفهوم الذى صاغه على أحد .. وانما الهدف الحقيق هو أن للقارىء ، وليس عليه ، أن يتمثل هذا المفهـــوم كما يراه الكاتب .

ومهما يكن من الأمر فنحن نرى أن الخدمة الاجتماعية :

« مهنة تستخدم الأسلوب العلمى منهجا لها ، وتؤدى »

« فى مجتمعنا الاشتراكى دورها القيادى فى الحقل الاجتماعى »

« وتستطيع ، بالتعاون مع الأدوار الاجتماعية القيادية »
« الأخرى فى المجتمع ، أن تواجه نتائج الثورة الاجتماعية »
« التى نعيشها فى الوقت الحاضر حينما تكون هذه النتائج »
« وحيثما تكون . . . »

إن المفهوم السابق ، مفهوم مصرى لحما وما . . وما على القارىء إلا أن يقرأ الصفحات السابقة . . أو يعيد قراءتها . . ولعله أن يخرج بنفس النتيجة . . فالخدمة الاجتماعية فى مجتمعنا الثائر . . مهنة . . تقوم بالتطبيق العلمى مستخدمة طرقا مهنية معينة . . وتعمل فى الحقل الاجتماعى . . ولها دورقيادى فى هذا الحقل . . وهى اذ تتعاون مع الادوار الاجتماعية القيادية الأخرى (الطبيب ، الاخصائى النفسى ، المربى ، المدرس ، رجل الدين ، الاخصائى الاقتصادى ، المهندس ، الباحث الاجتماعى ، رجل الشرطة . . ورجل السياسة . . وغيرهم . .) تستطيع أن تواجه نتائج الثورة الاجتماعية التى نعيشها فى الوقت الحاضر . . حينما تكون هذه النتائج . . أى عندما تبدو هذه النتائج . . أو حتى قبل أن تبدو وتظهر . . (عند ظهور نتائج مثل نتائج عمليات التهجير والتوطين والتحضر التى لاتهدأ فى مجتمعنا . . أو عند التنبؤ بهذا الظهور) . . وحيثما تكون هذه النتائج : فى الأسرة ، وفى المدرسة ، وفى المؤسسة الدينية ، وفى النادى ، وفى المعسكر ، وفى المستشفى ، وفى المؤسسات العامة والخاصة ، وفى المجتمع المحلى ، وفى القرية ، وفى المدينة ، وفى ميادين أجهزة الاعلام العديدة . . الخ . أى مواجهة هذه النتائج بقصد ارساء معالم التنمية الاجتماعية السليمة فى ضوئها أو بقصد الحد منها أو القضاء عليها ، أى مواجهتها على مستوى التنمية

الاجتماعية أو على المستوى الوقائى أو على المستوى العلاجى ، فى كل المجالات وفى محيط كل الفئات . .

ونحن اذ نلخص ما سبق نؤكد أن أهداف الخدمة الاجتماعية أهـداف إنسانية . . شاملة . . أى أن أهدافها الإنسانية تختص بالمجتمعات البشرية بقصد تغييرها أو تطويرها لتكون مجتمعات أفضل . . أى ليعيش أعضاؤها حياة طيبة ترفرف عليها العدالة . . ويسود فيها الانصاف دون ما تمييز .

وأن أهداف الخدمة الإجتماعية لابد أن تنبثق من المجتمعات التى تعمل فيها . . كل مجتمع على حدة . . أى أنهـا تعكس القيم الاجتماعية فى المجتمع الذى تعمل فيه . . وكل مجتمع ، كما هو معلوم ، له قيمه التى تحدد سلوك أعضائه كأشخاص ، وكجماعات ، كما تحدد آمالهم وأمانيهم ، فالدين يزودنا بالقيم . . ومن وراء المثل العليا قيم . . وكذلك الآداب والفن والفلسفة . . والخدمة الاجتماعية فى مجتمع ما يجب أن توائم هذا المجتمع . . وما دام لكل مجتمع تراث ثقافى وأهداف ومثل عليا . . فان الخدمة الاجتماعية تختلف من مجتمع الى آخر . . فهى فى مجتمعنا المصرى العربى ، بالضرورة ، مختلفة عنهـا فى المجتمع الانجليزى مثلا . . أو المجتمع الامريكى مثلا . . وهكذا . .

ويلاحظ أن الخدمة الاجتماعية تشمل ألوانا من النشاط الانسانى .

والانسان هو ، فى أغلب الاحيان ، فرد له شخصيته . . وعوامل الشخصية . . أى شخصيه . . عوامل متعدده . . ويمكن تلخيصها فيما يلى :

١ ـ عـوامل تكوينية .

٢ - عوامل إجتماعية ثقافية .

٣ - عـــوامل نفسية .

ولـكن هـــذا الانسان ، لـكى يعيش ، لابد أن تتوافر له بعض الضروروات . . منها :

١- المأكل .

٢ - المشـــرب .

٣ - الملبس .

٥ - المـــأوى .

٥ - الأمن الاجتماعى (Social Security) (الأمن المادى والأمن النفسى) .

٦ - الحب والحنان (أى يكون محبا ومحبوبا فى نفس الوقت) . .

والانسان ، كشخص يعيش فى جماعات ، هو محور اهتمام جميع العـــلوم ، إنسانية كانت أو مادية ، إما بطريق مباشر (كعلوم الاجتماع والاقتصاد والنفس والقانون) أو بطريق غير مباشر (كعلوم الجيولوجيا والهندسة والفلك) . .

ولمـا كانت الخدمة الاجتماعية تتعامل مع أشخاص وجماعات وجماهير . . أى أنها تتعامل ، فى معظم الأحيان ، إن لم يكن فى كل الأحيان ، مع شخصيات . . ولمـا كانت شخصية الإنسان ، كما سبق أن أوضحنا ، تتـكون من عـــدة عوامل . . فقد أصبح من الضرورى أن تهتم . . أى الخدمة الاجتماعية . . بالعلوم التى يـكون محور اهتماماتها هذه العوامـل . . فنلاحظ مثلا . . أن

العوامل التكوينية هى محور اهتمامات علوم البيولوجيا وعلم وظائف الأعضاء وعلم الصحة . . الخ ، وأن العوامل الاجتماعية الثقافية هى محور اهتمامات علوم الاجتماع والاقتصاد والانثروبولوجيا . . الخ وأن العوامل النفسية هى محور اهتمامات علوم النفس والنفس الاجتماعى والنفس الصناعى . . والنفس الطبى . . الخ .

واهتمام الخدمة الاجتماعية بهذه العلوم وعنايتها يكونان بالقدر الذى يمكن العاملين فيها من فهم العملاء . . كأشخاص وكجماعات . . يعيشون فى المجتمع . . أى كشخصيات . . يعيشون فى علاقات اجتماعية متعددة . . ويواجهون مواقف اجتماعية متعددة . . كما يواجهون ظروفا اجتماعية وأوضاعا متعددة . .

٤ ـــ مهنة الخدمة الاجتماعية بين الاحتراف والتطوع

لعل القارىء قد لاحظ ، فى ضوء كل ما سبق ، اهتمام الكاتب بتأكيد أن الخدمة الاجتماعية - بأهدافها وأغراضها فضلا عن الطرق المهنية التى تستخدمها فى سبيل تحقيق هذه الأهداف والأغراض - مهنة .. أى هى مهنة تحترف مثل كل المهن .. مثل مهنة الطب مثلا .. أى يختار الذين يعملون فيها ويدربون تدريبا نظريا وعمليا .. فى ضوء مناهج دراسية واضحة قبل أن يمارسوها فى الحقـــل الاجتماعى .. وقد تأكد فى الصفحات السابقة انطباق سمات المهنة المعروفه على مهنة الخدمة الاجتماعية فى وضوح ودون مالبس .. ومع ذلك فاننا نجـــد ان بعض المجتمعات يسمح لبعض المتطوعين غير المحترفين بممارسة الخدمة الاجتماعية فى بعض الميادين .. وترى هذه المجتمعات أن السماح بالتطوع فى مجالات الخدمة الاجتماعية وميادينها .. هو إتاحة الفرصة لأعضاء المجتمع لأن يشعروا بما حولهم من أحداث إجتماعية وبما ينتج عن ذلك من مشكلات ومشاكل .. والسماح لهم بالإجتماع على هدف إجتماعى معين أو أهداف إجتماعية معينة يتناقشون ويتفاعلون ويصلون إلى قرار أو إتفاق يعملون على تنفيذه .. وترى هذه المجتمعات أن اعضاء المجتمع هم اولى الناس بالإهتمام بأمورهم ومشاكلهم ومحاولة مواجهتها طالمـــا يكون هذا الإهتمام وهذه المحاولة فى ظل القانون .. وترى هـــذه المجتمعات ايضا ، إتاحة الفرصه لاعضاء المجتمع غير المحترفين .. اقصد المتطوعين .. ان يعملوا فى مجالات الخدمة الإجتماعية وفى ميادينها .. لان هذا ييسر استنباط اهداف واغراض جديدة فضلا عن طرق مهنية جديدة .. مع ملاحظة ان هذه المجتمعات لا تسمح لاعضائها غير المحترفين وغير المؤهلين بممارسة مهن اخرى لا تقل مهنة الخدمة

الاجتماعية عنها شأنا ولا شأوا خصوصا مهن مثل الطب او مهنة العلاج النفسى .. او مهنة المحاماه .. وغيرها .. ومن المعلوم ان هذه المهن الاخيرة كانت تمارس على سبيل التطوع ودون ما تأهيل منتظم .. اى دون إختيار سليم لمن يعملون فيها او تدريب نظرى او عملى لهم .. فى ضوء مناهج دراسية واضحة قبـــل ان يمارسوها .. فى فترة سابقة من الفترات التاريخية لهذه المجتمعات .

وفى مجتمعنا كانت الخدمة الاجتماعية ، بأغراضها وأهدافها وطرقها ، قبل عام ١٩٣٧ اى قبل إنشاء اول معهد للخدمة الإجتماعية بأغراضها واهدافها الحديثة .. فضلا عن طرقها المهنية الحديثة .. كانت .. اى الخدمة الإجتماعية يمارسها اشخاص غير محترفين .. اى متطوعون .. وبعد عام ١٩٣٧ اصبح يمارس الخدمة الاجتماعية اشخاص محترفون يعملون جنبا إلى جنب مع اعضاء المجتمع المتطوعين .. واستمر الحال على هذا المنوال بعد ثورة عام ١٩٥٢ .. اى حتى الآن .. اى بعد ان اصبح عدد خريجى معاهد الخدمة الإجتماعية نحو ... ٤ اخصائى اجتماعى واخصائية إجتماعية .. اى بعد أن تكون كادر من الاخصائيين الاجتماعيين يعمل اعضاؤه فى شتى المجالات والميادين .. مجالات الخدمة الاجتماعية وميادينها .. فى ظل مجتمع يعتنق المبادىء الإشتراكية ويرى ان العمل الوطنى المنظم ، القائم على التخطيط العلمى هو طريق الغد .

ونحن نتساءل قائلين أليس إعتبار الخدمة الاجتماعية مهنة يتنافى مع إعتبارها مجالا للتطوع ؟ .. وإذا كانت الإجابة على هذا السؤال بالنفى بالنظر إلى بعض المجتمعات أو إلى مجتمع ما قبل ثورة ١٩٥٢ ، فهل تستمر هذه الإجابة أى الإجابة بالنفى فى ضوء ظروف مجتمعنا المعاصر .. مجتمعنا الثائر .. اى المجتمع الاشتراكى القائم على التخطيط العلمى ؟ .. واخيراً .. ما موقف مجتمعنا الاشتراكى من

معقل التطوع فى الخدمة الاجتماعية..أقصد القطاع الخاص للخدمة الاجتماعية..؟..

إن محاولة الاجابة على هذه الأسئلة الثلاثة ستكون حتما فى ضوء خبرات الكاتب . . وفى ضوء آرائه . . ولا يتعنت الكاتب . . وما له أن يفعل . . ويحاول أن يفرض هذه الخبرات أو هذه الآراء على أحد . . ولكن يسعده أن ينشرهـا . . كما يسعده أكثر أن تكون موضوعا للمناقشة الموضوعية بين المتخصصين . . ولعل فى ضوء هذه المناقشة الموضوعية أن يتحقق ما يبغيه الكاتب وأن يتحقق ما يرجوه ...

إن الكاتب كواحد من أوائل الذين عملوا فى ميدان الخدمة الاجتماعية للأحداث الجانحين . . كاخصائى اجتماعى محترف . . قد عانى الأمرين من بعض المتطوعين فى هذا الميدان سواء من الذين كانوا يعملون تحت اشرافه أو الذين كان يعمل هو تحت اشرافهم ...

كانت الخدمة الاجتماعية • فى ذلك الحين ، مهنة جديدة تحاول أن تفرض وجودها فى مجتمع ما قبل الثورة ... ويعترف الكاتب أن فشله فى معاملة بعض الذين كانوا يعملون ، كمتطوعين ، تحت اشرافه ... كان ضئيلا ... كان يؤرقه من تصرفاتهم عدم مراعاة المواعيد مثلا ... وغيابهم أحيانا دون إذن ... ومع ذلك فالكاتب يعترف أيضا أن هذا العمل التطوعى لبعض هؤلاء الشبان والشابات كان عاملا هاما من عوامل نضج شخصياتهم ... أى خلق الاتجاهات الاجتماعية البناءة فى كيانهم ... فضلا عن ايقاظ الشعور بالمسئولية الاجتماعية فى نفوسهم ... ولعل بعض عوامل فشل الكاتب فى معاملة بعض هؤلاء المتطوعين يرجع الى الكاتب نفسه ... وإن كان يؤكد الآن ... أن أساليب اختيار هؤلاء المتطوعين كانت مسئولة عن بعض هذا الفشل الى حد كبير ...

ولا يرى الكاتب ضيرا فى وجود هذا النمط من التطوع فى مجتمعنا فى الوقت الحاضر... طالما كان تحت اشراف الاخصائى الاجتماعى المسئول ... أى طالما كان يقوده صاحب المهنة ... أقصد مهنة الخدمة الاجتماعية ... المسئول ... أى طالما كان يقوده القائد الاجتماعى الذى عينته الدولة كى يرعى تنفيذ الخط الاجتماعى المرسوم فى ضوء الخطة المبنية على التخطيط العلمى بقصد مواجهة ظروف مجتمعنا فى الوقت الحاضر ... أى بقصد مواجهة نتائج ثورتنا الاجتماعية القائمة ... فى كل المجالات وفى كل الميادين ... وفى محيط كل الفئات ... ولنا من مهنة الطب أسوة ... فهى فى ضوء مواجهة الحالات الخطيرة الطارئة ... كمواجهة وباء مثلا ... تجند المتطوعين الذين يعملون ... أقصد الذين يتطوعون بالعمـــل ... تحت اشراف الأطباء المتخصصين .. كل فى مجاله ... وكل فى ميدانه ... وكل فى محيط الفئة أو الفئات التى يعمـل فى محيطها ... إن ثورتنا الاجتماعية القائمة ما هى إلا حالة من الحالات الاجتماعية الخطيرة فى مجتمعنا ... وهى ليست طارئة ولكنها مستمرة ... وهى تتطلب من الجميع أن يعمـــلوا ... أن ينتجوا ... أن يؤدوا واجباتهم ... والعمل الاجتماعى الثورى فى حاجة الى تجنيد كل الكفاءات وكل القدرات ... ولكنه فى حاجة أيضا الى قادة اجتماعيين متخصصين ... والاخصائى الاجتماعى المحترف منهم ما فى ذلك من شك ... يشرفون ويقودون هؤلاء المجندين ... أقصد هؤلاء المتطوعين ...

أما المتطوعون الذين يعمـل الأخصائى الاجتماعى تحت إشرافهم ... فقد كانوا فى عهد ما قبل الثورة موجودين ... كانوا من نمط معين من الناس ... رجال وسيدات ... كانوا من طبقة معينة ... طبقة السادة ... طبقة المتعطلين بالوراثة ... كانوا يهدفون الى أغراض هى أبعد ما تكون عن أغراض الخدمة الاجتماعية ...

أقصد أغراضها الانسانية النبيلة ... إن الكاتب يعلم ... وغيره يعلم ... من كان هؤلاء ... وما كانوا يهدفون اليه ... وكيف كانوا يحاولون تحقيق ما كانوا يهدفون اليه ؟ إن الكاتب يعلم ... وغيره يعلم ... ما كانت عليه قيم هؤلاء السادة المتطوعين ... وما كانت عليه اتجاهاتهم ... ؟ ... إن قضيـــة الخدمة الاجتماعية فى بلادنا ، فى عهود ما قبل الثورة ، تتلخص فى أنه باسم الخير الذى كان يحاول البعض أن يقدمه لأعضاء مجتمعنا ... كانت ترتكب كل الموبقات ... وقد يستثنى القليل ... كانوا من الغافلين ... أو كانوا من الذين لا يرون أبعد مما تحت أقدامهم ... أى كان أفقهم ضيقا لا عريضا ... ومع كل ذلك بقيت مهنة الخدمة الاجتماعية ، على وجه العموم ، بخير ... ذلك لأن الأخصائيين الاجتماعيين الأوائل كانوا من أبناء الشعب وبناته ... كانوا بحكم ظروفهم الاجتماعية وظروف تنشئتهم الاجتماعية ومصالحهم الاجتماعية ... أشخاصا ثوريين ... كانوا يعيشون مع الشعب المصرى المكافح ومن أجله ... قاموا بأداء واجباتهم ، كمحترفين ، فى حدود قدراتهم على الرغم من العقبات ... ومن المنغصات ... وما لاقوا ، من الأمرين ، من هؤلاء المتطوعين المشرفين ... أى الذين كان الاخصائيون الاجتماعيون يعملون تحت إشرافهم .

ولا يرى الكاتب أن أمثال هؤلاء المتطوعين المشرفين يصح أن يكون لهم وجود فى مجتمعنا الاشتراكى ... أى أنه يجب أن لا يكون لهم وجود فى مجتمعنا الاشتراكى ... جميعهم ... أو حتى بعضهم ... فلا ضرورة لهذا الوجود مطلقا. إن المتطوع المشرف فى مجتمع الثورة غير ذى موضوع ... إن مهنة الخدمة الاجتماعية فى مجتمع الثورة لا يمكن أن يشرف على تحقيق أهدافها الكبار الهواة من الناس . أى غير المحترفين ... مهما حسنت النيات .

ومع ذلك نجد بعض هؤلاء المتطـــوعين المشرفين فى مجالس إدارات الجمعيات والمؤسسات الإجتماعية ، فى القطاع الخاص ، حتى الآن ... صحيح انهم يعملون ... أى يشرفون فى ظل القانون ... وتحت إشراف الدولة العلمى والادارى ... ولـكن ما جدوى وجودهم حتى الآن ... فى مجتمعنا الاشتراكى إن معظم هؤلاء المتطوعين المشرفين فى عهد ما قبل الثـــورة نالوا ما نالوه من مـكانة فى ميدان الخدمة الإجتماعية لأسباب سياسية واجتماعية ... وقد ذهبت هذه الأسباب ، سياسية كانت أو إجتماعية ، فى ضوء واقعنـا السياسى الحالى ، وواقعنا الإجتماعى الحـالى ... ذهبت هذه الاسبـــاب مع الريح ... واذا كان هؤلاء المتطوعون المشرفون يمثلون معقل هذا النمط من التطوع ... أقصـــد التطوع المشرف .. فى القطاع الخاص للخدمة الإجتماعية فى بلادنا .. فقد آن الأوان لان نناقش هذا الموضوع فى صراحة ... وفى موضوعية ... وفى ضوء بعض الخبرات .

وإذا كان مجتمعنا الحالى يرى أن العمل الوطنى المنظم ... القائم على التخطيط العلمى هو طريق الغد ... فاننا نرى أن الخدمة الإجتماعية ، كمهنة ، عمل وطـنى منظم ... أو يجب أن يـكون منظما ... قائما على التخطيط العلمى كذلك . أى أن التطوع المشرف ، فى هذا الميدان .. لا يفيد بل ربما يـكون ضرره أكثر من نفعه ... لقد انتهى الزمان الذى كان المتطوعون المشرفون فى ميدان الخدمـة الإجتماعية ، فى مجتمع ما قبل الثـورة ، ضرورة ... كانوا ، بحـكم ظروفهم الإجتماعية وأوضاعهم السياسية قادرين على جمع المال ، والمال عصب العمل فى ميدان الخدمة الاجتماعية .. ما ذلك من شك .. وكانوا ينفقون هذا المال على مشروعاتهم الاجتماعية الهزيلة ..وكان معظم هذه المشروعات يهدف إلى العلاج .

لا الوقاية أو التنمية الاجتماعية . . وقد تغيرت الأوضاع .. وأصبحنا فى ثورة إجتماعية مستمرة . . أو أصبحنا نواجه نتائج هذه الثورة الاجتماعية باستمرار .. والأهداف قد تغيرت كذلك .. اننا الآن نبنى مجتمعا إشتراكيا جديدا . . ومصادر الأموال التى تنفق فى هذا السبيل فى الوقت الحاضر لا يمكن أن تكون ، كما كانت : البنوك .. والشركات .. والحفلات إذن ما جدوى وجود هذا المعقل .. أقصد معقل التطوع المشرف. أقصد القطاع الخاص للخدمة الإجتماعية ؟

إن الوضع السليم ، فى ضوء كل ما قيل فى هذا الشأن ، هو أن نحرص على كرامة مهنة الخدمة الاجتماعية ، وذلك بالإيمان بالتخصص فيها ، أى إعتبار القيام بها مهنة لها مجالاتها المتخصصة .. ولنا فى ذلك أسوة بمهنة الطب .. وبغيرها من المهن . . ومجتمعنا الحالى فى سبيله الى تأميم مهنة الطب .. ولعله فى ضوء القوانين التى تنظم الاشراف على مجالات الخدمة الإجتماعية وميادينها ، فى الوقت الحاضر ، أن يسعى . . أى مجتمعنا . . إلى تحقيق نفس الهدف .. ولن يقفل الباب أمام المواطنين الأعزاء الذين يرون التطوع فى ميدان الخدمة الإجتماعية هدفا ساميا . . ولكن أى نمط من التطوع . . ؟ لا يمكن أن يكون التطوع المشرف .. ولكن التطوع الذى يعمل تحت إشراف الإحتراف .. فى ضوء خطة .. بقصد تحقيق أهداف مواجهة نتائج ثورتنا الاجتماعية المستمرة . . فى كل مجال .. وفى كل ميدان . . وفى محيط كل الفئات . . وعبء تجنيد هؤلاء المتطوعين يقع ، بالضرورة ، على الاخصائيين الاجتماعيين الذين تعينهم الدولة ، فى كل مجال .. وفى كل ميدان .. وفى محيط كل الفئات . والتجنيد يعنى حسن

الاختيار وحسن التدريب . . وحسن التوجيه والاشراف .. وان يقف أمام الاخصائيين الاجتماعيين المحترفين ، فى سبيل تحقيق ذلك ، أية عقبة .. فهم أبناء المجتمع القادرون ، وهم بعض قادة المجتمع .. وهم فى ضوء تاريخ كفاحهم وماضيهم الثورى خير من يحمل هذه الامانة .. أقصد خير من يسهم فى حمل هذه الأمانة .. بالتعاون مع غيرهم من القادة الاجتماعيين الآخرين .

الفصل الثالث

طرق الخدمة الاجتماعية المهنية ومجالاتها

يتضمن هـــذا الفصل الموضوعات الآتية :

١ - طرق الخدمة الاجتماعية المهنية : تمهيد ...
٢ - طريقة خدمة الفرد ومجالاتها .
٣ - طريقة خدمة الجماعة ومجالاتها .
٤ - طريقة خدمة المجتمع ومجالاتها .

١ ـ طرق الخدمة الاجتماعية المهنية : تمهيد

المقصود بطرق الخدمة الاجتماعية المهنية هو الأساليب العلمية التى تستخدمها وهى تعمل فى الحقل الاجتماعى . . وهذه الأساليب تهدف الى محـــاولة فهم المواقف الاجتماعية التى يواجهها الناس فى المجتمع ، أشخاصا كانوا أو جماعات ، وفهم الظروف الاجتماعية التى يعيشون فى ظلها . . وهى تهدف ، بالضرورة ، الى محاولة فهم الظواهر الاجتماعية ، كظاهرة التغير الاجتماعى وظاهرة التفكك الاجتماعى ، ونتائجها وآثارها على الناس الذين يعيشون فى المجتمع . . مهما كان نوع هذه النتائج والآثار . . أقصد مهما كانت سلبية هذه النتائج والآثار أو إيجابيتها . . ويلاحظ أن محاولة هذا الفهم لا يأتى إلا عن طريق الدراسة . . الدراسة العلمية . . باستخدام هذه الأساليب . ولا تقصد هـــذه المحاولة للفهم لذاتها . . ولكن بهدف التغيير الى ما هو أفضل . . تغيير المجتمع الى ماهو أفضل . . وتغيير الناس الذين يعيشون فى هذا المجتمع الى ما هو أفضل . . أى أن الخدمة الاجتماعية باستخدامها للاساليب العلمية المهنية لا تهتم بمـا هو كائن فحسب . . ولكن بمـا يجب أن يكون . .

ويلاحظ أن ما نقصده بطرق الخدمة الاجتماعية المهنية ، فى الكتاب الحالى ، قد يطلق عليه البعض عبارة « فروع الخدمة الاجتماعية » ... ومهما يكن فالعبارة الأولى أى طرق الخدمة الاجتماعية المهنية أصبحت هى الشائعة . .

ويلاحظ ، أيضاً ، أنه إذا كانت مهنة الخدمة الاجتماعية تهتم ، أولا وقبل كل شىء ، بالمجتمع . . وبالانسان كشخص يعيش فى المجتمع أى يعيش فى علاقات اجتماعية . . وبالجماعات أيا كان نوعها . . الجمـــاعات الأساسية (الأسرة) أو

الجماعات المرجعية (العصبة .. العصابة) .. أو غيرها .. واذا كانت تهدف الى الحياة التى تسودها العدالة ويرفرف عليها الانصاف .. كما تهدف الى ماهو أفضل – فان جميع الطرق المهنية التى تستخدمها ، بالضرورة ، تكون متصلة بعضها ببعض .. وتخدم بعضها البعض .. وان اقتضى الأمر، فى ضوء بعض الظروف ، الى التخصص فى كل أسلوب . . ومع ذلك فالتخصص الكامل فى أسلوب واحد .. والاقتصار عليه دون ارتباطه بالأساليب الأخرى يكون ضد طبيعة الأشياء .. خصوصا وأن المتخصص يعمل فى الحقل الاجتماعى . . أى أنه لايعمل فى فراغ .. بل يعمـــل فى محيط بنى الانسان .. على اختلاف فئاتهم وطبقاتهم وظروفهم وقيمهم واتجاهاتهم .. وأهدافهم . وأن هذا المتخصص ، وهو يعمل فى الحقل الاجتماعى ، يواجه ثورة اجتماعية ..

ونحن نرى أنه على الرغم من اتصال طرق الخدمة الاجتماعية المهنية بعضها ببعض ، فان ظروف المجتمع القائمة قد تفرض أولوية استخدام طريقة على استخدام أخرى .. أى أننا نرى أنه اذا كان المجتمع يحاول أن يحقق أهداف ثورته الاجتماعية كمجتمعنا فى الوقت الحاضر ، فانه يختار الأسلوب أو الأساليب التى تيسر هـــذا التحقيق .. فاذا كان المجتمع يبنى فالأسلوب الذى يساعد على هذا البناء أولى من الأسلوب الذى يهدف الى الوقاية .. والأخير أولى من الأسلوب الذى يهدف الى العلاج .. فاذا كان البناء والوقاية والعلاج ، كلها ، أهداف متصلة بعضها ببعض .. أى أنها متداخلة .. وتحقيقها مطلوب فالملاحظ أن البناء ييسر الوقاية وأن الوقاية خير من العلاج . . والملاحظ ، أيضا ، أن بعض المجتمعات تكتفى بسيادة الأسلوب العلاجى ، المجتمع الرأسمالى يفعل ذلك . . والمجتمع الاقطاعى يفعل ذلك . . وكان مجتمعنا قبل الثورة يفعل ذلك ..

وطرق الخدمة الاجتماعية المهنية .. على الرغم من اتصالها بعضها ببعض .. وعلى الرغم من إرتباطها .. فان كل طريقة لها ذاتيتها .. ومن ثم فان كل طريقة لها تعريفها .. ولها مجالاتها التى تطبق فيها .. ويلاحظ أن تعاريف طرق الخدمة الاجتماعية متعددة .. وهى مازالت ، فى الاغلب الاعم ، تعاريف أجنبية .. كما يلاحظ أن طرق الخدمة الاجتماعية تدرس ، فى بلادنا ، كما استوردت .. أى بلا تقنين .. أقصد أنها تدرس ، على المستوى النظرى ، كما لوكانت نابعة من ظروفنا الاجتماعية .. وذلك على الرغم من أن تطبيق هذه الطرق فى الواقع الحى ، كما تدرس ، يشوبه الانحراف . كما يشوبه الاجتهاد .. أقصد إجتهاد التطبيق .. والأمثلة على ذلك كثيرة .. يعرفها كل من مارس تطبيق إحدى هذه الطرق . أو كلها .. كما يعرفها الكاتب .. فى ضوء خبرته فى ميدان الخدمة الاجتماعية فى محيط الاحداث الجانحين .. وفى ميدان البحث الاجتماعى . ونحن ندعو الى القيام بالبحوث العلمية فى هذا المجال .. حتى نستطيع أن نقيم طرق الخدمة الاجتماعية المهنية ، كما تطبق فى مجتمعنا ، تقييما عمليا .. تمهيدا لتقنينها وفقا لظروف مجتمعنا .. وأجهزة قيمه .. فى الريف وفى الحضر .. وفى مجتمع البداوة ..

ومهما يكن فالكاتب لايدعى أنه قام بهـــذا التقييم أو بهذا التقنين .. كل ما يدعيه أنه ، فى ضوء خبرته ، يرفع عقيرته وينادى بهذا التقييم وهذا التقنين .. ويرجو المتخصصين أن يفعلوا ذلك .. ويلح فى هذا الرجاء ..

وتعنى طرق الخدمة الاجتماعية المهنية إذ يستخدمها الاخصائى الاجتماعى وجود علاقة مهنية بين الاخصائى الاجتماعى وبين من يتعامل معهم من العملاء .. الاشخاص أو الجماعات .. أى أنها تعنى وجود رابطة معينة تقوم بين الاخصائى الاجتماعى وبين عملائه .. أى وجود تفاعل أجتماعى معين بينهم ..

والعلاقة المهنية موجودة دائمـــا فى كل المهن . . فهى موجودة بين الطبيب ومريضه . . وبين المدرس وتلميذه . . وبين المحاسب وعميله . . وبين المحامى ووكيله . . وفى مهنة الخدمة الاجتماعية تكون العلاقة المهنية ضرورة أساسية . . فهنة الخدمة الاجتماعية تعمل فى الحقل الإجتماعى . . أى فى محيط الناس . . أى انها . . أى مهنة الخدمة تعمل دائما ، إذ تعمل ، وهى فى علاقات إجتماعية . . وهى تستند ، بالضرورة ؛ على هـذه العلاقات الاجتماعية . . العلاقات الإنسانية . . ومن ثم فالعـــلاقة المهنية ، بالمعنى السابق ، فى ميدان الخدمة الإجتماعية ، ذات أهمية خاصة . . فهى مهمة إذا كان الاخصائى اجتماعى يدرس . . وهى مهمة إذا كان يشخص . . وهى مهمة إذا كان يقوم بعمليات التنمية الاجتماعية أو الوقاية أو العلاج . .

وأسس تـكوين العلاقة المهنية ، فى ميدان الخدمة الاجتماعية ، عديدة . . منها توفير الثقة المتبادلة بين الاخصائى الاجتماعى وعملائه . . ومنها توفير التفاهم المتبادل بينهم . . فضلا عن توفير الشعور الايجابى المتبادل بينهم . ويكون توفير كل ذلك فى إطار من الموضوعية . . أى فى إطار تطبيق المنهج العلمى فى تناول كل الأمور وبهدف التغيير إلى ما هو أفضل .

والعلاقة المهنية . . فى ميدان الخدمة الاجتماعية على وجه الخصوص . . وسيلة لتحقيق غاية . . غاية إنسانية (التغيير إلى ماهو أفضل) . . فهى ليست علاقة شخصية . . أى ليست غاية فى حد ذاتها . . وفى هذا الضوء نجـدها علاقة مؤقته ولا تهدف الى النفع المادى .

وإذا كانت طرق الخدمة الاجتماعية المهنية . . طرقا تتخذ المنهج العلمى منهجا

لها .. فانها فى ضوء مفاهيمها المستوردة .. لها إهتمامات معينة .. ومبادىء .. وخطوات .. وفضلا عن ذلك لها مجالات تطبيق .. وسنقصر الحديث فى الفصل الحـــالى على اهتمامات طرق الخدمة الاجتماعية المهنية ومبادئها وخطواتها ومجالات تطبيقها .. كل طريقة على حدة .. واهتمامات هـذه الطرق تنحصر ، عادة ، فى الشخص الفرد وفى الجماعة وفى المجتمع .. وهذه التفرقة ، كما يلاحظ القارىء ، تفرقة تعسفية .. فالشخص الفرد ، كما سبق أن أوضحنا ، لا يتصور أنه يعيش فى فراغ .. فهو يعيش فى جماعة أو فى جماعات .. وهذه كلها تعيش فى المجتمع .. بل هى قوام المجتمع .. كل واحـد منا يبدأ ظهوره فى المجتمع ، أول ما يبدأ ، فى أسرة عادية ، أو فى أسرة بديلة .. أى فى جماعة .. وهذه الاسرة تعيش فى حى فى المدينة .. أى فى مجتمع محلى ، أو تعيش فى ناحية من نواحى القرية .. وهذا الحى أو المجتمع المحلى .. يرتبط بغيره من الاحياء أو المجتمعات المحلية فى المدينة . وهذه القرية تتصل بغيرها من القرى .. وما المدينة او القرية إلا جماعات .. جماعات ذات مصالح .. او منظمات إجتماعية مثل المنظمات الدينية والتربوية والاقتصادية .. ، وما المدينة او القرية إلا جماعات قد تعيش فى طبقات او قد تحاول ان لا تعيش فى طبقات . وما المدينة او القرية إلا جماعات يظلل اعضاءها مناخ اجتماعى معين .. مناخ إجتماعى قوامه العقائد والقيم الاجتماعية والمثل العليا .. وما المجتمع إلا مجموعة كل ذلك .. جماعات تعيش فى مجتمعات محلية .. حياة جماعية .. اى يعمل اعضاؤها فى جماعة .. ويتعـاونون ويتصارعون .. ويظللهم مناخ اجتماعى ثقافى معين .

وفى ضوء كل ما سبق .. سيتحدث الـكاتب فى الصفحات التالية عن طرق الخدمة الاجتماعية المهنية ، على علاتها ، اي في ضوء ما كتب عنها فى كتب الخدمة

الاجتماعية .. الاجنبية .. وفى ضوء ترجمة ما كتب عنها الى اللغة العربية فى كتب الخدمة الاجتماعية .. العربية .. وربما تجاسر وتحدث عن هذه الطرق فى ضوء بعض خبراته .

وسيهتم الكتاب الحالى بطرق الخدمة الاجتماعية المهنية الآتية :

- طريقة خدمة الفرد ومجالاتها .
- طريقة خدمة الجماعة ومجالاتها .
- طريقة خدمة المجتمع ومجالاتها .

٢ ـ طريقة خدمة الفرد ومجالاتها

إن طريقة خدمة الفرد . . طريقة قديمة نسبيا . . وعبارة خــدمة الفرد (Casework) استخدمت أول مااستخدمت منذ نحو مائة عام،ولكنهامنذ وقت غير بعيد أصبح تداولها لصيقا بالاخصائيين الاجتماعيين[1] .

وسنحاول فيما يلي معالجة بعض الموضوعات . . أهمها :

أولا ـ اهتمامات طريقة خدمة الفرد .

ثانيا ـ مبادىء طريقة خدمة الفرد .

ثالثا ـ خطوات طريقة خدمة الفرد .

رابعا ـ مجالات تطبيق طريقة خدمة الفرد .

أولا ـ اهتمامات طريقة خدمة الفرد :

وطريقة خدمةالفرد، كاحدى طرق الخدمة الاجتماعية المهنية ، تهتم بالأفراد . أيأن الاخصائي الاجتماعي في خدمة الفرد يتعامل دائما مع أفراد . أي أنه . . أي الاخصائي الاجتماعي يحاول ، بصفة عامة ، مساعدة الأفراد . . وهنا نقف لحظة عند مفهوم « الفرد » . ما المقصود بالفرد ؟ هل كل فرد له شخصية ؟ ما الفرق بين الفرد وبين الشخص ؟ . . إن مفهوم الفرد يستخدم عادة في عــلم النفس . . وخصوصا في علم النفس الفردي . . ويلاحظ أن معناه يقتصر على إنسان ما . . طفلا كان أو صبيا أو شابا أو كهلا أو شيخا . . يعامل معاملة الكائن الحي في

(1) Social Casework : Principles and Practice, P. 2.

ذاته . أى ككائن حى دون الالتفات الى واقعه الاجتماعى ومايقوم به منأدوار اجتماعية فى المجتمع .. ودون الالتفات الى تأثير هذا الواقع الاجتماعى وهـــذه الادوار الاجتماعية عليه .. وفى ضوء تطور علم النفس أصبح الاهتمام الآن بـ «علم النفس الاجتماعى» ، وعفى الزمان على ما كان يقال عنه «علم النفس الفردى» .. ويلاحظ ، أيضا ، أنه ليس كل فرد شخصا .. أى ليست لكل فرد شخصية .. فالطفل ، مثلا ، فرد لم تتكون شخصيته بعد .. وتزداد شخصية كل شخص نموا كلما نما جسميا ونضج عقليا وعاطفيا ، وكلما نمت خبراته الاجتماعية ، أى كلما ازدادت علاقاته الاجتماعية ، واتسعت مجالاتها، أى كلما تعددت أدواره الاجتماعية التى يؤديها للمجتمع الذى يعيش فيه .. ويعتمد تعدد الأدوار الاجتماعية على النمو الجسمى والنضج العقلى والعاطفى .. والعكس صحيح . وكلما ازداد تعدد الأدوار الاجتماعية عند شخص زادت مكانته الإجتماعية . وتقل مكانة الشخص الإجتماعية كلما قلت ادواره الاجتماعية التى يؤديها للمجتمع الذى يعيش فيه . وترجع قلة الادوار عند شخص الى عوامل عدة .. منها المرض المزمن ، الجسمى أو النفسى أو العقلى .. ومنها الشيخوخة (١) .

ويلاحظ أن كل شخص فريد فى نوعه .. فلا يوجــــد شخصان لهما نفس السمات .. أقصد نفس السمات الشخصية .. والأشخاص كالحيوان وكالنبات .. وحتى كالجماد . مختلفون ومتباينون . والحيوانات كذلك .. وأنواع النباتات كذلك .. وحتى الذرات .. نجد كل أولئك على اختلاف وعلى تباين .. وأن وجد مع هذا الاختلاف والتباين فى محيط الانسان والحيوان والنبات والجماد ، تشابه .. أى سمات متشابهة ..

---

(١) سيد عويس : مذكرات يوغسلافيه انطباعات وحقائق وآراء — القاهرة ١٩٦٤ صفحة رقم ٩

ونستخلص من ذلك أن الاخصائى الاجتماعى الذى يستخدم طريقة خدمة الفرد وهو يتعامل . . يتعامل ، فى الأغلب الاعم ، لا مع أفراد ولكن مع أشخاص . . أى مع أفراد لهم شخصيات . . وأن كل شخص فريد فى نوعه . . أى أنه يختلف عن الشخص الآخر . . وإن وجد مع هذا الإختلاف بينهما بعض أوجه التشابه بينهما . . أى بعض السمات المتشابهة بينهما .

ويؤيد ما سبق أن التعبير الانجليزى لهذه الطريقة لا يعطى معنى « الفرد » ولكن معنى « الحالة » والحالة غير الفرد . . إن مفهوم الحالة يعطى معنى أكثر ثراء وأكثر حيوية . . وأكثر ديناميه . . لأن الحالة هنا تعبر عن الشخص وهو بالضرورة أكثر ثراء من الفرد وأكثر حيوية وأكثر دينامية خصـــوصا إذا لاحظناه وهو يحيا . . أى يعيش فى علاقات إجتماعية دائمة . . وليس فى فراغ . ولعل التعبير « طريقة خدمة الحاله » أولى وأقرب إلى الواقع . . ولعل التعبير « طريقة خدمة الشخص » يكون كذلك . . فكل الناس . . أقصد أعضاء المجتمع اشخاص وبعضهم أقصد الأطفال أفراد تتكون شخصياتهم .

والمقصود باهتمام طريقة خدمة الفرد بالافراد . . الأشخاص . . . عند بعض المتخصصين ، هو مساعدتهم على حل مشاكلهم حتى يتكيفوا مع البيئة التى يعيشون فيها بصورة أفضل . . ويرى الكثير من هؤلاء المتخصصين أن مهمة المساعدة تقتصر على الأفراد الذين فقدوا القدرة على حل مشاكلهم بأنفسهم لضعف قدرتهم على مواجهة ظروف الحياة التى عجزوا بسببها عن التلاؤم مع المستويات السائدة فى المجتمع . . ويضربون الامثلة على هذه الظروف بالازمات المالية . . واعتلال الصحة . . والتفكك الذى يصيب أسرهم . . أى المشكلات التى تشكل ضغوطا إجتماعية على كاهل هؤلاء الافراد .

وقد سبق أن أوضحنا مفهوم التكيف الاجتماعى فى الصفحات السابقة . . وأكدنا غموض هذا المفهوم . . كما أوضحنا أن الشخص قد يكون متكيفا مع بيئته . . ومع ذلك فهو شخص مشكل (الشخص الذى يعيش فى مجتمع محلى تسوده ظاهرة الثأر مثلا) أو أن يبدو الشخص غير متكيف مع بيئته ومع ذلك فهو شخص أبعد من أن يكون شخصا مشكلا . . (الفنانون مثلا) .

أما مفهوم المشكلة الإجتماعية فهو يعنى وجود موقف إجتماعى يستلزم الحاجه إلى تحسينه أو علاجه . . والمشكلة الإجتماعية نوعان :

١ - نوع ينبت من ظروف المجتمع أو البيئة الإجتماعية ، ويشمل عيوب الاشخاص وعدم تكيفهم . . وعيوب الأسر والجماعات الصغيرة ومن أمثلة هذا النوع : (المرض والفقر والرذيلة) .

٢ - نوع ينبت من عيوب البناء الإجتماعى للمجتمع . . وليس فى طاقة شخص واحد أو حتى جماعة صغيرة اصلاح هذه العيوب . . ومن أمثـــلة هذا النوع : (الحروب والبطالة الدورية والفساد السياسى) .

ويلاحظ أن علاج النوع الاول يكون عادة عن طريق برامج الرعاية الإجتماعية أما علاج النوع الثانى فيكون عن طريق التخطيط الإجتماعى والهندسة الإجتماعية.

ويلاحظ ، أيضا ، أنه على الرغم من أن هذين النوعين من المشاكل قد يندمجان ويظهران سمات مشتركة ... فان المتخصصين فى طريقة خدمة الفرد... عندما يتحدثون عن مشاكل الاشخاص يعنون ، عادة ، المشاكل من النوع الاول فقط . . أى المشاكل التى تنبت من البيئة الإجتماعية بمعناها الضيق (١) .

---

1 - Henry Fairchild " Dictionary of Sociology and Related Sciences", Littlefield Adame and Co., 1955, P. 289

ويعنى مفهوم « الرعاية الاجتماعية » الاهتمام الموجه الى خــير الأشخاص والجماعات . ويلاحظ أن الرعاية أنواع .. منها الرعاية الشخصية ، ومنها الرعاية الإجتماعية ، ومنها رعاية الطفولة .. ومنها الرعاية العامة .. التى تعنى أول ماتعنى بمعالجة المشاكل الاجتماعية المتعلقة بالأشخاص وبالأسر . . وكذلك بالتخطيط الإجتماعى ..(١)

والغرض من الرعاية الاجتماعية هـو تحسين الشخص والمجتمـع . وتتوقف السياسة العامة للرعاية الإجتماعية للأشخاص والمجتمعات ، الى حـــد ما ، على المبادىء التى تحدد مسئولية المجتمع والدولة فى العمل على رفاهية أعضائها .. وقد حدد هذه المبادىء ، فى بلادنا ، الميثاق ... وهى مبادىء عريضة قد انبثقت من واقعنا ، وصممت فى ضوء النظرة الإشتراكية بأســـلوب تطبيقها العرفى .. فى وضوح ودون ما لبس أو ابهام .. وفى المرحلة الحالية من عمل بلادنا نحاول أن نطبق هذه المبادىء .. كل فى مجاله .. وكل فى ميدانه .. وكل فى دوره ..

وقد اتخذنا نمط « التخطيط الاشتراكى » لنا وسيلة الى قيام مجتمع أفضـل يعيش فيه الأشخاص والجماعات تحت ظل السعادة والطمأنينة والعدالة والانصاف .. اتخذنا هذا النمط من التخطيط لأنه « الطريقة الوحيدة التى تضمن استخـدام جميع الموارد الوطنية المادية والطبيعية والبشرية بطريقة عملية وعلمية وانسانية لكى تحقق الخير لجموع الشعب وتوفر لهم حياة الرفاهية ، وهو الضمان لحسن إستغلال الثروات الموجودة والكامنة والمحتملة ، ثم هـــو فى الوقت ذاته ضمان توزيع

---

(١) سيد عويس : رعاية المجرمين الكبار — مجلة كلية الشرطة ، العدد الحادى عشر يوليو ١٩٦٤ صفحات ١١٠ — ١١٨

الخدمات الأساسية باستمرار ورفع مستوى ما يقدم منها بالفعل ، ومد هذه الخـــدمات الى المناطق التى افترسها الاهمال والعجز نتيجة لطول الحرمان الذى فرضته أنانية الطبقات المتحكمة المستعلية على الشعب المناضل » (١)

أى أن التخطيط الاشتراكى ، فى بلادنا ، عملية مقصودة ووسيلة لنقل مجتمعنا من صورة الماضى المظلم الى صورة المستقبل المشرق .. فهو « عملية خلق علمى منظم يجيب على جميع التحديات التى تواجه مجتمعنا .. وهو ليس مجرد عملية حساب الممكن .. لكنه عملية تحقيق الأمـل » (٢)

ومفهوم « الهندسة الاجتماعية » مفهوم يعنى بتطبيق القوانين والمبـــادىء الاجتماعية المحققة بقصد تحقيق بعض الأغراض الاجتماعية . ويختلف هذا المفهوم عن مفهوم « الاصلاح الاجتماعى » فى أنه يهتم بالبناء الإجتماعى للنظام الاجتماعى وليس بخلله الوظيفى فحسب .. فضلا عن اهتمامه .. أى اهتمام مفهوم الهندسة الاجتماعية .. بخلق أنمـاط إجتماعية جديدة ونماذج إجتماعية جديدة وليس مجرد عملية تواؤم أو تكييف السلوك الإنسانى فى المجتمع وفقـــا للمعايير الاجتماعية السائدة فيه ..

إن الهندسة الإجتماعية تعنى ، أولا وقبل كل شىء ، بالحل العلمى للمشاكل القائمة ثم بتطبيق هذا الحل العلمى بنجاح .. وإذا كان المهندسون غير الإجتماعيين

---

(١) « الميثاق — وقانون الاتحـــاد العربى » الدار القومية للطباعة والنشر ، ١٩٦٢ — صفحتا ٥٣ — ٥٤ .

(٢) نفس المرجع : صفحة ٥٤ .

يتعاملون مع المادة فى أشكالها المتعددة ، فان المهندس الاجتماعى يتعامل مع البشر .. والقوى التى يستخدمها هى القوى الاجتماعية (١)..

والسؤال الذى يحير الكاتب هو : هل تقتصر اهتمامات طريقة خدمة الفرد .. على الأشخاص المشكلين . . أو على الأشخاص أصحاب المشاكل . . أيا كان نوع هذه المشاكل ؟ إن الإجابة على هذا السؤال بالإيجاب لا يمكن أن يقبلها أخصائى إجتماعى يعيش فى مجتمعنا المصرى العربى المعاصر .. ان الإجابة على هذا السؤال بالإيجاب تعنى أن العلاج .. والعلاج وحده هو كل اهتمامات طريقة خدمة الفرد ... وهى تعنى ، أيضا ، أن الوسيلة إلى قضاء مشاكل الأشخاص... أو الاشخاص المشكلين هى مواجهة مشاكل الأشخاص وحدها والأشخاص المشكلين وحدهم ..

إن مجال التنمية الإجتماعية فى محيط المادة البشرية ، فى مجتمعنا، أشخاصا كانت هذه المادة أو جماعات ، هو أولى المجالات بالاهتمام .. وطريقة خدمة الفرد لها ما فى ذلك من شك قسط وأى قسط فى هذا المجال .. وأهداف هذا المجال هى تكوين المواطن الاشتراكى،فى ضوء تحديد السمات الشخصية الضرورية لشخصيته الإنسانية ، من حيث نواحيها الجسمية والعقلية والعاطفية والإجتماعية .. مع الأخذ فى الاعتبار مستوى نضج هذه النواحى الضرورى حتى يكون شخصا صحيحا ناميا ، ويحب الخير والكرامة الاجتماعية ، ويستطيع أن يواجه قوانين السلوك العامة ، ويستجيب للمواقف الإنسانية المتعددة إستجابة سليمة . ويكون مدربا على فن الحياة الاجتماعية ، ويستطيع أن يهنأ بالكفاح والعمل وبأداء الخدمات العامة .. أى ليستطيع ، كشخص،أن يؤدى أدواره الاجتماعية فى ضوء مايتوقعه منه المجتمع الجديد ...

(1) Dictionary of Sociology and Related Sciences :P.282

ونحن نرى ما يراه السيد الرئيس جمال عبد الناصر من أن « بناء المصانع سهل وبناء المستشفيات سهل ، ولكن العسير هو بناء الإنسان . بناء الأفراد والمجتمعات » ولكن مجال بناء الإنسان ، فى رأينا ، هو التنمية الإجتماعية فى محيط المادة البشرية أى البناء الإيجابى . . ولا يمكن أن تكون مسئولية بناء الاشخاص تقع على عاتق الخدمة الإجتماعية « بالقضاء على الآفات الإجتماعية التى تعوق الإندفاع الإشتراكى » فحسب (١) . . إن وضع الأسس السليمة للتنمية الإجتماعية فى مجتمعنا ، أيا كان مجالها ، هو فى ذاته ، بفضل إيجابيته ، قضــاء على الآفات الإجتماعية بأشكالها وألوانها وأنماطها . . إن الشخص منا لا يولد وعنده هذه الآفات الإجتماعية . . إنه يصنع . . أى يصنعه المجتمع . . على علاته . . ، فالقضاء على المشاكل الشخصية يجب أن يواجه فى المجتمع . . الذى يصنع الاشخاص . . ويصنع الجماعات . . فما نحن ، أعضاء المجتمع ، ألا نتاج الظروف الإجتماعية التى نعيش فيها . . والخبرات الإجتماعية التى نتمثلها نتيجة لهــذه الظروف الإجتماعية . . إن أى شخص منا لم يختر عن طواعية أباه وأمه . . وهو لم يختر اللغة التى يتحدث بها ولم يختر أيضا دينه الذى يعتنقه . . ولم يختر كذلك جهاز قيمه الإجتماعية . . إن « الآخرين » (الآباء والرؤساء ومن فى حكمهم فى المجتمع أى رموز ولسان حال النظام الإجتماعى) يكونون جــزءا من كل شخص منا . . . أى أن سلوكنا واداء أدوارنا الإجتماعية يكونان ، عادة ، فى حدود النظام الإجتماعى الذى نعيش فيه (٢) .

---

(١) أصول خدمة الفرد . صفحتا هـ ، و

(٢) سيد عويس : السلوك الانسانى : محاولة تفسيره : مجلة الخدمه الاجتماعية السنة الثانية العدد الثانى ، ابريل ١٩٦٠ صفحة ١٦ .

والخلاصة أننا نرى أن طريقة خدمة الفرد لا يمكن أن يكون هدفها العلاج فحسب .. ولا أن يكون العلاج .. أقصد علاج الاشخاص المشكلين ومشاكل الاشخاص وآفاتهم الإجتماعية .. هو مواجهة هؤلاء الاشخاص وهذه المشاكل والآفات فحسب .. وسنرى فى الصفحات التالية ما يؤكد ذلك .

وفى ضوء كل ما سبق .. فاننا إذ نرفض قبول بعض تعريفات طريقة خدمة الفرد ، فاننا نتحفظ فى قبول بعضها .. ونقر البعض الآخر . فنحن نرفض ، مثلا ، تعريفا كالتعريف الآتى :

١ - خدمة الفرد طريقة لمساعدة العميل فى حل مشكلته حتى يتكيف بصورة أفضل (١) ونحن نتحفظ فى قبول بعض تعاريف طريقة خدمة الفـــــرد ، ومن هذه ما يلى :

٢ - خدمة الفرد فن مساعدة العميل فى تنمية قدراته الشخصية والإستفادة منها فى تناول المشكلات التى يواجهها فى بيئته الاجتماعية (٢) .

فنحن إذ نقبل ، مرحبين ، أن تكون طريقة خدمة الفرد أسلوبا من أساليب تنمية قدرات العميل (الشخص) .. فاننا نرفض كونها فنا يستخدم الأسلوب الفنى .. إن أهم سمة من سمات الفنان هى التعبير الذاتى .. أى أن الفنـــان تكون لديه طاقة فنية يستخدمها فى التعبير الذاتى .. ويلاحظ أن كل إنسان لديه هذه الطاقة .. ولكن طاقة الفنان أكثر إرهافا من غيره ، وهو .. أى الفنان .. يدرب هذه الطاقة على الدوام .. وهو إذ يستخدمها فى مجالاته الفنية

---

(١) صالح الشبكشى : أسس خدمة الفرد ، القاهرة ١٩٥٩ ، ص ١٤ .

(٢) المرجع السابق ، صفحة ١٦

يزيدها تدريبا ويزيدها ارهافا . . والأخصائى الإجتماعى الذى يستخدم طريقة خدمة الفرد أو إحدى طرق الخدمة الاجتماعية المهنية الأخرى . . لا يكون فنانا . . لأنه إذ يستخدم هـــذا الاسلوب ، وهو أسلوب يعتمد على أسس علمية ، يستخدمه ، بالضرورة ، إستخداما موضوعيا . . أقصد لا يستخدمه إستخداما ذاتيا . . إنه . . أى الأخصائى الاجتماعى يبحث دائما عن الحقائق . . يفعل ذلك وهو يدرس الموضوع . . الحالة . . المواقف . . العلاقات الاجتماعية . . الظواهر الاجتماعية . . الخ . . وهو يفعل ذلك ، أيضا وهو يشخص . . وهو يفعل ذلك دائما . . عندما يضع برامج التنمية والبرامج الوقائية والبرامج العلاجية على السواء . . إنه . . أى الأخصائى الاجتماعى لابد أن يكون مدربا على البحث عن الحقائق دائما . . وهو اذ يعمل . . يكون وراء الحقائق دائما . . وكلما نجح فى ذلك . . أى فى البحث عن الحقائق . . كلما كان الى النجاح فى عمله أقرب . . مثله مثل أى شخص يطبق المنهج العلمى فى أى مجال . . وقد سبق أن أوضحنا أن مهنة الخدمة الاجتماعية وإن بدا الجانب التطبيقى فيها واضحا جليا ، فانه تطبيق علمى . . وهى ترتكز ، أولا وقبل كل شيء ، على نتائج البحـــوث العلمية والدراسات العلمية فى ميادين العلوم الانسانية وبعض العلوم المادية . . وهى فضلا عن ذلك ، إذ تقوم بعمليات التطبيق العلمى لهذه النتائج قد تيسر تعديل ما فيها من نظريات . . أو تيسر اثراءها . . أو ابراز نظريات أخرى جديدة . .

ويلاحظ أن التطبيق العلمى لا يعنى التطبيق الميكانيكى (١) . إن العـــالم وهو

(1) Swithun Bowers, "The Nature and Definition of Social Casework" in Principles and Techniques in Social Casework, New york, 1953, P. 125.

يحاول التغيير الى الأفضل يحاول أن يجيب على السؤال لماذا ؟ والسؤال كيف ؟ انه يجمع البيانات التى تساعده على هذه الإجابة .. البيانات الموضوعية لاالبيانات الذاتية .. انه لا يبتكر .. أى أنه لا يخلق .. إنه وراء الواقع الحى للموضوع الذى يدرسه (إنسانا كان أو مادة) .. وتيسر ذلك الأساليب التى تساعده على جمع هذه البيانات ، والأدوات التى تساعد على تحقيق هذا الهدف .. وكلما كانت هذه الأساليب وهذه الأدوات دقيقة ومرهفة . . كلما كانت البيانات المجموعة أكثر موضوعية . . وكلما كان تطبيق هذه الأساليب واستخدام هذه الأدوات دقيقا ومرهفا . كلما كانت البيانات المجموعة أكثر موضوعية . والأساليب والأدوات المستخدمة تختلف ، كما يعلم القارىء ، باختلاف الموضوع المدروس ، سواء كان هذا الموضوع إنسانا أو مادة ..

فنجد : مثلا ، أن موضوع الدراسة عند تطبيق طريقة خدمة الفرد هو الانسان : . ونحن نعرف . . والأخصائى الاجتماعى ، أول من يعرف ، أن الناس مختلفون . . لأن ظروفهم الاجتماعية والثقافية مختلفة . . ولأن عوامل تكوينهم ، أيضا ، متباينة : . أى أن هذا الاختلاف وهذا التباين مأخوذ فى الاعتبار عند التعامل مع الانسان . . أى عندما يتعامل الأخصائى الإجتماعى مع هذا الانسان . . أى عندما يطبق طريقة خدمة الفرد على حالة هذا الانسان . . أى أن أهمية فردية العميل متفق عليها . . ولكن المهم أن يتضح أن طريقة خدمة الفرد هى « أسلوب فى التعامل وفى تقديم الخدمات يعتمد على أسس علمية »(١).

ونجد ، كذلك ، أن الباحث العلمى وهو يتعامل مع المادة لكى يدرسها

---

(١) أصول خدمة الفرد : صفحة ١٩ .

ويحاول أن يتسلط عليها ويوجهها ، يطبق الأساليب التى تساعده على جمع البيانات الموضوعية التى تيسر له هذه الدراسة وتساعده على هذا التسلط وعلى هذا التوجيه . . فالظاهرة الفلكية لها أساليب جمع بيانات معينة . . والظاهرة الكيميائية لها أساليب معينة أخرى . . الخ . .

وكل أسلوب يتخذ المنهج العلمى هاديا . . لا يمكن أن يكون أسلوبا فنيا . . أو أسلوبا ميكانيكيا . .

وفى ضوء ما سبق . . جدير بنا أن نتحفظ ، أيضا ، فى قبول التعريف التالى :

٣ ـ خدمة الفرد هى الفن الذى يعتمد على علوم العلاقات الانسانية والمهارة فى تكوين العلاقات المهنية فى إيقاظ قدرات الفرد وتحريكها والاستفادة من الموارد الموجودة فى المجتمع ، ليتمكن من التكيف الأفضل مع كل بيئته الكلية أو بعضها ... (١)

ومن تعاريف طريقة خدمة الفرد التى نقبلها دون ما تحفظ كبير . . التعريف التالى :

٤ ـ خدمة الفرد هى الطريقة المؤسسية لتنبيه واستثمار قدرات الأفراد للنضج الاجتماعى للاستفادة من إمكانياتهم وإمكانيات المجتمع للتغلب على العقبات الاجتماعية التى تعترضهم . . (٢)

أن هذا التعريف ، وهو تعريف صاغه متخصص مصرى . . يعتبر خطوة

---

(١) The Nature and Definition of Social Casework ; P;127

(٢) أصول خدمة الفرد . صفحة ٢٠

فى سبيل تحديد اهتمامات طريقة خدمة الفرد كما نرجو أن يكون هذا التحديد ... فهو يهتم بتنبيه قدرات العملاء واستثمارها للنضج الاجتماعى . وهـــذه ، كلها ، إهتمامات إنسانية رائعة . . اهتمامات إيجابية . . ولكن يلاحظ أنها اهتمامات من أجل الاستفادة من إمكانيات العملاء أولا . . حتى إذا ما عجزت امكانياتهم عن أن تسد احتياجاتهم التجأ الأخصائى الاجتماعى وعملاؤه الى البحث عن موارد المجتمع الخارجى للاستفادة منها... وأن جميع الجهود التى يبذلها الاخصائى الاجتماعى مع عملائه تهدف الى مساعدتهم على تخطى العقبات الاجتماعية التى تعترض حسن تكيفهم ... والأهداف الأخيرة أقصد «المساعدة على تخطى العقبات الاجتماعية التى تعترض حسن التكيف » ، مع ضرورتها ، ليست كل الأهداف فى ضوء ظروفنا التاريخية الحالية ... أقصد أنها لا يمكن أن تكون كل أهداف طريقة خدمة الفرد فى مجتمعنا الثائر . . مجتمعنا الذى يواجه ثورة إجتماعية عارمة ... مجتمعنا الذى يواجه عمليات اختيار المادة لبشرية الصالحة ... وتدريبها فى كل المجالات ... فى الجيش ... فى المؤسسات العامة ... فى الاتحاد الاشتراكى ... وفى غـــيرها ... وعمليات البحوث الإجتماعية التى تستند عليها عملية التخطيط الاشتراكى... وغيرها... وكلها عمليات مقصودة أى أنها عمليات منظمة واعية تهدف الى نقل مجتمعنا من صـورة الماضى المظلم إلى صورة المستقبل المشرق . .

ثانيا ـ مبادىء طريقة خدمة الفرد :

ومما ييسر للاخصائى الاجتماعى دراسة الشخص الفرد ... أى دراسة العميل ... حتى يتيسر له فهمه ... ومن ثم توجيهه ... أى تنميته ... أو رسم خطه وقائيه له أو خطة علاجية له ـ قيامه ... أى قيام الاخصائى الاجتماعى وهو يعمل على هدى بعض المبادىء... وأهم هذه المبادىء فى ضوء بعض ما يراه المتخصصون.. مايلى

١ ـ التقبـــل .

٢ - البدء مع العميل حيث يكون .

٣ - إحترام العميل .

٤ - حق تقرير المصير .

٥ - السرية .

ويقصد بالتقبل ، كمبدأ من مبادىء طريقة خدمة الفـــرد ، أن الاخصائى الاجتماعى وهو يتعامل مع عميله سواء كان هذا العميل عميلا مشكلا أو عميلا يواجه مشاكل معينة . . أو كان العميل تحت اشراف الاخصائى يرعاه ويحـــاول تنمية شخصيته على أسس سليمه . . أو كان العميل موضوع إختيار لمهنة معينة أو لتدريب معـين . . أو كان العميل موضوع الدراسة فى أحـد البحوث العلمية - انه . . أى الاخصائى الاجتماعى وهو يتعامل مع أى من هؤلاء العملاء . . يتقبل كل واحد منهم على علاته . . أى بصرف النظر عن انماط مشاكلهم الاجتماعية . . وبصرف النظر عن ظروفهم الاجتماعية والثقافية . . وحتى التكوينية . . أى مهما كانت مكانتهم الاجتماعية . . أى مهما كانت مستوياتهم الاقتصـــادية والتعليمية . . ومهما كانت أنواع مهنهم . . ومهما كان مستوى الحى أو الناحية التى يسكنون فيهـــا . .

ويعنى التقبل ، هنا . . أقصد تقبل الاخصائى الاجتماعى للعملاء أنه يعاملهم كآدميين . . كأعضـاء فى المجتمع الذى يعيشون فيه . . كأناس يواجهون مواقف معينة . . مواقف عادية أحيانا . . أو مواقف غير عادية أحيانا أخرى ، على أن تكون هذه المعاملة . . معـاملة الاخصائى الاجتماعى . . فى إطار موضوعى . . فهم . . أى العملاء . . عنده . . موضوع إهتمامه . . وهو لا يتحيز لأحد منهم . . أو يتحامل على أحد منهم . . يحس باحساسهم . . أو يحـــاول ذلك . . ويقدر

شعورهم .. وينجح ، وهذا هو المهم ، فى أن يكسب ثقتهم .. أى ينجح فى أن يتقبله كذلك .. هؤلاء العملاء .. أى أن التقبل لا يكون من جانب الاخصائى الاجتماعى وحده .. بل يجب أن يكون التقبل مشتركا .. أى من الجانبين .. جانب الاخصائى الاجتماعى وجانب العميل جميعا ..

وتهدف عملية التقبل هذه الى تيسير التعامل بين الاخصائى الاجتماعى وبين العميل .. حتى تتيسر عملية فهم العميل .. ومن ثم توجيهه الى ما هو أفضل .. ويلاحظ القارىء قولنا «توجيهه» ولم نقل « الإملاء عليه » أو دفعه أو الزامه .. إن عملية التقبل عملية بداية .. تمهد الى عمليات أخرى تاليه .. إن هدفها التمهيد لإنشاء علاقة سليمة بين الاخصائى الاجتماعى وبين العميل ..

ومبدأ « البدء مع العميل حيث يكون » يوضحه أن العميل .. أى عميل .. إن هو إلا كائن اجتماعى حى .. أى أنه نتاج ظروفه التى عاشها منذ أن ولد .. أو حتى قبل ان يولد .. منذ لحظه التلقيح وهو فى بطن أمه .. حتى اللحظة التى يقابل فيها الاخصائى الاجتماعى .. ويلاحظ ان بعض عملاء الاخصائى الاجتماعى المتخصص فى طريقة خدمه الفرد عملاء مشكلين أو عملاء أصحاب مشاكل .. ويلاحظ القارىء قولنا « بعض العملاء » ولم نقل « كل العملاء » ... وان التعرف على العميل المشكل أو العميل صاحب المشكلة أو صاحب المشاكل حيث يكون .. يتطلب دراسته .. دراسة ماضية وتاريخه الإجتماعى .. كما يتطلب التعرف على قدرات العميل الحالية .. ويعنى كل ذالك أن يبدأ الاخصائى الاجتماعى معه حيث يكون .. أى حيث هو فعلا .. وإذا استطاع الاخصائى أن يحقق هذا الهدف .. أى أنه إذا استطاع ان يصل الى التعرف على العميل كانسان .. ككائن

اجتماعى حى بطريقة موضوعية .. تحقق له أى الاخصائى الاجتماعى اجتياز خطوة فى سبيل فهمه ومن ثم توجيهه ..

وليس كل العملاء عملاء مشكلين أو عمـــلاء أصحاب مشاكل ، كما سبق أن أوضحنا ، ومع ذلك فالتعرف على العملاء غير المشكلين أو غير أصحاب المشاكل وذلك بدراستهم .. دراسة ماضيهم وتواريخهم الاجتماعية .. والتعـــرف على قدراتهم الحالية .. أى البدء معهم حيث يكونون - ضرورة وأى ضرورة ..فهم وان لم يكونوا مشكلين أو أصحاب مشاكل .. أعضاء فى المجتمع فى مسيس الحاجة الى تنميتهم الإجتماعية أو فى مسيس الحاجة الى وقايتهم من الإشكال ومن المشاكل أى ان المجتمع .. خصوصا مجتمعنا الإشتراكى .. فى مسيس الحاجة إليهم كأناس قادرين منتجـين .. حتى إذا كانوا قادرين ومنتجين ، فهـــو .. أى مجتمعنا الاشتراكى .. ينتظر منهم ان يكونوا اكثر قدرة واكثر إنتاجا ..حتى يستطيعوا أن يؤدوا الأدوار الإجتماعية التى يتوقعها منهم فى الفترة التاريخية التى تمر بها بلادنا فى الوقت الحاضر .

وفى ضوء شرحنا لمبدئ « التقبل » و « البدء مع العميل حيث يكون » نستطيع أن نستلخص المبدأ الثالث الا وهو مبدأ « احترام العميل » . والمقصود بالمبـدأ الأخير ان العميل ان هو الا شخص له كيانه وله كرامته بصرف النظر عن ظروفه التى دعته الى اللجوء الى الاخصائى الاجتماعى ..أى بصرف النظر عن كونه شخصا مشكلا او كونه شخصا صاحب مشاكل .. او كونه موضوع اختيـــار توطئة للتدريب أو موضوع دراسة أيا كان نوعها .. فهـو شخص له فرديته .. أى له شخصيته.. واتجاهاته وآراؤه وقيمه ومثله العليا .. واحترام العميل يمهد السبيل أمام الاخصائى لـكسب ثقته ..

وهذا المبدأ .. مبدأ احترام العميل .. يعتبر إحدى قيمنا الاشتراكية التى نعتز بها .. حيث « أن لا كرامة للوطن إلا بكرامة المواطن » .. فالعميل ، مهما كانت ظروفه ، ومهما كانت مكانته ، هو واحد من المواطنين .. حتى إذا كان عميلا مشكلا .. فهو ، أولا وقبل كل شيء ، نتاج ظروف المجتمع .. وفى مسيس الحاجة الى الأخذ بيده وإعادته الى حظيرة المجتمع مواطنا سويا .. أى أن من حقه على المجتمع تيسير هذا الهدف .. وتحقيقه .. فى جو من الإحترام المتبادل. المتبادل بينه . . أى بين العميل . . وبين الاخصائى الإجتماعى الذى يحاول ، ممثلا للمجتمع ، أن يأخذ بيده وإعادته الى حظيرة المجتمع مواطنا سويا . . أو مواطنا أكثر إنتاجا . . وأسعد حالا .

والمبدأ الرابع من مبادىء طريقة خدمة الفرد هو مبدأ « حق تقرير المصير » ويقصد به محاولة الاخصائى الإجتماعى وهو يتعامل مع العميل أن ييسر له حرية تقرير مصيره . . ان العميل الذى يتعامل مع الاخصائى الإجتماعى المتخصص فى طريقة خدمة الفرد . . شخص يواجه موقفا اجتماعيا معينا أو مواقف اجتماعية معينة . . ومواجهة هذا الموقف الاجتماعى أو هذه المواقف الإجتماعية بقصد التغلب عليها تقتضى من العميل أن يدرسها وأن يتبصر بعواملها . . لكى يفهمها . . وهذه الدراسة وهذا التبصير وهذا الفهم . . إن هى إلا عمليات لايستطيع العميل ، وحده ، فى ضوء ظروفه ، أن يقوم بها . . أى انها عمليات يقـــوم الاخصائى الاجتماعى المتخصص بها بالتعاون مع العميل . . والقيام المشترك بهذه العمليات يقتضى أمرين :

١ ـ قدرة الاخصائى الاجتماعى على مساعدة العميل على إكتشاف ما لديه من قدرات وطاقات يستطيع العميل عن طريقها دراسة الموقف الاجتماعى أو

المواقف الاجتماعية التى تواجهه .. ومن ثم يكون على بصيرة من أمرها .. ويستطيع فهمهما ..

٢ ـ ما لدى العميل من قدرات وطاقات فعلا .. تيسر له الاشتراك فى القيام بعمليات دراسة الموقف الاجتماعى أو المواقف الاجتماعية التى يواجهها والتبصر بها وفهمها ..

واشتراك العميل فى عمليات الدراسة والتيسير والفهم هـذه ، إذا كان قادرا ، تعنى تيسير حريته لتقرير مصيره .. أى تعنى حريته ، إذا كان عميـلا مشكلا أو عميلا عنده مشاكل ، فى اختيار الحل أو الحلول التى تيسر مواجهة مشكلاته بقصد التغلب عليها .. ، وهى تعنى حريته ، أيضا ، حتى إذا كان .. أى العميل .. شخصا غير مشكل او عنده مشاكل ، اى كان شخصا موضوع اختيار للتدريب أو موضوع بحث أيا كان نوعه أو كان موضوع عملية من عمليات التنمية الاجتماعية ـ فى اختيار مصيره ..

والحرية ، هنا ، تعنى القدرة على فهم الموقف الاجتماعى أو المواقف الاجتماعية التى يواجهها العميل .. إن قـــدرة العميل على هذا الفهم ، بمساعدة الاخصائى الإجتماعى ، هى الحرية فى ذاتها .. أى أن مجرد فهمى للموقف الذى أواجهه تعنى حريتى فى التصرف ازاءه .. وان مجرد عدم فهمى للموقف الذى أواجهـه تعنى قيدى بالأغلال .. أقصد قيدى باغلال الموقف .. أى ان الحرية تعنى التسلط على الظواهر الطبيعية والظواهر الإنسانية .. والمواقف الإجتماعية ان هى إلا مظهراً من مظاهر الظواهر الطبيعية او احداها او / والظواهر الإنسانية او احـداها .. والتسلط على الموقف الاجتماعى .. اى موقف .. يعنى فهم هذا الموقف ..

وليس كل العملاء قادرين على الاشتراك فى عمليات دراسة المواقف الاجتماعية

التي يواجهونها أو التبصر بها أو فهمها .. حتى لو يسر الاخصائي الاجتماعي لهم ذلك. فبعض العملاء كالأطفال أو الأحداث الجانحين أو المصابين بالأمراض الذهانية أو المدمنين على الخمر أو المخدرات وبعض المرضى .. يعتبرون عملاء غير قادرين على الاشتراك في عمليات دراسة مواقفهم الإجتماعية أو التبصر بها أوحتى فهمها .. ومن ثم لا يستطيعون أن يقرروا ، وحدهم ، مصيرهم . . ولا يستطيع الاخصائي الاجتماعي أن يتركهم يفعلون ذلك .. ومن ثم يلجأ ، . أي الاخصائي الإجتماعي إلى أسرهم .. وان كانوا من الأشخاص غير المنتمين يلجأ الاخصائي الاجتماعي إلى جماعاتهم المرجعية .. ولن يعدم الاخصائي الاجتماعي أن يجد عند الأسرة أو عند الجماعة المرجعية أو عند واحد من أعضاء احداهما الراشدين .. ما ييسر تحقيق هذا المبدأ .. مبدأ تقرير المصير .

ويلاحظ أن التسلط على الموقف الاجتماعي . . أي موقف . . عن طريق دراسته وفهمه .. يتضمن وجود الاستعداد عند الشخص الذي يواجه هذا الموقف أقصد الاستعداد للتغيير إلى الأفضل ... ولكن يلاحظ ، أيضا ، أن الاستعداد وحده ، كما لا يخفى على القارىء ، لا يكفي . فالاستعداد خطوة هامة ما في ذلك من شك .. ولكن لابد أن يتلوها خطوة أخرى : وجود الإمكانيات... وهنا تبرز مهمة الاخصائي الاجتماعي ، كممثل للمجتمع الذي يعيش فيه العميل ، في تدبير هذه الامكانيات .. أقصد التعرف على وجودها وتيسير إستفادة العميل منها .. وقد يتعذر على الاخصائي الاجتماعي أن يفعل ذلك في بعض الحالات .. خصوصا في المجتمعات غير الاشتراكية ... أقصد المجتمعات الرأسمالية أو المجتمعات الاقطاعية أي المجتمعات التي لاتستند سياستها الإجتماعية على التخطيط الإجتماعي الإشتراكي ذلك لأن بعض المواقف التي تواجه العملاء ... مواقف تقبت من عيوب البناء

الإجتماعى لهذه المجتمعات ... وليس فى طاقة شخص واحد أو حتى جماعة صغيرة إصلاح هذه العيوب ... وقد ذكرنا أمثلة من هذه العيوب من قبل ... ذكرنا منها البطالة الدورية والفساد السياسى ... وإذا كنا نواجه صوراً من هذه العيوب فى مجتمعنا الحالى ، فى بعض الأحيان ، فان ذلك يرجع إلى أننا فى مرحلة الإنتقال لانزال ، . أى فى مرحلة الانتقال من مجتمع ما قبل الثورة إلى المجتمع الاشتراكى الذى نرنو اليه ونسعى جاهدين إلى بنائه ... أى فى مرحلة نقل مجتمعنا من صورة الماضى المظلم إلى صورة المستقبل المشرق .

وإذا كان هدف الاخصائى الاجتماعى المتخصص فى طريقة خدمة الفرد هو السعى الموضوعى إلى كسب ثقة العميل على هدى المبادىء السابق التحدث عنها فان مبدء « السرية » يؤكد هذا الكسب ...أقصد يؤكد سعى الاخصائى الاجتماعى الموضوعى إلى كسب ثقة العميل ... فكل شخص منا ... لديه ، بالضرورة ، خبرات ... ومن هذه الخبرات ما يسعد الشخص منا أن يكشفها أو أن يقولها للآخرين فى سهولة وفى يسر ... ومن هذه الخبرات ، أيضا، مايشق الشخص منا أن يكشفها لاحد ، وما يخجله أن يقولها لاحد ... فهو حريص عليها حرصه على نفسه ... وعلى كيانه ... وعلى مكانته الاجتماعية ... يقلقـــه جداً أن يعرفها غيره ... وإذا أضطر إلى ذلك فانه يريحه أن يحتفظ بها غيره فى طى الكتمان .

والشخص منا فى بعض الأحيان يضطر إلى الكشف عن بعض خبايا نفسه . يفعل ذلك مع الطبيب الذى يعالجه ... ويفعل ذلك مع الاخصائى النفسى الذى يتعامل معه ... ويفعل ذلك مع المحامى الذى يوكله ... الخ ... وهو يفعل ذلك ، بالضرورة ،مع الاخصائى الاجتماعى الذى يلجأ اليه إذا كان مشكلا أو كان شخصا صاحب مشكلة أو مشاكل . . أو حتى اذا اقتضى الامر ان يضع نفسه تحت تصرفه

أقصد تصرف الإخصائى الاجتماعى .. لكى يدرس حالته .. ولكى يعرف إتجاهاته فى احدى عمليات الاختيار أو التدريب أو البحث الاجتماعى أو التنمية الاجتماعية.

ومبدأ « السرية » يعنى أن يحرص الاخصائى الاجتماعى المتخصص فى طريقة خدمة الفرد على الاحتفاظ بالخبرة التى يكون مصدرها العميل . أى المعلومات التى يدلى بها العميل اليه .. فى طى الكتمان .. يحتفظ الاخصائى الاجتماعى بهذه الخبرة .. أقصد الخبرة التى يعتبرها العميل من أسراره . . مهما كان الموقف الاجتماعى الذى يواجه العميل أو المواقف الاجتماعية التى يواجهها . . ويلاحظ أن الخبرة من هذا القبيل تختلف من شخص الى آخر .. فاسرار الزوج تختلف عن أسرار الزوجة .. واسرار الذين فى سن الشباب تختلف عن أسرار الذين فى سن الرجولة .. واسرار الذين يعيشون تحت ظل مناخ ثقافى معين. فى الريف مثلا .. تختلف عن أسرار الذين يعيشون تحت ظل مناخ ثقافى معين .. فى المدينة مثلا . . أى أن الأسرار تختلف حسب الأشخاص باختلاف سنهم وأدوارهم الاجتماعية ومكانتهم الاجتماعية . . فضلا عن اختلاف أجهزة قيمهم الثقافية . . وفى هذا الضوء يمكن أن نقول انه ليس كل خبرة من هذا القبيل ، بالضرورة ، أن تكون أسرارا . . فما يكون عند شخص سرا قد لا يكون عند آخر .

والاحتفاظ بأسرار العميل ... أى بالمعلومات التى يعتبرها العميل سرية يكون بالضرورة ، لمصلحة العميل ... أى أن الاخصائى الاجتماعى يحفظها لنفسه توطيدا للثقة بينه وبين العميل أولا ... وثانيا للاستفادة منها عند رسم خطة علاجه أو وقايته أو تنميته ... وحتى اذا اضطر الى تداولها مع غيره من المتخصصين كالاخصائى النفسى أو الطبيب ... مثلا ، فان هدفه . . أى هدف الاخصائى الاجتماعى لا يمكن ان يكون الا مصلحة العميل .

وقد يحصل الاخصائى الاجتماعى على بعض المعلومات عن العميل لا يكون مصدرها العميل نفسه .. وقد يعتبرها .. أقصد العميل .. من قبيل المعلومات السرية .. وفى هذه الحالة يعامل الاخصائى الاجتماعى هذه المعلومات معـــاملة المعلومات التى يكون العميل ، نفسه ، مصدرها ..

ومع ذلك قد نجد استثناء من هذا المبدأ .. مبدأ السرية .. فى بعض الحالات .. أى عندما يواجه الاخصائى الاجتماعى بعض العمـــلاء .. كالأطفال .. والأحداث الجانحين .. وبعض الأشخاص المرضى بأمراض ذهانية أو بأمراض معدية . وتقدير تداول الخبرات التى تعتبر سرية مع غير المتخصصين يرجع ، بالضرورة ، الى الاخصائى الاجتماعى المسئول .. على أن يكون هذا التقدير فى ضوء الدراسة الموضوعية لحالة كل عميل من هؤلاء العملاء .. ويهدف ، أولا وقبل كل شيء ، الى مصلحة كل عميـــل من هؤلاء العملاء بصفة خاصة .. وإلى الصالح العام بصفة عامة ..

وقد يضيف بعض المتخصصين الى المبادىء السابقة مبدأ «العلاقة المهنية »(١) وقد سبق أن تحدثنا عن هذه العلاقة .. وهى لا تخص طريقة خـــدمة الفرد ، وحدها ، وانما هى علاقة الاخصائى الاجتماعى مع عملائه .. سواء كان يطبق طريقة خدمة الفرد أو طريقة خدمة الجماعة أو طريقة خدمة المجتمع . وتقوم هذه العلاقة ، بالضرورة ، على هدى المبادىء السابقة .

وقد يرى آخرون إضافة مبدأ « نضج الشخصية بالممارسة » (٢) ، ويقصد به

---

(١) الخدمة الاجتماعية والمجتمع . صفحة ١٣٠

(٢) أصول خدمة الفرد . صفحة ٣٠

اعطاء العميل الفرصة لخبرات جديدة تنمى شخصيته . ويلاحظ أن مضمون هذه العبارة أبعد من أن يكون مبدأ . . لأن نضج العميل . . أو نضج شخصية العميل لا يمكن أن يتم إلا بالممارسة ولأن نضج العميل . . أو نضج شخصية العميل بالممارسة هو هدف وغاية . . ولأن طريقة خدمة الفرد ، على هدى مبادئها ، تحاول أن تحقق هذا الهدف وهذه الغاية . .

وقد يذكر مبدأ « نقد الذات » ضمن مبادىء طريقة خـــدمة الفرد (١) . والمقصود بهذا المبدأ هو كشف الأخطاء التى يقع فيها الاخصائى الاجتماعى نتيجة تصرفاته ، بصراحة ، والعمل على تلافيها مستقبلا . . أى تقييم الاخصائى لأعماله أولا بأول . . والتأكد من صحة النتائج التى يصل اليها فى ضوء الدراسة العملية التى يقوم بها . . فاذا عرفنا أن الاخصائى الاجتماعى الذى يستخدم طريقة خدمة الفرد يقوم بالدراسة . . أى يقوم بجمع الحقائق . . ثم يقوم بتفسير هـــذه الحقائق . . وفى ضوء هـذا التفسير يرسم خطة العـلاج أو خطة الوقاية أو خطة التنمية - فانه لكى تنجح هذه الخطة التى يرسمها الاخصائى الاجتماعى لابد من التأكد من صحة تطبيقها . . أقصد من صحة نتائج تطبيقها . . ولا يمكن أن نعتبر هذه العملية . . عملية التأكد من صحة نتائج التطبيق مبدأ من المبادىء . . إنها خطوة لازمة من خطوات تطبيق المنهج العلمى . . تيسر إثبات صحة النتائج العلمية . . كما تيسر تحقيق تطبيقها السليم . . وكلاهما أمر ضرورى يعرفه كل شخص يلتزم بتطبيق المنهج العلمى . .

---

(١) المرجع السابق : صفحة ٧١

ثالثا — خطوات طريقة خدمة الفرد :

تهدف طريقة خدمة الفرد ، كما سبق أن اوضحنا ، الى تحقيق بعض الاهتمامات على هدى بعض المبادىء .. أى انها تهدف الى علاج الأفراد . أقصد الاشخاص المشكلين أو أصحاب المشاكل . كما تهدف الى بناء الأشخاص الآخرين وتنميتهم الاجتماعية فى ضوء النظرة الاشتراكية التى يعتنقها مجتمعنا الاشتراكى .. أى بناء المواطنين الاشتراكيين فى ضوء تحديد السمات الشخصية الضرورية لشخصياتهم الإنسانيه .. من حيث نواحيها الجسمية والعقلية والعاطفية والاجتماعية .. مع الأخذ فى الاعتبار مستوى نضج هذه النواحى الضرورية . . حتى يكونوا أشخاصا أصحاء نامين ، ويحبوا الخير والكرامه الاجتماعية ، ويستطيعوا أن يواجهوا قوانين السلوك العامة ، ويستجيبوا للمواقف الإنسانية المتعددة استجابة سليمة .. ويكونوا مدربين على فن الحياة الإجتماعية ، ويستطيعوا ان يهنأوا بالكفاح والعمل وبأداء الخدمات العامه . . أى ليستطيعوا ، كأشخاص ، أن يؤدوا أدوارهم الاجتماعية فى ضوء ما يتوقعه منهم المجتمع الجديد ..

ويلاحظ أن تحقيق هذه الاهتمامات لا يمكن أن يكون إلا بالدراسة العلمية . أقصد دراسة الشخص العميل حسبما يكون الموقف الاجتماعى الذى يواجهه أو المواقف الإجتماعية التى يواجهها .. وهذه الدراسة تجرى ، بالضرورة ، فى ضوء المبادىء التى ذكرناها آنفا .. والسؤال الآن كيف تجرى هذه الدراسة . . أقصد ما هى الخطوات التى تيسر سبيل هذه الدراسة ؟ ولعل الإجابة على هذا السؤال أن تكون غير كافية .. لأن الدراسة العلمية تعنى محاولة فهم العميل .. أقصد محاولة فهم شخصيته فى ضوء ظروفه الاجتماعية والثقافية وغيرها .. ومحاولة فهم ما يوجهه من مواقف اجتماعية ..ولا يقصد هذا الفهم فى الحالتين لذاته . . لا يمكن

أن يكون ذلك كذلك .. لأن الاخصائى الاجتماعى المتخصص فى طريقة خدمة الفرد .. لا يمكن أن يكون شخصا يهدف الى إشباع حب الاستطلاع عنده فحسب أى لا يمكن أن يهدف الاخصائى الاجتماعى الى محاولة فهم الأشخاص العملاء الذين يتعامل معهم ثم يدعهم .. أن هذا الفهم العلمى فى ضوء تحقيق أهداف مهنة الخدمة الاجتماعية ، فى مجتمعنا الثائر ، يعنى التسلط على الواقع الحى الذى يواجهه العميل .. أى الواقع الحى الذى يعيش العميل فيه ويتفاعل معه . ويعنى هـذا التسلط إمكانية تغيير هذا الواقع الى الأفضل ..

أى أن خطوات طريقة خدمة الفرد تهدف الى الدراسة العلمية بقصد التغيير الى الأفضل .. ونذكر فيما يلى أهم هذه الخطوات :

١ ـ الخطوة الأولى: عملية جمع الحقائق .

٢ ـ الخطوة الثانية : عملية تفسير الحقائق .

٣ ـ الخطوة الثالثة : عملية وضع خطة التغيير الى الأفضل.

ويلاحظ أن هذه الخطوات .. وان بدت منفصلة فهى ، فى بعض الحالات متصلة إتصالا وثيقا .. فهى فى المجالات التى تتطلب علاجا فرديا تـكون ، فى العادة ، متصلة [١] .. وهى فى مجال التنمية الاجتماعية ، خصوصا فى مجال البحوث الاجتماعية .. وهى خطوة هامة من خطوات التنمية الاجتماعية ، قد يضطر الباحث الى إتباع هذه الخطوات خطوة بعد خطوة ..

والمقصود بـ « عملية جمع الحقائق » هو جمع المعلومات الضرورية عن العميل

---

(١) سنذكر مجال العلاج الفردى عند التحدث عن مجالات طريقة خدمة الفرد فى الصفحات التاليـة ..

وعن الموقف الذى يواجهه أو المواقف التى يواجهها .. وهدف هذه العملية هو دراسة العميل دراسة واقعية موضوعية .. أى دراسته ودراسة ما يحيط به من ظروف دراسة علمية .. ، ويلاحظ أن كل شخص فريد فى نوعه .. فلا يوجد عميلان لهما نفس السمات .. أقصد نفس السمات الشخصية ..

وتتضمن هذه الدراسة دراسة ماضى العميل وتاريخه الاجتماعى .. كما تتضمن التعرف على قدراته الحالية .. حسبما يكون الموقف الاجتماعى الذى يواجهه العميل أو المواقف الاجتماعية التى يواجهها .. مع الأخذ فى الاعتبار أن العميل لا يعيش فى فراغ .. بل هو يعيش فى علاقات اجتماعية دائمة .. فى أسرته .. وفى الحى الذى يعيش فيه .. وفى المدرسة .. وفى العمل .. منذ أن يولد .. وحتى قبل أن يولد .. حتى اللحظة التى يقابل فيها الاخصائى الاجتماعى ..

ومن الملاحظ أنه فى مجتمع كمجتمعنا ، بسبب الظروف التاريخية التى مر بها نجد أن بعض المعلومات عن العميل خصوصا فى أثناء طفولته يتعذر الحصول عليها فى بعض الأحيان . فالمعلومات المتعلقة بتاريخ ميلاده وبولادته .. والسن عند التسنين .. وعند الكلام .. وعند المشى .. وعند الفطام .. وكذلك المعلومات المتعلقة بأمراضه فى زمن الطفولة .. فى السنين الأولى من عمره مثلا .. معظم هذه المعلومات، وغيرها ، ان لم يكن كلها ، قد لا يستطيع الاخصائى الاجتماعى المتخصص فى طريقة خدمة الفرد ، فى مجتمعنا ، الحصول عليها فى سهولة وفى يسر .. أو حتى ان إستطاع الحصول عليها فان الدقة تعوزها فى الكثير من الأحيان .

ولا يمكن أن يكون مصدر المعلومات التى يسعى الاخصائى الاجتماعى الى الحصول عليها العميل نفسه دائما .. بل هناك مصادر أخرى .. منها الأسرة ..

والمدرسة .. ومحل العمل .. والجماعات المرجعية التي يكون العميل فيها عضوا .. وقد يتطلب الامر في بعض الاحيان استعانة الاخصائي ببعض المتخصصين كمصدر لبعض المعلومات الضرورية .. مثل الطبيب .. أو الاخصائي النفسي .. وغيرهما من الخبراء ..

ويلاحظ أن مفهوم الاسرة قد يعني تعدد أنواعها وأنماطها تبعا لوظائفها .. وتبعا لحجمها .. فهناك الاسرة التوجيهية بالنسبة للأطفـــال .. وهناك أسرة التناسل بالنسبة للازواج والزوجات .. أي أن لكل عضو من أعضاء المجتمع أسرتين .. إذا كان طفلا فأسرته توجيهية .. واذا كان زوجا أو زوجة فهي أسرة تناسلية .. ويستثنى من ذلك الاطفال غير الشرعيين .. فهؤلاء لا أسرة توجيهية لهم في معظم الاحيان ، وعندما يشبون يتوقع أن يكون لكل أسرة تناسلية ، ومن حيث حجم الاسرة نجد الاسرة الفردية .. وهي مكونة ، عادة ، من الزوج والزوجة وأطفالها فقط .. ، ونجد الاسرة الممتدة ، وتتكون من عدة أجيال زمنية ، فيها الاب والام وفيها أيضا الجد والجدة .. ، ونجد كذلك ، الاسرة المركبة .. وهي مكونة ، عادة ، من عدة أسر ينتمي بعضها الى بعض بصلة القرابة ويعيشون معا معيشة واحدة .. أو يعيشون معا معيشة الجوار .. وكما توجد الاسرة السوية توجد أيضا الاسرة غـــير السوية .. أي الاسرة المتصدعة .. وتصدع الاسرة أنواع .. منها التصدع المادي أو الاجتماعي .. ومنها التصدع النفسي أو المعنوي .. والمقصود بالتصدع المادي أو الاجتماعي هو أن الاسرة يكون فيها الوالدان أو أحدهما مفقودا أومتوفيا أو مريضا بمرض مزمن أومطلقا أو هاجرا .. أما التصدع النفسي أو المعنوي فانه يوجد في الاسرة التي يعيش فيها الوالد والام وأطفالها ، ولكن يسود جوها المنازعات المستمرة ، ويشيع في محيطها عدم احترام حقوق كل عضو فيها .. وهي التي يبدو الطفل فيها تحت ضغط مستمر

أو يكون موضع سخرية . . وهى عادة أسرة متسلطة يتحكم فيها الأب ويتحول مركز الزوجة والأطفال فيها الى مركز سلبي (١) .

وطريقة حصول الاخصائى الاجتماعى المتخصص فى طريقة خدمة الفرد على المعلومات السابقة .. الحقائق .. وغيرها . . هى طريقة المقابلة . . مقـــابلة العميل . . كمصدر هام لها . . ومقابلة المصادر الأخرى . . كالآباء والأمهات . . والمشرفين على المدرسة . . وأصحاب العمل . . والرفاق . . وغيرهم . .

والمقابلة ، كأداة من أدوات جمع المعلومات ، قد تكون فى المؤسسة التى يعمل الاخصائى الاجتماعى فيها . . أو قد تكون فى المنزل . . منزل العميل .. أو فى المدرسة .. أو حتى فى مكان العمل .. ، ولعلها . . أى المقابلة ان تمت أن تكون فى المكان الذى يختاره العميل .. ، ومع ذلك فانه يستحسن أن تكون المقابلة فى المؤسسة .. ومهما يكن فلا بد أن يؤكد المكان المختار السرية ، وأن يكون مريحة وهادئا .. وأن تكون فترة المقابلة معقولة .. وأن يحرص الاخصائى الاجتماعى على تسجيل ما تم فى المقابلة بعد انتهائها مباشرة ..

وتعنى المقابلة اجتماع الاخصائى الاجتماعى مع العميل وحدهما بقصد مواجهة العميل لدراسته ودراسة الموقف الاجتماعى الذى يواجهه أو المواقف الاجتماعية التى يواجهها ..

ولعل المقابلة الأولى التى تتم بين الاخصائى الاجتماعى وبين العميـــل أن

---

(١) سيد عويس : الأسرة المتصدعة وصلتها بجناح الأحـداث . أعمـــال الحلقة الأولى لمكافحة الجريمة للجمهوريه العربيه المتحدة (القاهرة ٢ ــ ٥ يناير ١٩٦١) صفحتا ١٦٩ــ١٧٠

تكون على جانب كبير من الأهمية .. ففيها تبدأ العلاقة المهنية بينهما .. وفيها تبدأ الدراسة العلمية لحالة العميل. ولا تعنى المقابلة الأولى ، هنا ، المقابلة التحضيرية عندما يتقدم أحد العملاء من ذوى المشاكل الى الاخصائى الاجتماعى .. فان هدف المقابلة الأخيرة .. أقصد المقـــابلة التحضيرية هو تحديد موعد للمقابلة الأولى ..

وتكون المقابلات بين الاخصائى الإجتماعى وبين العميل أو بين غيره من الأشخاص الآخرين .. عادة .. مقابلة فردية . وفى بعض الاحيان تكون المقابلة مقابلة بعض أعضاء الأسرة معا .. أى مقابلة يشترك فيها أكثر من شخص . أى مقابله جماعية ..

والمقابلة انواع .. منها ، كما ذكرنا ، المقـابلة التحضيرية .. وهى المقابلة التى يستقبل فيها الاخصائى الاجتماعى العميل لاول مرة .. ، ومنها المقابلة الاولى وتهدف الى الدراسة .. وقد تتعدد المقابلات من هـذا النوع .. حتى تتم عملية جمع الحقائق .. وفى الحالات التى تتطلب علاجا فرديا .. فقـد تكون المقابلة ذات طابع تشخيصى .. أى محاولة تفسير المشكلة أو المشاكل التى من أجلها لجأ العميل الى الاخصائى الاجتماعى .. ومحاولة هذا التفسير ، فى هذه الحالة ، يشترك الاخصائى الاجتماعى والعميل فيها .. ، ويتم هذا الاشتراك .. اشتراك الاخصائى الإجتماعى والعميل . فى المقابلات التى تهتم بر سم خطة العلاج .. وهناك نوع آخر من المقابلات يتصل إتصالا وثيقا بالنوع السابق .. النوع العلاجى .. وهو يعنى المقابلات المتعلقة بتنفيذ خطة العلاج . . وتتبعه .

ويعتبر بعض المتخصصين المقـابلة فى حد ذاتها .. أى نوع منها ، فى بعض

الأحيان ، ركنا هاما من أركان العلاج الفردى . ووسيلة للتنفيس عما يعانى منه العميل من الانفعالات المكبوتة.

وعملية جمع الحقائق لا تكون ، بالضرورة ، سابقة على « عمليـــة تفسير الحقائق » خصوصا فى حالات العلاج الفردى . فقد تسير العمليتان ، فى هذه الحالة ، جنبا الى جنب ، ولكننا لا نرى ، فى ضوء ما أوضحنا من قبل ، وفى ضوء ظروف مجتمعنا الاشتراكى المعاصر ،أن يقتصر عمل الاخصائى الاجتماعى المتخصص فى طريقة خدمة الفرد على العلاج الفردى فحسب .. أنه .. أى الاخصائى الاجتماعى فى مجال البحوث الاجتماعية ، يستطيع أن يسهم اسهاما كبيرا .. بل هو ، فى مجتمعنا ، قد استطاع ، فعلا ، أن يفعل ذلك .

ومهما يكن من الأمر .. إذا كان الاخصائى الاجتماعى يعمل فى مجال العلاج الفردى .. فهو ، كما قلنا ، يفسر الحقائق التى يجمعها عن العميل وعن ظروفه الاجتماعية وعن الموقف الاجتماعى الذى يواجهه ويتطلب علاجا ، أولا بأول ، أى انه يفعل ذلك وهو يجمع هذه الحقائق .. أى أنه يقوم بـ « عملية التشخيص الاجتماعى » ، وتتم هذه العملية فى ضوء خبرة الاخصائى الاجتماعى العلميـة . . مع ملاحظة ان هذه الخبرة العلمية تتفاوت عند الاخصائيين الاجتماعيين . . ولا يعنى هذا التفاوت ان احد الاخصائيين الاجتماعيين يكون اكثر إبتكارا وان الآخر اقل إبتكارا . . بل على العكس قد يكون الأول اكثر خبرة علمية ويكون الآخر اقل خبرة علمية .. ومهما يكن فان عملية التفسير .. تفسير الحقائق .. أى عملية التشخيص تتأثر بالفلسفة التى يعتنقها المفسر أو المشخص .. فان كانت فلسفته علمية كان منهجه الاسلوب العلمى .. وإن كانت فلسفته غير علمية كان منهجه الاسلوب غير العلمى . أى أن هذه العملية .. عملية التشخيص الاجتماعى

العلمى .. ليست عملية فنية .. ولا يمكن أن تكون .. (١) فالتشخيص « نوع من الاستقراء يعتمد على عمليات قياسية ولذلك فهو يحتاج الى مداومة استقراء الجزئيات وقياسها حتى إذا لم تستكمل الفروض التى يضعها الاخصائى الاجتماعى من الشواهد (الحقائق) التى وصل اليها يعود للبحث عن ضروب أخرى من الحقائق اما أن تؤيد الفروض أو تنفيها ومن ثم يصل فى نهاية الامر الى تكوين الفرض النهائى واختبار تماسكه من الوجهة المنطقية وتحليله حتى يصل الى الحكم النهائى »(٢) ... وحتى هذا الحكم النهائى لا يكون نهائيا إلا فى ضوء التطبيق العلمى .. أى فى ضوء تحقيق النتائج المرجوة ..

والتطبيق العلمى للحكم النهائى الذى يصدره الاخصائى الاجتماعى فى ضوء دراسة الحالة .. أى فى ضوء الحقائق المجموعة بعد تفسيرها .. أى تشخيصها — يعنى القيام بالخطوة الثالثة .. إلا وهى «عملية وضع خطة التغيير الى الافضل » .. وهذه الخطة قد تكون خطة علاجية أو خطة وقائية أو خطة تنمية اجتماعية ..

والخطة العلاجية قد تعنى علاج العميل المشكل أو صاحب المشاكل ،. يقوم الإخصائى الاجتماعى المتخصص فى طريقة خدمة الفرد بالاشتراك فى تنفيذها مع العميل ومع غيره من المتخصصين كالأطباء والاخصائيين النفسيين وغيرهم .وقد تكون خطة علاجية لمجموعة من الأشخاص المشكلين أو أصحاب المشاكل . يشترك فى الاشراف على

---

(١) أسس خدمة الفرد صفحة ٩١

(٢) أصول خدمة الفرد . صفحة ٣٣٨

تنفيذها الاخصائى الاجتماعى المتخصص فى طريقة خدمة الفرد . ويقوم بتنفيذها اخصائيون آخرون كالأخصائى الإجتماعى المتخصص فى طريقة خدمـــة الجماعة والطبيب والأخصائى النفسى وغيرهم .

والخطة الوقائية قد تعنى وقاية شخص واحد أو مجموعة من الأشخاص ودور الاخصائى الاجتماعى المتخصص فى طريقة خدمة الفرد ، فى الحالة الأولى ، دور تنفيذى بالاشتراك مع العميل ومع غيره من المختصين كالطبيب والاخصائى النفسى ومع المهتمين بأمره . كالآباء والأمهات والمدرسين . وغيرهم . أما فى الحالة الثانية فان دور الاخصائى الاجتماعى المتخصص فى طريقة خدمة الفرد . دور المشترك فى الاشراف على التنفيذ .

وإذا كان الاخصائى الاجتماعى المتخصص فى طريقة خدمة الفرد يعمل فى مجال البحوث الاجتماعية . أى يشترك فى دراسة ظاهره إجتماعية معينة . أى دراسة أعضاء العينة المكونة لمجال البحث الذى يدرس هذه الظاهرة . أى أنه يشترك فى القيام بعملية جمع الحقائق . فهو أيضا يشترك فى القيام بعملية تفسير هذه الحقائق وله دور كبير فى وضع الخطة . أقصد خطة التغيير إلى الأفضل . وقد تهدف هذه الخطة إلى العلاج أو الوقاية . وقد تهدف التنمية الاجتماعية . ومهما كان نوع الخطة فان دور الاخصائى الاجتماعى المتخصص فى طريقة خدمة الفرد دور تنفيذى إذا كان العلاج علاجا فرديا أو كانت الوقاية وقاية فردية . أو دور المشترك فى الاشراف على التنفيذ فى الحالات الاخرى .

رابعا — مجالات تطبيق طريقة خدمة الفرد :

يقصد بمجالات تطبيق خدمة الفرد ، هنا ، منطقة أو مناطق تطبيق هذه

الطريقة . وهو ترجمة حرفية للمفهوم الانجليزى (Scope) . والمجال يختلف عن « الميدان» (Field) . فاذا كان المجال يحـــدد منطقة التطبيق . فان الميدان يحدد منطقة الاهتمام والنفوذ .

ومجالات تطبيق طريقة خدمة الفرد ، بهذا المعنى ، تعنى مناطق تطبيق هـذه الطريقة على وجه التخصيص . بعكس الميدان حيث نجد أن أكثر من طريقة مهنية يـكون ، عادة ، موضع التطبيق . أى أننا قد نجد فى ميدان مثل « ميدان الخدمة الاجتماعية الاسرية » ، مثلا ، أن طريقة خدمة الفرد لا تطبق وحدها بل معها غيرها مثل طريقةخدمة الجماعة . وقـــد نجد أن طريقة خدمة الجماعةتطبق جنبا الى جنب فى ميدان مثل « ميدان الخدمة الاجتماعيـة المدرسية » مـع طريقة خدمة الفرد وطريقة خدمة المجتمع . وهكذا .

ومجالات تطبيق طريقـة خدمـة الفرد . متعددة . أى هى أنواع . ذلك لان الأشخاص ، موضوع اهتمامات طريقة خدمــــة الفرد ، أنواع كذلك .. فهم ، كأشخاص مشكلين أو كأشخاص أصحاب مشاكل أو كأشخاص موضوع عملية من عمليات الوقاية أو التنميه الاجتماعيه ' بالضروره' متفاوتون ، فنجد أن الشخص من هؤلاء قد يـكون عضواً فى أسرة أو فى مدرسه أو عضواً فى عصابة أو عضوا فى عصبه اللعب أو عضواً فى ناد . أو أحد نزلاء المستشفى أو المصحه أو مؤسسه التأهيل أو السجن أو مؤسسه الإيداع أو دار الملاحظـه . أو يـكون أحد عمـلاء العياده النفسيه أو مـكتب العمل أو مـكتب المراقبه الإجتماعيــــه بالمحاكم أو مؤسسه من مؤسسات رعايه المسجونين أو رعاية خريجى مؤسسات الايداع . أى المؤسسات التى تعنى بعمليات الرعايه اللاحقه . أو قد يكون الشخص من هؤلاء موضوع البحوث السابقة على الحـكم إذا كان متهما فى أحـــدى الجرائم أو قد يكون شخصا غـير

متهم . . أقصد شخصا عاديا . . موضوع أحد البحوث والدراسات العلمية ضمن آخرين .

ومن ثم فاننا نجد أن مجالات العمل بهذه الطريقة . . أقصد مجالات تطبيق طريقة خدمة الفرد هي الاسرة والمدرسة والعصابة وعصبة اللعب والنادي الإجتماعي والمستشفى والمصحة ومؤسسات التأهيل والسجن ومؤسسة الايداع بأنماطها . . والعيادة النفسية ومكتب العمل ومكاتب المراقبة الإجتماعية بالمحاكم ومؤسسات الرعاية اللاحقة . . ومراكز البحوث العلمية . . الملحقة بالمحاكم سواء كانت محاكم الاحداث أو محاكم البالغين . . أو مراكز البحوث العلمية غير الملحقة بالمحاكم . . كالمراكز الملحقة بكليات الجامعات ، مثلا ، أو بادارات التخطيط . . وكالمراكز المستقلة مثل المركز القومى للبحوث الاجتماعية والجنائية . .

ويلاحظ أن المجالات السابقة ، وغيرها ، هى ، كما تبدو ، مجالات تطبق فيها خطة العلاج وخطة الوقاية فضـــلا عن خطة التنمية الإجتماعية . . أقصد علاج الاشخاص ووقايتهم وتنميتهم . . حسبما يواجهون من مواقف إجتماعية . . وكلما إقتضت هذه المواقف ذلك . . ويلاحظ ، أيضا ، انها مجالات يجب أن تطبق فيها طريقة خدمة الفرد ، فعلا ، فى مجتمعنـا فى الوقت الحاضر . . أقصد المجتمع الذى نحاول أن نبنيه فى الوقت الحاضر . . المجتمع الإشتراكى . . لأن عملية هذا البناء وهى عملية مستمرة ، تقتضى التنمية الإجتماعية . . أقصـــد تنمية أعضاء المجتمع ووقايتهم فضلا عن علاج غير المحظوظين منهم . . وفى هذا الضوء تكون الاولوية لعمليات التنمية الإجتماعية والوقاية ثم العلاج . .

٣ ـ طريقة خدمة الجماعة ومجالاتها

إن طريقة خدمة الجماعة . . كطريقة مهنية . . قد بدأ تدريسها فى معاهد الخدمة الإجتماعية فى العشرينات من القرن الحالى . . ومع ذلك فان عدداً كبيرا ومتباينا من المؤسسات الخاصة أو غير الحكومية كانت تعمل مع الجماعات منذ قرن من الزمان قبل ذلك . . فقد كانت محلات الجيرة (Neighbourhood Settlements) والمراكز الإجتماعية المحلية (Community Centres) فضلا عن الحركات الإجتماعية قد اعترفت ، عن بصيرة ووعى ، بقدرات الجماعة وعملت على إستثارة الناس لتحريك قواهم . . واستخدام جهودهم الجماعية لمحاربة بعض الأدواء الإجتماعية القائمة . . مثل وجود المناطق المتخلفة فى المدينة . . ومثل الطفولة العاملة . . وظروف العمل السيئة . . ومثل الجهل . . والتعصب الدينى أو العنصرى . أى أن المؤسسات الاجتماعية الاولى كانت تهدف ، بصورة بارزة ، إلى تطبيق الاصلاح الاجتماعى . . وكان الناس ، منذ الأيام الاولى ، يعملون فى سبيل مساعدة أنفسهم . . أى أن العمل الإجتماعى عن طريق الجهود الجماعية . . أقصد جهود الجماعات . . كان ولا يزال الهدف الأعظم لطريقة خدمة الجماعة (١) .

وسنحاول فيما يلى معالجة بعض الموضوعات . . أهمها :

أولا ـ إهتمامات طريقة خدمة الجماعة .

---

(1) European Seminar on the General Principles of Social Group Work, Sevéres, Paris. 6 — 15 November, 1959, P S.

ثانيا ـ مبادىء طريقة خدمة الجماعة .

ثالثا ـ خطوات طريقة خدمةالجماعة .

رابعا ـ مجالات تطبيق طريقة خدمة الجماعة .

اولا ـ اهتمامات طريقة خدمة الجماعة :

سبق أن قلنا إن أعضاء المجتمع . . أى مجتمع . . لا يعيشون فى فراغ . . أى أنه لا يوجد فرد . . أو شخص . . لايعيش فى علاقات إجتماعية دائمة . . إنه . . أى الفرد . . أقصد الشخص . . يوجد أول ما يوجد فى جماعة . . أى فى أسرة . . أسرته الطبيعية . . أقصد الاسرة التى ولد فيها . . أسرة أبيه وامه واخوته واخواته . . أو اسرته البديلة .. وهو يشب وينمو . . فى جماعات أخرى فى جماعة اللعب .. أو فى جماعة المدرسة .. أو فى جماعة العمل .. أو فى جماعة من الجماعات الرياضية أو جماعات الترويح أو الترفيه .. أو فى غير ذلك من الجماعات .. إن الشخص غير المنتمى إلى جماعة لا يوجد فى مجتمع كمجتمعنا إلا نادراً .. ولا يمكن ان يكون هذا الشخص سويا .. ربما يكون هذا الشخص شخصاً مريضاً بمرض عقلى .. وربما يكون هذا الشخص شخصا هامشيا .. وحتى الشخص الآخير فهو وان كان هامشيا بالنسبة إلى جماعة إجتماعية معينة او اكثر لا يكون بالضرورة كذلك بالنسبة لجماعات اخرى .

ويلاحظ ان الجماعة هى إحدى قوى الحياة البشرية . . وان ظاهرة وجودها ظاهرة عامة وضرورية .. فالناس ينتظمون فى جماعات لأن لديهم حاجات أساسية لا يمكن إشباعها إلا عن طريق علاقاتهم بغيرهم من الناس .. فالشخص منا لا يتحقق له الحب ، مثلا ، او القبول .. اقصد قبول الناس له إلا إذا وجد آخرين يحبونه او يتقبلونه .. والشخص منا ، كذلك ، لا يستطيع ان تكون له مكانة

إجتماعية معينة.. ولا يستطيع أن يحس بأهميته وقيمته ... أو يكون لديه الشعور بالانتماء.. إلا إذا وجد أشخاصا آخرين يستجيبون لهذه الحاجات وييسرونها له. وإذا حرم الشخص منا من تحقيق هذه الحاجات الاساسية .. أو حرم من تحقيق بعضها... فان الحقد يتسرب إلى قلبه ... والشعور بأنه غير مرغوب فيه يصيبه.. ويحس بالعزله الإجتماعية القاتله ...وربما أصبح سلوكه سلوكا غير إجتماعي ...أقصد سلوكا غير سوى .

واذا كان الشخص منا يبدأ حياته أول ما يبدأ ... أقصد عند ولادته ... فى أسرة .. أى فى جماعه .. فانه منذ ذلك الحين حتى يصير شخصا بالغا ... يصبح ، بالضرورة ، عضوا فى العديد من الجماعات الاخرى ... واذا كانت الظروف الأسرية التى يعيش فيها ظروفا مواتية فان شخصيته تنمو ... أقصد تتطور ...تجده يتطور من طفل لا يهتم إلا بذاته ... يعتبرها مركزاً للدنيا بأسرها.. متجاهلا إلى حد كبير حقوق الآخرين وحاجاتهم ... إلى شخص قادر على تكوين العلاقات العريضه مع الناس الآخرين .. وتزداد رغبته فى ذلك على مر الايام.. وتمتد هذه العلاقات فى كل مجال جماعى .. فى جماعات المدرسة .. فى جماعات النادى .. فى جماعات الصداقة .. حتى تصل ، أخيراً ، إلى العلاقات ذات الصلة بالحياة فى مجتمع البالغين . وفى كل جماعة من هذه الجماعات.. يتعلم الشخص منا كيف يسلك السلوك الذى يحقق له أكبر مقدار من الشعور بالامن الإجتماعى . وكل جماعة جديدة يمارس الشخص الحياة الجديدة فيها .. تعتبر له تحديا جديدا .. فهو يحاول أن يوفق ، فى خلال هذه العملية .. اقصد عملية ممارسة الحياة الجديدة ، بين تحقيق حاجاته الشخصية الاساسية وبين كسب ثقة الجماعة الجديدة وموافقتها .. ويعتبر هذا الكسب ، فى ذاته ، حاجة من حاجات الشخص . وقد تتعارض هذه الحاجة الأخيرة ، عند الشخص ، مع غيرها من الحاجات الاخرى.. ومع ذلك فان النمو

أقصد نمو شخصية معينة . . يعني وجود هذا التعارض أو هذا الصراع . . كما يعني وجود محاولات التوفيق . أقصد التوفيق بين الحاجات الشخصية وبين كسب ثقة الجماعات ... وينتج عن هذه الصراعات ومحاولات التوفيق وجود خبرات . . وتراكم هذه الخبرات . . ومن الخبرات الكلية ، حلوها ومرها ، يتكون نموذج معين للشخصية . . ونماذج الشخصيات مختلفة . . لأن الأشخاص مختلفون ... ولأن خبراتهم الكلية ، حلوها ومرها ، أيضا مختلفة .

ويلاحظ أن الجماعة ليست أداة سحرية ... أى أنها لا تصنع ، آليا ، عجائب التوافق عند أعضائها . . فالناس قد ينتظمون فى جماعة لأنهم خائفون . . أو لأن الحقد يجمعهم . أو التعصب الدينى أو العنصرى . . وهم ينتظمون ، بنفس اليسر ، فى جماعة لأنهم أصدقاء . . أو لأن إهتماماتهم موحدة . . وإذا تركت الجماعة ، وحدها ، قد تصبح جماعة منعزلة . أو جماعة غير مقبولة إجتماعيا . . أو جماعة تميل إلى التعصب بنوعيه . . أقصد التعصب الدينى او العنصرى . . أو جماعة تميل إلى الاعتداء على الآخرين أو تميل إلى الجناح . . ونحن نلاحظ بعض هذه الجماعات الأخيرة أحيانا . . نلاحظها فى الشوارع . . كعصابات الاحداث الجانحين . . أو عصابات البالغين الجانحين . . حيث تزداد مكانة عضو العصابة ارتفاعا كلما ازدادت مهارته فى استخدام المدية . . يعتـــدى بها على الآخرين . . ويحطم بها الاشياء . . أو يكره عن طريقها ضحاياه الذين يسرقهم . إن الجماعة تستطيع أن تعزز فى أعضائها كل الاحتمالات ... وكل الامكانيات . . مهما كانت هذه الإحتمالات أو هذه الامكانيات . . فهى قد تعزز فيهم روح الديمقراطية أو روح الخضوع . وهى قد تعزز فيهم تقبل الآخرين أو الشعور بالعداوة ضدهم . . وهى قد تعزز فيهم روح الفهم والتفاهم أو روح التعصب . . وهى قد تعزز فيهم الجهـود البناءة أو الجهود الهدامة .

ويلاحظ ، أيضا ، أن الأخصائى الإجتماعى المتخصص فى طريقة خدمة الجماعة يعى تماما قدرة الجماعة وقوتها .. وهو إذ يفعل ذلك يحاول دائما أن يوجه هذه القدرة .. أو هذه القوة .. نحو الأهداف الإيجابية .. أقصد الأهداف التى يتوقعها المجتمع الذى يعيش فيه لكى يحيا حياة طيبة .. حياة أفضل .. ونحن فى ظروفنا التاريخية الحاضرة .. نبنى مجتمعا جديدا .. بقصد تحقيق الحياة الطيبة لأبنائه الطيبين ولبناته الطيبات .. أى بقصد تحقيق حياة أفضل للجيل الحالى .. وللأجيال القادمة .. أى أن قدرة الجماعات فى مجتمعنا وقوتها يجب أن توجه ، بالضرورة ، نحو الأهداف الإيجابية المرجوة .. أقصد الأهداف الإشتراكية المرجوة .. وذلك باستخدام هذه القدرة أو هذه القوة كأداة لتحقيق بعض الأهداف .. وأهم هذه الأهداف ما يلى :

١ - مساعدة الأشخاص على استخدام الجماعات لتحقيق نمو شخصياتهم .

٢ - مساعدة الجماعات على تحقيق الأغراض الإجتماعية المرغوب فيها ..(١) .

ولا يرى الهدفان السابقان منفصلين .. فهما يكملان بعضهما البعض .. وهما متداخلان .. ولا يمكن التفكير فى أحدهما دون التفكير فى الآخر .. فما يقدمه الأعضاء فى الجماعة من قدرات وآراء ومشاعر .. يحدد ، بالضرورة ، مدى حيوية الجماعة ومدى تحقيق أهدافها .. وما تقدمه الجماعة الى الأعضاء يعتمد ، بالضرورة ، على مستوى قيمة التجربة أو التجارب التى يصنعها الأعضاء ، معا ، كفريق ، فى داخل الجماعة ..

---

(١) المرجع السابق : صفحة ٧

وفى الجماعة .. يجد الشخص العضو ألوانا عديدة من الرضا .. وهو بدوره، مع الأعضاء الآخرين ، يخلق المناخ الاجتماعى فى الجماعة الذى يجعل هذه الألوان العديدة من الرضا ممكنة وميسرة . والحياة الجماعية . . الحياة فى جماعة . . والحياة مع الناس .. تعنى أشياء كثيرة .. منها الشعور بالانتماء الإجتماعى .. والشعور بالانتماء الاجتماعى حاجة يسعى الإنسان الفرد منا إلى أن يشبعها حيثما كان . . وفى كل حين . واشباع هذه الحاجة ييسر هذه الحياة مع الناس . . ويعرف هذا الشعور بالانتماء الاجتماعى كل الناس العاديين . . فهو مادة روحية أساسية . . لا يستغنى عنه رجل عادى أو امرأة عادية .. فهو يجعل للحياة طعما . . لأنه . . أى الشعور بالانتماء الاجتماعى إذا ما أشبع ، يزود الشخص منا بالزاد الحى الذى يساعده على السير فى الطريق قدما . . مهما كانت مصاعب الطريق . . ومهما كانت العقبات .. فهو يسير مطمئنا . . واثقا من أن وراءه آخرين يهتمون بأمره كما يهتم هو بأمرهم .. يسعدهم نجاحه كما يسعد هو بنجاحهم . . يفرحون بلقائه .. كما يفرح هو بلقائهم (١) .

ومع ذلك . . فانه يجب أن يؤخذ فى الاعتبار عامل مهم . . هو وجود أحد الأشخاص البالغين المؤهلين . . يقوم بادارة عمليات الجماعة . . كما يقوم بقيادة أعضائها نحو تحقيق الأهداف البناءة . . إنه . . أى هذا الشخص البالغ المؤهل . . أقصد الاخصائى الاجتماعى المتخصص فى طريقة خدمة الجماعة . . يستخدم كل مهاراته . . وهى مهارات مبنية على الخبرة العلمية .. والخبرة العملية يستخدم هذه المهارات فى عمليات مساعدة كل عضو من أعضاء الجماعة ليشعر بذاته

---

(١) « مذكرات يوغسلافية » صفحتا ٤٧ — ٤٨

.. أقصد بقيمتها . . ولينمو عنده الشعور بالمسئولية الاجتماعية . . وذلك عن طريق اشتراكه . . أى اشتراك هذا العضو . . فى حياة هذه الجماعة . .

وفى ضوء هذا العامل المهم . . أقصد عامل وجـــود الاخصائى الاجتماعى المتخصص فى طريقة خدمة الجماعة الذى يدير عمليات الجماعة ويرشد أعضاءها . . تجد ما يميز طريقة خدمة الجماعة عن غيرها من الطرق الأخرى التى تعمـــل مع الجماعات . . ولعل النظرة السطحية لطريقة خدمة الجماعة ، وهى تعمل ، ولغيرها من الطرق التى تعمل مع الجماعات لا تبين هذه الميزة . . فقد تبدو الاولى مثل الأخرى حيث تجد الجماعة وهى تلهو . . أو وهى تصنع بعض المصنوعات . . أو وهى تمارس بعض الألعاب . . أو وهى منشغلة فى اعداد إحدى التمثيليات . . ولكن الفرق يبدو فى ضوء النظرة الثاقبة . . أقصد الفرق بين تطبيق طريقة خدمة الجماعة وبين تطبيق غيرها من الطرق . . فى أن الطريقة الاولى تستفيد من مهارات أخصائى إجتماعى محترف . . وهى مهارات مبنية ، كما أوضحنا ، على دراسات علمية منتظمة . . وعلى تطبيقات عملية فى الواقع الحى . . فضلا عن أنها مهارات تطبق المنهج العلمى . .

وفى ضوء كل ما سبق . . يلاحظ القارىء أننا قد تحدثنا عن « الجماعة » دون أن نشير الى ماهو المقصود بالجماعة . . إن تعريف هذا المفهوم ، فى هذه المرحلة ، أمر ضرورى . . ولكن يلاحظ أن هناك تعريفات عديدة لهذا المفهوم . فقد تعرف الجماعة بأنها : « مجموعة من الناس يجتمعون فى مكان قريب حيث يمكن رؤيتهم من أول نظرة » . وهذا تعريف عام قـــد يتضمن مجموعة من الناس يقفون فى الشارع وهم يلاحظون حادثة . . أو يقفون أمام إحـدى محطات الاتوبيسات . وقد تعرف الجماعة بأنها : « شخصان أو أكثر يربطهم نموذج

معين من التفاعل النفسي »(١) .. وتعرف الجماعة ، أيضا ، بأنها : « مجموعة من الناس (ثلاثة أشخاص أو أكثر) بينهم علاقة ودية ، حيث يوجد تأثير قوى متبادل ، ونشاط إنفعالى مباشر طويل الأمد بين الأفراد (الأشخاص) الذين يكونونها ، ونتيجة لذلك تتعدل شخصية كل عضو فيها » (٢)..

ونحن نرى أن الجماعة .. أية جماعة .. فى ضوء ذاتيتها الاجتماعية .. أقصد الجماعة التى غالبا ما يعمل معها الأخصائى الاجتماعى المتخصص فى طريقة خدمة الجماعة .. والتى تيسر وجود المناخ الاجتماعى الملائم للنمو الشخصى .. هى الجماعة التى تتسم بسمات معينة . وأرجو أن يلاحظ القارىء قولى : « التى غالبا ما يعمل معها الاخصائى الاجتماعى المتخصص فى طريقة خدمة الجماعة » .. وعدم قولى « التى يعمل معها دائما » .. ومن هذه السمات ما يلى :

١ ـ وجود روابط عاطفية بين أعضاء الجماعة .

٢ ـ شعور كل عضو فى الجماعة بالانتماء اليها .

٣ ـ شعور كل عضو فى الجماعة بتقبل أعضاء الجماعة الآخرين له .

٤ ـ وجود بناء اجتماعى للجماعة .. توزع عن طريقه المسئوليات على أعضاء الجماعة بموافقتهم الجماعية .

---

(1) Dictionary of Sociology & Related Sciences : P. 133

(٢) محمد شمس الدين أحمد : فن خدمة الجماعة فى محيط الخدمة الاجتماعية . القاهرة ، دار النهضة العربية ، ١٩٦١ ، صفحة ٦٢

انيس عبد الملك وآخرون . خدمة الجماعة فى المجتمع الاشتراكى . القاهرة . مكتبة الانجلو المصرية ١٩٦٤ ، صفحة ١٢٤

٥ - وجود الشعور بالولاء للجماعة عند أعضائها الذى ييسر لهم الرضـــاء بالقيام بخدمتها والدفاع عنها (١) .

وربما لا يـكون كل هذه السمات قائمة فى الجماعة .. أية جماعة .. عند بدء تـكوينهـــا .. ولـكنها .. أى السمات .. تتشكل بمرور الوقت خصوصا عندما تبدو أهمية الجماعة عند أعضائها . ومع ذلك فاننا نلاحظ أن الجماعة الصغيرة .. تتميز بوجود العلاقات الإنسانية الوثيقة .. حيث يجد العضو فيها نفسه .. أو يحس أنه .. جزء ضرورى منها .. أى جزء منها يأخذ ويعطى .. وربما يعطى ثم يأخذ، واعل مثل هذه الجماعة .. أقصد الجماعة الصغيرة .. تمثل الأمل الـكبير لاعضائها .. حيث يعملون سويا .. وحيث يحققون أهـدافهم جماعيا .. وحيث يسود المناخ الإجتماعى ، الذى يظللهم فى الجماعة ، روح الفريق .

ولا يعمل الاخصائى الاجتماعى المتخصص فى طريقة خدمة الجماعة مع الجماعة الصغيرة فحسب .. إنه ، ايضا ، يعمل مع الجماعات الـكبيرة .. حيث نجد الاعضاء المراهقون منهم على وجه الخصوص، يحتاجون إلى الخبرات العريضة التى يستطيعون الحصول عليها عن طريق اوجه النشاط المفتوح العريض .

واذا كانت طريقة خدمة الجماعة تهتم بالجماعات .. صغيرها وكبيرها .. على إختلاف وظائفها الاجتماعية ، المقبولة منها وغير المقبولة ، ... وذلك بقصد تنمية شخصيات اعضائها ... او اعادة تنمية شخصيات اعضائها .. وبقصد اتاحة الفرص لهذه الجماعات لتحقيق الأغراض الاجتماعية المرغوب فيها . اعنى التى يقبلهـــا

(1) European Seminar on the General Principles of Social Group Work (Sevéres) P. 8,

المجتمع الذى تعيش فيه هذه الجماعات ويتوقعها . إذا كان كل ذلك كذلك .. فما هو دور هذه الطريقة المهنية فى مواجهة نتائج الثورة الاجتماعية الواعية التى نعيشها ، نحن المصريين العرب ، فى الآونة التاريخية الحالية ؟ . هل يقتصر عمل الاخصائى الاجتماعى المتخصص فى طريقة خدمة الجماعة على أن يكون فى محيط الجماعات التى تكون بين جدران المؤسسات ؟ هل يكون موضع إرتكاز عمل هذا الاخصائى اوجه النشاط فى ميدان شغل أوقات الفراغ فحسب ؟ هل تهدف طريقة خدمة الجماعة إلى تحقيق نمو أعضاء الجماعات نموا متزنا يتفق مع احتياجاتهم وقدراتهم ؟ . هل تهدف طريقة خدمة الجماعة إلى توجيه طاقة الجماعة بعد زيادتها .. لاكتساب أنماط سلوكية تتفق مع ايديولوجية المجتمع للاسهام فى النمو الثقافى للمجتمع ؟ .

انى أرى .. وبحق أرى .. أن الاخصائى الاجتماعى المتخصص فى طريقة خدمة الجماعة .. الذى يعيش فى مجتمعنا الثائر .. يجب أن يكون قائدا إجتماعيا ثوريا .. إنه يعيش فى ثورة .. ثورتنا البناءة . إنه يعيش فى فترة تاريخية تصنع العجائب .. فى كل ميدان .. وفى كل مجال . فى الميادين الاجتماعية والصناعية والزراعية ... وفى الميادين السياسية .. وفى مجالات المادة البشرية .. فى كل مدينة وفى كل قرية .. وفى كل واحة .. على مستوى جمهوريتنا .. وعلى المستوى العربى . وعلى المستوى العالمى .. هذه قضية أعرضها على القارىء الواعى .. ولانه شخص واع فالمتوقع أنه يتقبلها عن رضا ودون ما مناقشة أو اعتراض .

وكقائد اجتماعى .. ثائر .. يرى هذا الاخصائى الاجتماعى أو يجب أن يرى .. أن الجماعات فى مجتمعنا جماعات شتى .. لا توجد فقط بين جدران المؤسسات الاجتماعية المعروفة .. أقصد الأندية .. المحلات .. الساحات الشعبية .. أو حتى المؤسسات الاجتماعية كالمؤسسات التقويمية للأحداث الجانحين .. أو السجن

أو المؤسسات التربوية الأخرى كالمدرسة بمستوياتها أو الجامعة . . ولكن الجماعات توجد ، أيضا ، فى الأجهزة السياسية كالاتحاد الاشتراكى..وفى الأجهزة الصناعية كالمصانع .. واخيرا وليس آخرا فى الأجهزة الاجتماعية كالاسرة والمنظمة الدينية والجيش .. وهى . أقصد الجماعات.. توجد ، كذلك ، فى الشارع .. وفى المجتمع المحلى.. توجد فى المقهى .. فى عصبة اللعب.. وفى عصابات المجرمين .

إن الخدمة الإجتماعية ، كمهنة فى بلادنا ، لا يمكن أن تنتظر عملاءها يأتون اليها .. إن الخدمة الاجتماعية ، كمهنة فى بلادنا ، فى ضوء ظروفنا الثورية الحاضرة يجب أن تذهب إلى عملائها حيثما يكونون . إن هذا النمط من الخدمة الإجتماعية يصفونه فى البلاد الاجنبية بالخدمة الاجتماعية الايجابية (Aggressive Social Work) ... وهو يمارس الآن فى الولايات المتحدة ... كما يمارس ، أيضا ، فى تشيكوسلوفاكيا كما يمارس أيضا فى مجتمع السويد ... وفى بعض البلدان الاخرى وأول من يستخدم هذا النمط من الخدمة الاجتماعية هو الاخصائى الاجتماعى المتخصص فى طريقة خدمة الجماعة .. إنه يسعى إلى الجماعات .. كل الجماعات أنى تكون ... إن العديد من الناس فى المجتمع لا يتطوعون للالتحاق بالنادى الاجتماعى مثلا ... أو بالمحلة . . أو بالساحة الشعبية .. إن العديد من هؤلاء . قد يكونون الجماعات فى خارج هذه المؤسسات الاجتماعية .. فلنذهب اليهم . أقصد نحن الاخصائيين الاجتماعيين المتخصصين فى طريقة خدمة الجماعة .. ولا ننتظرهم حتى يأتوا الينا .أقصد فلنصل الى من لا يمكن أن يصل الينا (Reaching the Unreached) .. من هؤلاء ... ولنؤد واجبنا الاجتماعى الثورى .. أقصد نحقق نمو اعضاء هذه الجماعات ليكون نموا متزنا يتفق مع احتياجاتهم وهى احتياجات ، بالضرورة ، انسانية .. أقصد اشتراكية .. ويتفق هذا

النمو أيضا مع قدراتهم ... وهى قدرات ، فى مجتمعنا الاشتراكى ، لا يمكن أن تقف عند حد ... أى أنها فى إزدياد دائما ... فى نمو مستمر ... كل ذلك بقصد توجيه طاقاتهم ... أقصد أعضاء كل جماعة ... ليتيسر لهم أن يكونوا الأطفال الذين نرغب فى وجودهم... وان يكونوا الآباء الذين نرجو أن يكونوا، وان يكن الامهات اللاتى يسعد بهن المجتمع ويفخر ... وان يكون كل عضو منهم قادرا منتجا ... متعاونا ... متحديا للصعوبات ... مرحا ... سعيدا راضيا ... مرضيا عنه ... صحيح الجسم معافى ... سليم النفس سويا .

وفى ضوء كل ما سبق ... فاننا إذ نرفض بعض تعريفات طريقة خدمة الجماعة ، فاننا نتحفظ فى قبول بعضها ... ونقر البعض الآخر .. فنحن نرفض ، مثلا ، تعريفاً كالتعريف الآتى :

١ — خدمة الجماعة نوع من النشاط التعليمى تقوم به جماعات إختيارية فى وقت الفراغ بمساعدة قائد جماعة ، ويهدف هذا النشاط إلى نمو الأفراد بواسطة الخبرة الجماعية ، وإلى الوصول إلى الأهداف الاجتماعية التى تعتبرها الجماعة مرغوبا فيها عن طريق استخدام الاعضاء للجماعة (١) .

إذا اعتبرنا أن الجماعة وسيلة الى نمو أعضائها بواسطة الخبرة الجماعية...وحتى إذا أعتبرنا أن قائد الجماعة هو الاخصائى الاجتماعى المتخصص فى طريقة خدمة الجماعة .. فإننا نرى قصور هذا التعريف ... فليس كل الجماعات جماعات اختيارية وليس كل مجال نشاط الجماعة هو مجال وقت الفراغ . . وفضلا عن ذلك فان طريقة خدمة

---

(١) خدمة الجماعة فى المجتمع الاشتراكى : صفحة ٧٣

الجماعة لا يمكن أن توصف فقط بأنها نوع من النشاط التعليمى . فهى طريقة علمية تهدف الى تحقيق عمليات التنشئة الاجتماعية لأعضاء الجماعة حتى يكونوا مواطنين صالحين . أى أنها تعد هؤلاء الأعضاء للحياة فى المجتمع الذى ولدوا فيه ومازالوا يعيشون فيه حتى يصبحوا مواطنين صالحين يسعدون أنفسهم ويسعدون الآخرين .. يؤدون واجباتهم على هدى من تقاليد المجتمع وقيمه ومبادئه ومثله العليا ..

ونحن نتحفظ فى قبول بعض تعاريف طريقة خدمة الجماعة ، ومن هذه ما يلى :

٢ ـ فن خدمة الجماعة طريقة يتضمن إستخدامها عملية بوساطتها يساعد الاخصائى الاجتماعى أفراد الجماعة فى مؤسسة تصمم غالبا لأوجه نشاط شغل أوقات الفراغ ليمنو كأفراد وكجماعة ، حتى يصلوا الى الاهداف الإجتماعية المبتغاة فى حدود أهداف المجتمع وثقافته . وعندما يستخدم فن خدمة الجماعة فى مؤسسة إجتماعية لها أغراض واهداف مختلفة كالمستشفيات أو مؤسسات الأحداث يكون غرضه وهدفه مساعدة المؤسسة كى تصل الى أغراضها وأهدافها أثناء مساعدة الأفراد والجماعة للوصول الى الأهداف الاجتماعية المبتغاة المرتبطة بأغراضهم أنفسهم وأغراض المؤسسة أيضا (١) ...

واذا اعتبرنا أن طريقة خدمة الجماعة طريقة علمية . . أى أنها تستخدم الاسلوب العلمى ، مثلها مثل طريقة خدمة الفرد ، منهجا لها .. فلا يمكن أن نقبل وصفها بأنها فن .. ويكفى أن نقول أن الاخصائى الإجتماعى المتخصص فى طريقة خدمة الجماعة ليس شخصا خلاقا أو مبتكرا . . لأنه إذ يستخدم هذا

(١) « فن خدمة الجماعة فى محيط الخدمة الاجتماعية » صفحة ١٤

الأسلوب .. أقصد هذه الطريقة .. إستخدمها ، بالضرورة ، إستخداما موضوعيا .. أقصد .. لايستخدمها إستخداما ذاتيا .. إنه .. أى الاخصائى الإجتماعى يبحث دائما عن الحقائق .. فى محيط الجماعة .. وفى محيط أعضاء الجماعة .. وهو يعمل إذ يعمل .. فى ضوء هذه الحقائق .. وليس فى ضوء الخلق أو الابتكار أو الابداع ..

ومن تعاريف طريقة خدمة الجماعة التى نقبلها دون ما تحفظ كبير .. التعريف التالى :

٣ ـ طريقة العمل مع الجماعات هى احدى طرق الخدمة الاجتماعية الثلاث .. وهى تهدف الى مساعدة الافراد على أن يصبحوا أعضاء فى الجماعات التى توفر بها فرص النمو فى تفاعل جماعى يكتسبون خلاله نموا فى خبراتهم ومعلوماتهم ومهاراتهم وقدراتهم .. ويتمكنون فيه من تكوين العلاقات الاجتماعية اللازمة لكى يتمتع كل منهم بنمو متزن يتفق مع احتياجاته وقدراته (١) ..

ومن التعاريف التى نقبلها .. ما يلى :

٤ ـ طريقة خدمة الجماعة تستخدم خبرة الجماعة لكى تيسر نمو كل عضو فيها .. وتستخدم خبرات الجماعات لمصلحة المجتمع الكبير ككل (٢) ..

٥ ـ خدمة الجماعة طريقة بوساطتها يساعد الأخصائى الاجتماعى الجماعة عن طريق العلاقة المهنية على زيادة كمية الطاقة المبذولة أثناء النشاط الجماعى ..

---

(١) عبد المنعم هاشم وآخرون : العمل مع الجماعات ـ القاهرة ، مكتبة القاهرة الحديثة ، ١٩٦٠ ، صفحة ٦٥

(2) European Seminar (Sevère) p. 6

وتوجيهها لاكتساب انماط سلوكية تتفق مع أيديولوجية المجتمع للاسهام فى النمو الثقافى للمجتمع ..(١).

ويلاحظ أن التعريف رقم ٤ تعريف أجنبى . . أما التعريف رقم ٥ فقد صاغه مصريون متخصصون .. والأخير يعتبر خطوة تقدمية نحو تحديد اهتمامات طريقة خدمة الجماعة . . فهو يهتم بزيادة كمية الطاقة البشرية لأعضاء الجماعة . . ثم هو يهتم بتوجيه هذه الطاقة البشرية حتى يكتسب أصحابها . . أعنى أعضاء الجماعة .. انماطا سلوكية تصدر عن شخصياتهم تتفق مع أيديولوجية المجتمع . . مجتمعنا الاشتراكى الذى نبنيه .. أى تتفق هذه الأنماط السلوكية مع القيم الجديدة لهذا المجتمع . . ومع مثله العليا . . وذلك كله لكى يستطيع أعضاء الجماعة . . وهم أولا وقبل كل شىء أعضاء فى المجتمع .. أن يسهموا فى النمو الثقافى للمجتمع . . النمو الثقافى بمعناه العريض . . أقصد بمعناه المادى ومعناه غير المادى . . فى كل المجالات . . وفى كل الميادين . . وفى محيط كل الفئات .

ثانيا — مبادىء طريقة خدمة الجماعة :

ومما ييسر للأخصائى الاجتماعى المتخصص فى طريقة خدمة الجماعة عمله المهنى فى محيط الجماعات . . أنه اذ يمارس مهنته يفعل ذلك فى ضوء بعض المبادىء . . والمبادى .. أقصد القواعد الأساسيه التى ترشد هذا الاخصائى الاجتماعى وتهديه .. هى المبادىء التى تكون فى ضوء الدراسة العلمية وفى ضوء الخبرة العلمية قد تشكلت ثم تطورت ثم صيغت فى عبارات .. إنها تزود المتخصص فى طريقةخدمة الجماعة باطار مرجعى يحدد له ما يجب أن يفعله ولماذا يفعله . . وكلما ازدادت

(٣) خدمة الجماعة فى المجتمع الاشتراكى ، صفحة ٨٤

الخبرة العلمية عند المتخصصين فى طريقة خدمة الجماعة وازداد فهمهم للامور . . إزداد عمق نظرتهم الثاقبة . . وربما نتج عن ذلك بعض المبادىء الجديدة . . أى أن حيوية المهنة . . أية مهنة . . تحدد نموها الزائد . . وتطورها . . ونضجها . والمبادىء التى سنوردها فيما يلى تتضمن المستوى التى وصلت اليه طريقة خدمـــة الجماعة فى الوقت الحاضر . . كما تتضمن البرهان القاطع على صحتها . . أقصد صحة المبادىء . . فى عمليات التطبيق الفعال فى مجالات المهنة . .

ويلاحظ أن معظم المبادىء التى سنوردها فيما يلى . . يعرفها المتخصصون فى طريقة خدمة الفرد والاخصائيون الاجتماعيون على وجه العموم . . لأن الذين يمارسون مهنة الخدمة الاجتماعية يهدفون « عادة » وهم يتعاملون مع الناس . . أشخاصا كانوا أو جماعات يعيشون فى المجتمع » الى تحقيق أهـــداف اجتماعية مشتركة . .

وأهم مبادىء طريقة خدمة الجماعة . . فى ضوء ما يراه المتخصصون . . مايلى:

١ ـ احترام كل الآدميين .

٢ ـ تقبل العمـــلاء .

٣ ـ الاستفادة من شخصية الاخصائى الاجتماعى فى خدمة الآخرين .

٤ ـ مسئولية الاخصائى الاجتماعى .

ويقصد بالمبدأ الأول . . مبدأ « احترام كل الآدميين » أن الاخصائى الاجتماعى المتخصص فى طريقة خدمة الجماعة وهو يعمل مع الأشخاص أو مع الجماعات . . يكن الاحترام للناس . . ولا يعنى هذا الاحترام مجرد أن يكون رجلا مهذبا . . إنه أكثر من ذلك . إنه شعور عميق . . إنه عقيدة تؤكد أن

كل إنسان جدير بالاعتبار .. واحترام الناس يعنى عدم التمييز بين الناس فى ضوء نماذج سلوكهم البشرى . . أى مهما كانت صور هذه النماذج وانماطها . . أو فى ضوء آرائهم .. أو اتجاهاتهم . . أو حتى أذواقهم .. ولكن الاحترام المقصود يعنى أنه مهما كان الشخص . . عضو الجماعة . . ومهما كانت شخصيته . . ومهما كانت مكانته الاجتماعية .. فهو يستحق اهتمام الأخصائى الاجتماعى المتخصص فى طريقة خدمة الجماعة . . كانسان . . كواحد من أبناء البشر . .

إذا اعتقد هذا الاخصائى ذلك .. وأحس به فى عمق .. فانه يستطيع ، فى سهولة وفى يسر ، أن يبنى علاقاته بالآخرين على أسس سليمة . . ويعنى احترام الاخصائى للآخرين أنه . . أى الاخصائى لا يقيس الاشخاص أو الجماعات فى ضوء ما يفضله أو ما لايفضله من مقاييس ومن قيم . . ومن مثل عليا . .

واحترام الآخرين يتضمن ،ليس فقط أن يكون من حق الآخرين أن يكونوا كما صنعهم المجتمع الذى يعيشون فيه .. ولكن يتضمن ، أيضا ، حقهم فى أن يكونوا أشخاصا مختلفين .. إن الاخصائى الاجتماعى المتخصص فى طريقة خدمة الجماعة لايعنيه كثيرا ، أوقليلا ، أن يكون الناس على اتفاق فى مجال انماط السلوك . . أو حتى فى مجال ألوان التفكير . . فهو يعلم أنه لا يوجد شخصان لهما نفس السمات . . ولا توجد كذلك جماعتان .. أى لايوجد شخصان أو جماعتان ينظران الى الدنيا نظرة موحدة أو يريان نفس الأشياء . .

ومع ذلك فقد نلاحظ ، بحق ، أن قبول حق الآخرين ليكونوا متباينين .. والاحساس بهذا الحق . . ليسا . . أقصد قبول هذا الحق والاحساس به . . أمرين ميسرين . نجد ذلك عندما يزور الأجانب بلادنا . . تراهم يحاولون أن

يروا فقط ماهو عندهم معتاد . . أقصد مايجدونه معتادا تحت ظل مناخهم الثقافى . . من عناصر ثقافية . . ونماذج ثقافية . . وعادات . . أو تقاليد . . أو اعراف . . ثم يحكمون على ما يخالف ذلك . . بأنه خطأ . . أو أنه غير عادى . . كل الأجانب يفعلون ذلك عندما يزورون بلادنا كسياح . . أو عندما زاروا بلادنا قبل ثورتنا المجيدة . . سواء زاروا بلادنا كمستعمرين . . أو حتى زاروها كسياح ...

ويلاحظ ، أيضا ، مدى التحيز الكبير الموجود فى عالمنا فى المرحلة التاريخية الحالية . . التحيز الدينى . . والتحيز العنصرى . . أو ألوان التحيز الأخرى . وان دل هذا التحيز ، بألوانه ، على شىء . . فانما يدل على أن قبول حق الآخرين ليكونوا متباينين والاحساس بهذا الحق غير معترف بها على وجه العموم . . وفى هذا الضوء ، نرى أن الأخصائى الاجتماعى المتخصص فى خدمة الجماعة إذا أراد أن يساعد أعضاء الجماعة ليقبلوا بعضهم بعضا . . أو ليقبلوا الاختلاف القائم بينهم . . فانه . . أقصد الاخصائى الاجتماعى . . يجب أن يكتسب هذا الاحساس المهنى . . الاحساس باحترام كل الآدميين . . ويكون هذا الاحساس ، عنده ، إحساسا أمينا صادقا . .

ومفهوم احترام الآخرين هو مفهوم انسانى . . وهو أيضا مفهوم ديموقراطى . . وهذا المفهوم اذا ترجمناه بلغة طريقة خدمة الجماعة يعنى أن للجماعات ولأعضائها الحق فى أن يعيشوا حياتهم طالما أنهم لا يمنعون الناس الآخرين من فعل ذلك . . أى أن الاخصائى الاجتماعى المتخصص فى طريقة خدمة الجماعة يعتقد أن احتمالات التطور عند الجماعات وعند أعضائها موجودة . . واحتمالات نمو الجماعات ونمو أعضائها ، كذلك ، قائمة . . أقصد نموها . . ونموهم عن طريق الاساليب التى

تيسر السعادة للجماعات ولأعضائها . . كما تيسر النضج كذلك . . فهو . . أقصد الاخصائي الاجتماعي . . يستطيع ، اذا اعتقد ذلك ، أن ييسر نمو ما لديهم من طاقات شخصية وذلك عن طريق تيسير الظروف المناسبة لهذا النمو . . فهو يضمن لهم ، مثلا ، الحق في ابداء الآراء وإصدار القرارات وتنفيذها . . وهو يحدد لهم نوعية مضمون خبرات الجماعة أقصد ما يمكن أن يكون عليه هذا المضمون في المستقبل . .

وعلى الرغم من تباين مستويات قدرات الجماعات في اتخاذ القرارات الضرورية . . ومحاولة تنفيذها . . فان الاخصائي الاجتماعي المتخصص في طريقة خدمة الجماعة ، في ضوء المبدأ الحالي ، يستطيع أن يساند جهود الجماعات التي تكون أقل قدرة من غيرها على تحقيق ذلك . .

وعن طريق احترام الناس . . واحترام تباينهم . . بأمانة . . لا يمكن أن نخشى خطر تحويل بعض الأشخاص الى قوالب جماعية . . أننا لا نعمل مع قوالب جماعية . . إننا نعمل مع أناس من البشر تتباين سماتهم . . إن أهم اهتماماتنا ، نحن الاخصائيين الاجتماعيين ، هي أن تيسر لكل عضو ، عن طريق ارتباطاته بجماعته ، أن ينضج في الاتجاه الذي يميزه عن غيره ، وأن يصبح ذاته الكاملة . . وأن يكون لديه الاحساس بقيمته كشخص . . ومن ثم يصبح عضوا في المجتمع أكثر نفعا . . وأكثر قيمة .

واحترام الآخرين يكون ، أيضا ، في الأسلوب الذي يستخدمه الاخصائي الاجتماعي المتخصص في طريقة الجماعة في تناول المعلومات الشخصية التي يدلي بها اليه أعضاء الجماعة . . فمبدأ السرية يطبق في هذه الحالة . . ويعني هذا المبدأ . . أقصد مبدأ السرية انه مهما تكن المعلومات التي يدلي بها أعضاء الجماعة الى الاخصائي الاجتماعي ، بصفة شخصية ، أو عن طريق الجماعة نفسها ، فان أسلوب

إستخدام هذه المعلومات السرية يكون دائما فى صالح الأعضاء وفى صالح الجماعة .

وفى ضوء ما تحدثنا عنه بشأن مبدأ احترام كل الآدميين .. نلاحظ ما يلى :

١ ـ أن مبدأ الاحترام لايعنى مجرد أن يكون الاخصائى الاجتماعى مهذبا .. انه يعنى وجود عقيدة لديه تؤكد أن كل إنسان جدير بالاعتبار .

٢ ـ أن مبدأ الاحترام يعنى عدم التمييز بين الناس فى ضوء نماذج سلوكهم البشرى .. أو فى ضوء آرائهم .. أو اتجاهاتهم .. أو حتى أذواقهم ..

٣ ـ أن مبدأ الاحترام يعنى الاعتراف بحق الآخرين فى أن يكونوا أشخاصا مختلفين .

٤ ـ أن الاحترام ، أولا وقبل كل شىء ، مفهوم إنسانى .. وهو ، أيضا ، مفهوم ديموقراطى .. وهو سبيل الى تطور الجماعات وأعضائها الى الأفضل .

٥ ـ أن مبدأ الاحترام .. يتضمن الاحتفاظ بسرية المعلومات التى يدلى بها أعضاء الجماعة .. بصفة شخصية .. أو عن طريق الجماعة نفسها .. ويتضمن،أيضا، استخدام هذه المعلومات السرية دائما فى صالح الأعضاء وفى صالح الجماعة ...

والمبدأ الثانى من مبادىء طريقة خدمة الجماعة هو«مبدأ تقبل العملاء». وهو كالمبدأ الأول ، مبدأ أساسى . . ذلك لأن العلاقة التى بين الاخصائى الاجتماعى المتخصص فى خدمة الجماعة وبين أعضاء الجماعة . . لايمكن أن تقوم .. إلا إذا شعر هؤلاء .. أقصد أعضاء الجماعة . . وأحسوا بأن هذا الاخصائى يقبلهم على علاتهم .. أى كما هم.. أى بصفاتهم الايجابية او السلبية على السواء .. فتقبل الناس كما هم ، وكما عندهم من امكانيات ، ييسر تكوين علاقة مساعدة بين الاخصائى الاجتماعى المتخصص فى طريقة خدمة الجماعة وبين من يعمل معهم ..

والتقبل . . اقصد تقبل العملاء . . ينبع من الشعور الحار نحو الإنسانية . . ككل .. وهو ينبع ، ايضا ، من الرغبة فى تخفيف اعباء المعاناة عن كاهل الانسانية

.. أيا كان أعضاؤها.. ومهما اختلف أعضاؤها وتباينوا .. فالعضو عند الاخصائى الاجتماعى موضوع اهتمام وكذلك الجماعة . . وأعضاء الجماعة يحسون بمشاعر الاخصائى الاجتماعى ويدركون ان كان يهتم بهم أو انه لايفعل ذلك . .

ويلاحظ أن الاخصائى الاجتماعى المتخصص فى طريقة خدمة الجماعة . الذى يعمل فى محيط كبار السن ، مثلا ، يعرف مدى رغبة هؤلاء الناس فى الحب والحنان والاهتمام ... وهو . أى الاخصائى الاجتماعى :. يعرف ، أيضا ، مدى انبعاث الاحساس بالأمن الاجتماعى فى كيان هؤلاء الناس الكبار عندما يشعرون بأنه يقبلهم .. وأنه يبادلهم الحب والحنان والاهتمام . وأن تقبل الاخصائى الاجتماعى لهؤلاء الناس ، على علاتهم ، يعنى عندهم .. الامل ويعنى الثقة .. ومن ثم يصبحون قادرين على السير قدما نحـــو تجديد العلاقات الانسانية ونحو إنشاء العلاقات الانسانية الجديدة ..

وصغار السن . . مثل كبار السن من الناس . . فى حاجة الى الحب والحنان والاهتمام..وهم، أيضا، فى حاجة الى الفهم .. والى إعادة الثقة اليهم .. إنهم يشعرون حتما باهتمام الاخصائى الاجتماعى بهم إذا بادلهم هذا الاهتمام . . ان التقبل عنصر هام فى إيجاد العلاقة السليمة بين الاخصائى الاجتماعى المتخصص فى طريقة خدمة الجماعة وبين الجماعة التى يعمل فى محيطها ..

والبالغون ، ايضا ، مثل كبار السن ومثل صغارهم فى مسيس الحاجة الى التقبل .. والى الحب والحنان والاهتمام ..

لايوجد إنسان واحد . . إنسان سوى .. ليس فى حاجة ماسة الى الحب . . اى الى أن يحب غيره والى ان يحبه غيره . . وهذه الحاجة الماسة تعبر عن نفسها ، عند الناس ، بأساليب متباينة .. تبعا لأعمارهم .. وتبعا لأنماط شخصياتهم .

وقدرة الاخصائى الاجتماعى على تقبل الناس الذين يعمل معهم تعنى أنه . . أى الإخصائى الاجتماعى يجب أن يعرف أن كل صورة من صور السلوك البشرى أو كل نمط من أنماط هذا السلوك .. له معنى .. وله غرض .. أى أن كل نمط من سلوك الاعضاء والجماعات .. له دلالة حتى إذا كان يبدو غامضا .. أو سخيفا . فالسلوك الذى يصدر عن الأعضاء ربما يكون سلوكا ماجنا .. أو سلوكا منحرفا . أو مجرد سلوك يوصف بالغباء . وكل نمط من هذه الانماط السلوكية ينم عن اتجاه معين يكشف بالضرورة عن حالة من حالات التوتر أو عن حالة من حالات السخف. ولعل الذين يسلكون نوعا من أنواع هذا السلوك لم يجدوا وسيلة أخــــرى إلى جذب انتباه الآخرين اليهم .. أو وسيلة أفضل إلى افهام الآخرين أن خطأ ما فى محيط ظروفهم الاجتماعية قائم . . ومهما يكن من الأمر فالاخصائى الاجتماعى المتخصص فى طريقة خدمة الجماعة ، فى ضوء ، خبرته العلميه وخبرته العملية يستطيع أن يفسر كل علامة من هذه العلامات . . أقصد نوع كل إتجاه من هذه الإتجاهات التى تنم عن كل نمط من هذه الانماط السلوكية . . إنه . . أى الإخصائى . . يعتبر أن المصدر . . أقصد عضو الجمـــاعة . . يدعوه دعوة صريحة إلى مساعدته . فعضو الجماعة يخفى ، فى الواقع ، عن طريق سلوكه هذا .. رغبة أكيدة فى إتخاذ احد انماط السلوك الاخرى المقبولة .. وعضو الجماعة يرفض أية مساعدة مالم تأت من شخص يستطيع أن يقبله . . أى شخص يرغب فى منح المساعدة . . ويكون قادراً على هذا المنح . . ومن يكون أجدر بهذه الصفات . . القبـول والرغبة والقدرة . . غير الإخصائى الاجـــتماعى المتخصص فى طريقة خدمة الجماعـــة ؟ .

وفضلا عن ذلك يجب أن يلاحظ الاخصائى الاجتماعى الذى يعمل فى محيط الجماعات .. أن بعض أوجه النشاط .. نشاط أعضاء الجماعة .. قد يكون تعبيرا

عن أشياء أعمق من أن تكون سطحية . . وان يلاحظ ، أيضا ، أن السلوك العدوانى قد يكون تعبيراً لنيات سليمة .. فالشخص . . عضوا الجماعة . . قد يكون خجولا غير قادر على اظهار حبه فى صراحة .

ومهما يكن فأعضاء الجماعة يشعرون بقبول الإخصائى الاجتماعى لهم إذا لم يكن مصدر تجريح لهم .. وإن كان من حقه أن ينقدهم نقداً بناء أو أن يقيم لهم بعض الحدود. لا يوجد الشخص الذى يحاول أن يرضى الآخرين إذا كان يحتقرهم ولكن كل انسان مستعد لان يقوم بعمل ما . . لان يضحى بشىء ما . . . من أجل الناس الذين يعاملونه معاملة طيبه . . فالإخصائى الإجتماعى المتخصص فى طريقة خدمة الجماعه ، فى ضوء المبدأ الحالى ، يستطيع أن يفعل الكثير . . حتى ولو كانت الجماعة التى يعمل فى محيطها جماعة من الاحداث الجانحين . . أقصد من الأحداث اللصوص . . أو غيرهم من المجرمين . . أو من المشردين . . إنه أى الإخصائى الإجتماعى يستطيع أن ينجح فى تغيير جهاز قيمهم الإجتماعى . . من جهاز قيم غير مقبول . . إلى آخر مقبول ومتوقع . ان تجارب الكاتب الأولى فى ميدان الأحداث الجانحين فى بلادنا . . وحتى فى محيط الشبان الزنوج فى مدينة بوستن بالولايات المتحدة الأمريكية . قد أثبتت هذا النجاح. إن مفتاح العمل مع جماعات الاحداث الجانحين هو قبول أعضائها على علاتهم . . دون ما تجريح ونقدهم نقداً بناءا دون ماحرج . . إن الشرط الوحيد الذى قبله الأحداث اللصوص من الكاتب هو أنه غير مستعد لأن يكون واحداً منهم . . أقصد لصا مثلهم . . وكان العمل الذى يقوم به الكاتب معهم على هدى مبدأ تقبل العملاء حتى إذا أبدوا الوانا من الشعور بالعداوة فى بعض الاحيان . . ان هذه الالوان العدوانية ما هى إلا ردود فعل متوقعة ، إن محاولة فهم ذلك . . والنجاح فى هذه

المحاولة . . فى ضوء قبول هؤلاء الاحداث . . كانت سبيل توفيق الكاتب فى العمل معهم . . على الرغم من أنه لم يكن واحداً من أندادهم .

أما مبدأ « الاستفادة من شخصية الاخصائى الاجتماعى فى خدمة الآخرين» فهو المبدأ الثالث . . وقد يبدو هذا المبدأ، فى مضمونه ، أنه وسيلة للعمل أيضا. والملاحظ أن الاخصائى الاجتماعى المتخصص فى طريقة خدمة الجماعة فى أثناء التفاعلات التى تحدث بينه وبين أعضاء الجماعة . . يهتم ، أول ما يهتم ، بالوسائل التى تساعد هؤلاء الاعضاء على أن ينموا . . وان ينضجوا . . وطبيعى أن الجماعة باقية لاعضائها وليست للاخصائى الاجتماعى . . ونلاحظ فى التطبيق أن العديد من الدوافع الشخصية الواعية وغير الواعية تؤثر ، بالضرورة ، على عمل الاخصائى الاجتماعى دون أن يعى ذلك فى بعض الأحيان .. وقد يظهر بعض المشاعر العميقة .. أقصد مشاعر الاخصائى الاجتماعى .. على السطح فى اللحظات التى لا يتوقعها .. مما يكون له أكبر الاثر على نظرته نحو الاعضاء الذين يعمل معهم .

فإذا كان الاخصائى الاجتماعى شخصا يميل إلى المنافسة ، فى معظم الاحيان ، مثلا .. نراه يحاول البروز فى كل شىء يقوم به .. إنه قد يجد من الصعب عليه أن يقبل بعض الحقائق .. فقد لا يقبل ، مثلا ، من الجماعة التى يعمل معها أنها لا تساير أهداف شخصيته المنافسة واتجاهاتها .. أو أن يعتبر هذه الجماعة ، فى ضوء قدرتها وقوتها ، ليست أحسن الجماعات .. وربما يعانى هذا الاخصائى من كون هذه الجماعة لا تتطور كما يجب لها أن تتطور ومع ذلك قد يخفى على هذا الاخصائى أشياء .. فقد يصبح عاجزاً ، ازاء هذا الموقف ، عن كشف القوة الحقيقية التى تكون كامنة فى أعضاء الجماعة .. على

الرغم من الضعف الذى يكون باديا عليهم . . وفى هذا الضوء يجب على الاخصائى الاجتماعى المتخصص فى طريقة خدمة الجماعة لكى يكون قادرا على التعامل مع الآخرين تعاملا فعالا . . أن يكون قادرا على ضبط دوافع الطموح فى شخصيته. إنه . . أى الاخصائى الاجتماعى يجب أن يكون على بينة من مشاعره التى تؤثر فى كل عمل يقوم به . . إنه يجب أن يهتم ، فى كل الأوقات ، بنتائج ما يقوم به من أعمال . . وبأن ما يقوم به من أعمال يكون ، حقيقة ، فى سبيل مصلحة الجماعة وليس فى سبيل إشباع حاجة فى نفسه . وبقدر ما يستطيع الاخصائى الإجتماعى أن يعترف بمشاعره واحاسيسه . . وبقدر ما يستطيع أن يضبط هذه المشاعر والأحاسيس . . بقدر ما يصبح هذا الاخصائى الاجتماعى ، بحق ، إخصائيا إجتماعياً مهنيا .

ان الاخصائى الاجتماعى المتخصص فى طريقة خدمة الجماعة هو ، أولا ، وقبل كل شىء ، إنسان مثل غيره من الناس . . أى أنه شخص له اتجاهاته وله انماط سلوكه . . وله مشاعره أيضاً . . وله مضايقاته ومخاوفه . . وعنده الوان معينة من الحماس ، وكل هذه أمور طبيعية . . أى أن كونها موجودة عنده أمر متوقع . . أمر مقبول . . وانما عليه ... أى على الاخصائى الاجتماعى أن يكون قادرا على أن يتعرف بدقة على كل مايصدر عنه...وعلى كل مايصدر عن أعضاء الجماعة.

واذا كان الاخصائى الاجتماعى المتخصص فى طريقة خدمة الجماعة شخصا يحب بعض الامور أو بعض الأشياء .. أو لايحب بعض الأمور أو بعض الاشياء ... فانه يجب أن يكون حريصا جدا من أن يحابى عضوا من أعضاء الجماعة على حساب الاعضاء الآخرين .. قد يحدث ذلك دون ماقصد..ومع ذلك فان حدث فان دوره فى محيط الجماعة ككل قد ينحرف .أقصد أنه لا يستطيع أن يقوم بدوره كما ينبغى وربما أصبح دوره فى خبر كان ... أى لا يؤثر التأثير الإيجابى المرجو.

إن من حق الاخصائى الإجتماعى المتخصص فى طريقة خدمة الجماعة أن يبدى رأيه الشخصى فى كل الأمور . . إنما ليس من حقه أن يوجه الجماعة . . أو يعيق نموها وتقدمها وفقا لآرائه الخاصة . . إنه يعيش فى مجتمع معين . . وهو . . فى الواقع يمثل هذا المجتمع . وذلك بالاسهام فى القيام باحدى العمليات الاجتماعية الضرورية فى هذا المجتمع : عملية التنشئة الإجتماعية . وفى ضوء قيم المجتمع ومبادئه يعمل الاخصائى الإجتماعى . ومن المؤكد أن عبء الأخصائى الإجتماعى المتخصص فى طريقة خدمة الجماعة، فى مجتمع كمجتمعنا الحالى عبء جسيم . إن مجتمعنا الحالى ينتقل من مرحلة إلى مرحلة أخرى . إن الرواسب البالية تحوم لاتزال فى المناخ الإجتماعى لمجتمعنا فى الوقت الحاضر . إن القيم الجديدة تتصارع مع هذه الرواسب البالية . إن الأخصائى الإجتماعى الذى يعمل مع الجماعات فى مجتمعنا الحالى يحاول أن يؤكد . . أو يجب أو يؤكد القيم الجديدة . . ويجب أن يصارع الرواسب البالية فى محيط الجماعات حتى يصرعها . . يعمل ذلك فى ضوء عقيدة وإيمان . . ويتعاون مع غيره من القادة الإجتماعيين فى المجتمع فى سبيل تحقيق ذلك ما استطاع إلى ذلك سبيلا .

إن الأخصائى الإجتماعى المتخصص فى طريقة خدمة الجماعة الذى يعمل لأول مرة مع احدى الجماعات . . يواجه نوعين من المشاعر . . كل منهما أمر متوقع . . أمر طبيعى : فهو ، أولا ، قد يشعر بلون من ألوان الرهبة وربما الخوف إزاء اتجاهات الجماعة نحوه . . لقد أحس الكاتب ذلك فى كل تجربة جديدة من هذا القبيل، أحس ذلك فى محيط الجماعات التى تعيش فى مناخ ثقافى كالمناخ الثقافى الذى نعيش فى ظله . . وأحس ذلك فى محيط الجماعات التى تعيش فى مناخ ثقافى يخالف المناخ الثقافى الذى نعيش ظله . . وهو ، ثانيا ، يحس بالرغبة الأكيدة عنده فى النجاح . .

أقصد النجاح فى عمله مع الجماعة التى يعمل معها لأول مرة . وإذا وجد الأخصائى الإجتماعى عنده هذين اللونين من المشاعر . وإذا أقرهما . فانه يكون قد خطا الخطوة الأولى . فمواجهة الرهبة أو حتى الخوف بالاعتراف بوجودهما يعنى انقشاعهما حتما . . والرغبة الأكيـــدة فى النجاح الأكيد . إذا ما صدرت عن الأخصائى الإجتماعى . وأقرها الاخصائى الإجتماعى . تيسر له . أن يقوم بالواجبات الملحة التى تكون أمامه . ومنها وربما يكون أولها . أن يبدأ بتنظيم العناصر البشرية وغيرها التى بين يديه .

ونوع علاقة الأخصائى الإجتماعى المتخصص فى طريقة خدمة الجماعة بالسلطة يعكس ، بالضرورة ، نوع العلاقة بينه وبين الجماعة . والمقصود بالسلطة ، هنا ، الهيئة التى يكون هو مسئول أمامها . قد تكون هيئة صغيرة . أو هيئة كبيرة . هيئة من القطاع العام . أو هيئة من القطاع الخاص . ومهما يكن فان كانت علاقة الأخصائى الإجتماعى بالسلطة على غير ما يرام . . أى أنه يحس بتعسفها ، مثلا ، فانه . أى الاخصائى الإجتماعى يسقط هـذا الاحساس على الجماعة . . أى أنه قـد يتخيل أن الجماعة ، مثله ، لاتستطيع أن تحتمل هذا التعسف . . وأن رأى الاخصائى أن الأمر بعيد عن التعسف . . وإنما لكل سلطة نفوذها . . وأن من حقها أن تفرض القيود . . فانه يجد ان أعضاء الجماعة يسمون إلى القوة عنده هو . ولايحسون بأن هذه القيود قيود .

إن الأخصائى الإجتماعى المتخصص فى طريقة خدمة الجماعة لابد أن يكون قادرا على ضبط نفسه . . وعلى فهم نفسه دون ما أن يفقــــد حماسه أو يفقد مرونته .

والاخصائى الاجتماعى المتخصص فى طريقة خدمة الجماعة يعمل مع جماعته ،

بالضرورة ، فى مجال أوجه النشاط المتباينة . . وهى أوجه نشاط تنظم ، عادة ، فى جو ودى وببساطة . ومن هذه الأوجه مثلا . . الموسيقى . . الرقص . . الألعاب . المعسكرات . ومن واجب الاخصائى أن يشترك فى كل هذه الأوجه من النشاط إن اشتراكه هذا جزء من عمله . ولا يكون اشتراك الاخصائى فى هذه الأوجه من النشاط . وفى غيرها . مجرد اشتراك . أنه اشتراك ، بالضرورة مملوء بالحماسة. اشتراك ، بالضرورة ، تشع فيه الحيوية . وإذا كان غير ذلك . أى إذا كان اشتراك الاخصائى فى مجال أوجه النشاط المشار إليها مجرد اشتراك . . يكون أعضاء الجماعة غير قادرين على الاستمتاع بها . . ولا تكون هذه الأوجه من النشاط عندهم مصدرا للاشباع المرضى . ومهما يكن من الأمر فلابد أن تكون حماسة الاخصائى الإجتماعى ، فى هذا المجال ، بقدر . وان تشع حيويته ، أيضا ، بقدر . أى أن الاخصائى الإجتماعى يعمل ، فى هذا المجال ، على السليقة . وإذا اشترك فى أوجه نشاط الجماعة يكون اشتراكه مبنيا على اهتمام أصيل يصدر عنه . فالعبرة ، أولا أخيراً ، أن تنشط الجماعة ، وأن يكون نشاطها سعيداً . وأن تزداد خبراتها ، وأن تكون خبراتها مثمرة .

وفى ضوء ما سبق . . نجد أن الاخصائى الإجتماعى المتخصص فى طريقة خدمة الجماعة . . هو شخص رشيد مؤهل . يعمل فى سبيل الجماعة . . فى سبيل نمو أعضائها ونموها أقصد النمو الإجتماعى الرشيد . . وهو يمثل المجتمع . وهو بهذه الصفة إذ يعمل مع الجماعة يعمل عن وعى ييسر له ان يستخدم نفسه . . وان يتحمل مسئوليته الاجتماعية النبيلة .

وإذا اعتبرنا الاخصائى الإجتماعى المتخصص فى طريقة خدمة الجماعة شخصا مسئولا فاننا نقصد بذلك انه شخص لا يعمل لحسابه . . انه يعمل لحساب المجتمع الذى

يعيش فيه ككل . أى أنه يعمل فى إحدى وحدات هذا المجتمع . أقصد فى أحـد الأجهزة الاجتماعية القائمة فى هذا المجتمع . ولعل مبـــدأ « مسئولية الاخصائى الإجتماعى » يعنى هنا مسئوليته أمام الوحدة الإجتماعية التى يعمل فيها . أو أمام الجهاز الاجتماعى الذى يعمل فيه . وهذه الوحدات والأجهزة الإجتماعية عديدة. سيكون مكان التحدث عنها ، بالتفصيل ، فى الصفحات التالية . أى عندما نتحدث عن مجالات طريقة خدمة الجماعة .

وإذا كان الاخصائى الإجتماعى المتخصص فى طريقة خدمة الجماعـة لا يعمل لحسابه . . كما يعمل الطبيب أو المهندس أو المحامى أو المحاسب مثلا . . كما هو الحال فى بعض المجتمعات . أو كما هو الحال ، كما يعرف القارىء ، حتى الآن ، فى مجتمعنا فانه .. أى الاخصائى الإجتماعى يستمد سلطته فى العمل مع الجماعات وأعضائها من سلطة الوحدة الاجتماعية التى تستخدمه ..والتى هو يمثلها . . فالجماعات وأعضاؤهـا ينضمون إلى إحدى الوحدات الاجتماعية فى المجتمع ، أو إلى أحد أجهزته الاجتماعية لانهم يختارون ، بالضروره ، أهداف هذه الوحدة أو أهداف هذا الجهاز . ويحاولون بالضرورة ، أن يحققوها .. أقصد أن يحققوا هذه الأهداف .

ونحن فى مجتمعنا المصرى العربى لدينا جهـــاز إجتماعى جبار هو الاتحاد الاشتراكى . كل أعضاء المجتمع الاشتراكيين أعضاء فيه . . وفى ضوء الميثاق تحددت أهداف الاتحاد الاشتراكى .. ونحن ، كأعضاء نحاول أن نحقق هـــذه الأهداف . وكلها أهداف تقصد ، عن وعى ، بناء مجتمعنا الاشتراكى الجديد . وإذا ما استخدم جهاز الاتحاد الاشتراكى بعض القادة الإجتماعيين فيه . كالاخصائيين الإجتماعيين المتخصصين فى طريقة خدمة الجماعـة . . وغيرهم -- يصبح هؤلاء القادة

الاجتماعيون مسئولين أمام جهاز الاتحاد الاشتراكى. هم فيه جزء لايتجزأ.. هم فيه يمثلون الفلسفة العلمية التى تنبعث منها أهدافه . وهم يمثلون أيضا سياساته وعملياته العديدة .. يمثل هؤلاء القادة كل هذه الأشياء أمامنا نحن الأعضاء . هم إذ يفعلون ذلك إنما يعبرون عن اعترافهم بوظائف جهاز الاتحاد الاشتراكى وقبولهم أياها كاطار مرجعى لهم يحدد أمامهم ما ينبغى عليهم أن يفعلوه. ويلاحظ أن أهداف مهنة الخدمة الإجتماعية ، والاخصائى الاجتماعى المتخصص فى طريقة خدمة الجماعة يمثل هذه المهنة ، فى ضوء ظروفنا التاريخية الحالية ، هى ، بالضرورة ، أهداف جهاز الاتحاد الاشتراكى . ولها ، بالضرورة ، نفس الأغراض أى أن الاخصائى الاجتماعى فى حدود هذه الأهداف والاغراض يستطيع أن يعمل دون ما صراع بين أهداف الجهاز وأغراضه وأهداف مهنته وأغراضها . أنه يستطيع أن ييسر لكل جماعة يعمل معها التقدم والنهوض فى حدود قدراتها وفى ضوء هذه الأهداف وهذه الأغراض . ومن حق جهاز الاتحاد الاشتراكى أن يختار أنواعا معينة من الخدمات . . وأن يختار أولية مكان معين دون مكان آخر . . أو فئة معينة دون فئة أخرى . ومن واجب الاخصائى الإجتماعى أن يعمل على هدى كل ذلك .. ويكون واعيا بحدود مدى العمل المتاح .. وحدود الاماكن التى تكون لها الاولوية .. وكذلك يكون واعيا بالاشخاص الذين يعمل معهم .، ويكون واعيا ، أيضا ، بالطريقة التى يتبعها لتحقيق أهداف هذا الجهاز وأغراضه . .

ويلاحظ أن الاخصائى الاجتماعى المتخصص فى طريقة خدمة الجماعة يعمل دائما مع الناس . أقصد مع الجماعات .. وهو يعمل فى جهاز اجتماعى .. ويكون له ،

بالضرورة ، علاقات مهنية مع الاجهزة الاجتماعية الاخرى فى المجتمع . . والمجتمعات لا تثبت على حال . . أى انها متغيرة على الدوام . . أى انهـا مثل الأشخاص ومثل الجماعات . . ديناميه . . والاخصائى الاجتماعى يعيش فى المجتمع وهو يعمل . . وهو فى ضوء حياته وعمله فى مركز مناسب يلاحظ منه صور التغير الاجتماعى التى تحدث باستمرار . . خصوصا فى مجتمع كمجتمعنا ... أقصد المجتمع الذى يعيش فى ثوره اجتماعية .. ويحاول باصرار ان يواجـه نتائج هذه الثورة الاجتماعية . وفى ضوء ملاحظة الاخصائى الاجتماعى لألوان التغير الإجتماعى يستطيع ان يقيم مداها . . وفى ضوء هذا التقييم يستطيع أن يتعرف على الآثار الاجتماعية المترتبة عليها . . ومن ثم يستطيع أن يقارن بين ما يقوم به الجهاز الاجتماعى الذى يعمل فيه . . أقصد بين ما يقدمه هذا الجهاز من خدمات وبين ما يحدث . . وفى ضوء هذه المقارنة يستطيع الإخصـائى الاجتماعى المتخصص فى طريقة خدمة الجماعة ، وهو احدى عيون الجهاز الذى يعمل فيه ، أن يقترح خدمات أخرى جديدة . . تتفق مع الظروف الإجتماعية القائمة .. وربما فى ضوء ما يقترحه الاخصائى الاجتماعى يغير الجهاز الاجتماعى من سياسته فعلا .. ان اهم ما يجب أن يكون عمله هو تزويد عملائنا بالخدمات التى هم فى حاجة اليها فى ضوء صور التغير الاجتماعى التى تحدث فى المجتمع باستمرار .

ومع ذلك فإن الجهاز الإجتماعى الذى يعمل فيه الإخصائى الاجتماعى قد يكون محدود الموارد . . اقصد الموارد الماديه والموارد البشرية العلمية والفنية وغيرها ومن ثم فعلى الاخصائى الاجتماعى ان يفسر ذلك للعملاء . . وقد نجد فى مجتمعنا هذا النوع من الأجهزة الاجتماعية . . إنه على الرغم من النيات الواعيـة ..

والكفاءة العلمية . . والقدرة على العمل .. قد يجد الجهاز الإجتماعى نفسه مقيداً . . مكتوف اليدين . . لا يستطيع أن يغير من سياسته حتى تتمشى مع ظروفنا الإجتماعية الثائرة .. اننا نلفت النظر إلى ذلك .. ولعل الظروف المواتية التى تيسر لمثل هذه الأجهزة الإجتماعية السبيل إلى العمل قدما فى سبيل تأدية رسالتها أن تتوافر .

وعلى العكس من ذلك قد نجد جهازا إجتماعيا يعمل فى محيط الجماعات ولا يسير على خط التقدم الاجتماعى المنشود .. أقصد الخط الذى يرسمه المجتمع .. ويتفق مع آداب مهنة الخدمة الاجتماعية .. فما هو موقف الإخصائى الاجتماعى المتخصص فى طريقة خدمة الجماعة ؟ قبل الاجابة على هذا السؤال فإن الكاتب ليرجو ملحا أن لا يكون لمثل هذا الجهاز الاجتماعى وجود فى مجتمعنا الثائر . . وإن وجد هذا الجهاز فالرجاء أن يكون وجوده إلى حين . . إن ظروفنا الحالية لا تطيق وجود هذا الجهاز . . إن الثمن الذى يدفعه مجتمعنا بسبب ذلك ثمن باهظ من كل الوجوه . . إننا نبنى مجتمعنا جديداً . . ولا بد أن نزيل كل العقبات . . ووجود مثل هذا الجهاز احدى العقبات فى سبيل هذا البناء . . ومع ذلك . . ما الموقف الذى يجدر بالاخصائى الاجتماعى المتخصص فى طريقة خدمة الجماعة أن يتخذه ازاء وجود جهاز لا تتفق سياسته مع آداب مهنة الخدمة الاجتماعية الثائرة . . ؟ انه قبل كل شىء يجب أن لا يعمل فى هذا الجهاز واذا كان يعمل يجب عليه أن يقدم إستقالته .

وقد تناول بعض المتخصصين المصريين مبادىء طريقة خدمة الجماعة . . وكانت كتاباتهم عنها شتى . . والكثير مما كتبوه منقول عن المراجع الأجنبية . . ومع ذلك ففى الذى كتبوه خير ما فى ذلك من شك .. وفى الذى كتبوه ،

ايضا ، ألوان من التكرار .. وبعض ألوان من التعسف(١) . وقد اختلفت طريقتنا لعرض المبادىء .. وإن كان مضمونها يتفق مع الكثير مما كتبه الآخرون . فقد نحونا نحو التطبيق .. وضربنا الامثلة الحية فى ضوء خبرتنا ، وهى بالضرورة محدودة ، وفى ضوء مبادىء مجتمعنا الحالى .. المجتمع الذى نحاول أن نبنيه .. أقصد المجتمع الإشتراكى .

وللقارىء أن يرجع إلى مراجع هؤلاء المتخصصين ليحقق بنفسه ما ذهبنا اليه ولعل الألوان المتكررة قد يقبلها الكاتب لأن المراجع متكررة . ولكن ألوان التعسف لا يمكن قبولها . لقد حاول الكاتب ، مثلا ، ان يفهم مضمون بعض العبارات .. منها : « إن التغير لا يفرض على الجماعة من الخارج - بمعنى أن العوامل الخارجية لا تقوم بتغيير الجماعة - وما هى إلا مثيرات فقط - تتغير الجماعة إستجابة لها ، والعوامل الداخلية للجماعة هى التى تقوم بالدور الاكبر فى عملية التغيير ، فالتغير يأتى من الداخل تحت تأثير خارجى » (٢) ، ان هذه العبارات غامضة . . لاتهدى القارىء إلى شىء . . فالاشخاص كأشخاص أو فى جماعات يعيشون فى المجتمع . . أى فى علاقات إجتماعية . . إن هذا المجتمع فى تغير مستمر وان هذه العلاقات فى تغير مستمر كذلك . . ان الاشخاص كأشخاص أو فى جماعات فى ضوء هذا التغير المستمر .. بالضرورة .. يتغيرون .. أى انهم ينظرون إلى الحياة نظرة تختلف عنها قبل تغير المجتمع . . أى قبل تغير علاقاتهم الإجتماعية . . ان اعضاء المجتمع فيما بعد الثورة متغيرون حتما عما كانوا عليه قبل الثورة ..

---

(١) خدمة الجماعه فى المجتمع الاشتراكى : صفحات ١٠٦ ــ ١٢٢

والعمل مع الجماعات : صفحات ٧٤ ــ ٧٩ ، وفن خدمه الجماعة فى محيط الخدمة الاجتماعية : صفحات ٤٤ ــ ٥٨ .

(٢) خدمة الجماعة فى المجتمع الاشتراكى : صفحة ١١٩

إن المجتمع قبل الثورة كان مجتمعا رأسماليا إقطاعيا رجعيا .. ان المجتمع بعد الثورة يختلف إختلافا جذريا عن المجتمع قبل الثورة ... إننى لا اعنى إن تغير الأشخاص كأشخاص أو فى جماعة يتغيرون فى ضوء تغير المجتمع أى فى ضوء تغير علاقاتهم الإجتماعية .. ميكانيكيا .. ولكنهم بفضل ذلك يتغيرون .. لأنهم لابد أن يعيشوا حياتهم .. وإن ينتجوا وان يبنوا مع البانين(١) . ان أعضاء المجتمع المصرى العربى فى ضوء تغير المجتمع الحالى أى فى ضوء تغير علاقاتهم الاجتماعية لم يقاوموا هذا التغير .. ان مصالح الملايين منهم تتفق إتفاقا طردياً مع هذا التغير .. أقصد ملايين الفلاحين .. وملايين العمال . والملايين غيرهم من الجنود والضباط والمثقفين الإشتراكيين .. إن قيم المجتمع ومبادئه ومثله العليا . ليست خارجة عن أعضاء المجتمع .. إنها متمثلة فيهم .. أى اننا لا نرى هذه القيم والمبادىء والمثل فى الشوارع .. أو على الشجر أو فى مخزن معين من المخازن .. انها فينا جميعا .. نتمثلها منذ لحظة الولادة .. وفى خلال عمليات التنشئة الإجتماعية .. فى الأسرة .. فى المدرسة .. فى النادى .. فى الحى .. فى المنظمة الدينية .. ومن خلال عمليات أجهزة الأعلام .. ان التغيرات المادية للمجتمع مستمرة ... الناس يقومون بها فى ضوء مصالحهم .. إن التغيرات غير المادية المجتمع مستمرة كذلك .. الناس يقومون بها فى ضوء مصالحهم كذلك ... ان ظاهرة التغير هى سنة الحياة ... كيف يقاوم الأشخاص كأشخاص أو فى جماعات ظاهرة التغير ؟ انهم ببساطة فى

---

(١) اذا لاحظنا جماعة اللعب فى المدرسه الابتدائية وقارنا نفس الجماعة أو حتى غيرها فى الجامعة أو فى المعهد العالى أو فى المصنع .. حيث تصبح الظروف الاجتماعية متغيرة والعلاقات الاجتماعيةمتباينة .. نجد التغيرات الواضحة فى شخصيات أعضائها واتجاهاتهم وأهدافهم .

تغير مستمر (١) . وهم فى مجتمعنا فى تغير مستمر . لأنهم ، أولا ، مستعدون لهذا التغير . فهو تغير إلى الافضل . ولأنهم ، ثانيا ، يتوقعون وجود الامكانيات التى تساعد على هذا التغير . امكانيات المجتمع الاشتراكى الذى نبنيه . وهى امكانيات بغير حدود (٢) .

ثالثا — خطوات طريقة خدمة الجماعة :

تهدف طريقة خدمة الجماعة ، كما سبق أن أوضحنـــا ، إلى تحقيق بعض الاهتمامات . . على هدى بعض المبادىء . أى أنها تهدف إلى نمو شخصيات أعضاء الجماعات . كل الاعضاء . . فى كل الجمـــاعات . وهى لا تساعد الاشخاص على استخدام الجماعات لتحقيق نمو شخصياتهم فحسب ، بل هى فى الوقت نفسه تساعد الجماعات على تحقيق الاغراض الإجتماعية المرغوب فيها .. أى الأغراض التى يتطلبها المجتمع . أو التى يتوقعها . والهدفان السابقان .. نمو شخصيات الأعضاء ومساعدة الجماعات على تحقيق الأغراض المرغوب فيها . لا يريان منفصلين . فهما يكملان بعضها البعض ، وهما متداخلان . . ولا يمكن التفكير فى أحدهما دون التفكير فى الآخر ، فما يقدمه الاعضاء فى الجماعة من قدرات وآراء ومشاعر . .

---

(١) الجماعات فى تغير مستمر والأعضاء .. أعضاء الجماعات فى تغير مستمر كذلك .. مع ملاحظة انه اذا كانت الجماعة تصنع الاعضاء ، فان اعضاء الجماعة يصنعون الجماعة كذلك . فما يقدمة الاعضاء فى الجماعة من قدرات وآراه ومشاعر يحدد ، بالضرورة مدى حيوية الجماعة ومدى تحقيق اهدافها . وما تقدمه الجماعة للاعضاء يعتمد ، بالضرورة على مستوى "قيمة التجربة أو التجارب التى يصنعها الاعضاء معا ، كفريق ، فى داخل الجماعة" . (أنظر الفصل الحالى صفحة ١٠١)

(٢) إن مصالح الملايين من أعضاء مجتمعنا الحالى قد تتعارض مع مصالح "الأقلية المنحرفة" من الرجعيين وأذناب الاستعمار ومن على شاكلتهم لأسباب لاتخفى على القائد الاجتماعى الثائر . . .

يحدد ، بالضرورة ، مدى حيوية الجماعة ومدى تحقيق أهدافها .. وما تقدمه الجماعة إلى الأعضاء يعتمد ، بالضرورة ، على مستوى قيمة التجربة أو التجارب التى يصنعها الأعضاء ، معا ، كفريق ، فى داخل الجماعة .

ونحن فى مجتمعنا المعاصر .. فى مسيس الحاجة إلى إستخدام طريقة خدمة الجماعة عن طريق متخصصين إجتماعيين فيها .. فى ضوء مبادئها .. وبقصد تحقيق إهتماماتها .. أن مجتمعنا الجديد فى مسيس الحاجة إلى إستخدام قدرة الجماعة وقوتها .. يستخدمهما فى محيط جماعاته ، بالضرورة ، الإخصائى الإجتماعى المتخصص فى طريقة خدمة الجماعة .. حيث يحاول دائما ، على هدى تخصصه ، أن يوجه هذه القدرة .. أو هذه القوة .. نحو الأهداف الإيجابية أقصد الأهداف التى يتوقعها مجتمعنا الإشتراكى الجديد .. لكى يحيا أعضاؤه حياة طيبة .. حياة إنتاج وازدهار .. حياة أفضل .

ويلاحظ أن تحقيق إهتمامات طريقة خدمة الجماعة لا يمكن أن يكون إلا بتكوين الجماعة .. أو الجماعات .. أو بتدعيم ما يكونه المجتمع منها عادة .. فى ضوء خطة عمل تنبع من واقعنا على هدى مبادئنا الإشتراكية .. أو فى ضوء برامج يشترك فيها الإخصائى الإجتماعى المتخصص فى طريقة خدمة الجماعة على هدى مخطط يتفق مع حاجات مجتمعنا الإشتراكى .. ولا بد أن تخضع هذه البرامج للدراسة .. الدراسة العلمية المستمرة .. التى تهدف .. أول ما تهدف .. الى فهم العمليات الجماعية فى الجماعة .. أو فى الجماعات فهما موضوعيا ييسر مواجهة نتائجها فى كل المجالات .. وفى محيط كل الفئات .. أى ييسر عمليات تقييم هذه النتائج .. حتى يسير الركب دائما

وهو على بصيرة من أمره . بصيرة تستند إلى المنهج العلمى . فالعلم هو .. فى ضوء الثورة الاجتماعية التى نعيشها فى مجتمعنا المعاصر .. سلاحنا الثورى .

أى أن خطوات طريقة خدمة الجماعة تهدف فى الواقع إلى تحقيق اهتمامات هذه الطريقة .. فى ضوء العلم .. بقصد التغيير إلى الافضل . ونذكر فيما يلى أهم هذه الخطوات .

١ ـ الخطوة الاولى : عملية تكوين الجماعة .

٢ ـ الخطوة الثانية : عملية وضع خطة العمل مع الجماعة .

ـ دور الاخصائى الاجتماعى .

ـ البرامج .

٣ ـ الخطوة الثالثة : عملية الدراسة العلمية للعمليات الجماعية فى الجماعة .

٤ ـ الخطوة الرابعة . عملية تقييم العمل مع الجماعة .

والمقصود « بعملية تكوين الجماعة » هو محاولة استفادة الاخصائى الاجتماعى المتخصص فى طريقة خدمة الجماعة من شعور أعضاء المجتمع . كل أعضاء المجتمع الاسوياء . وحتى غير الاسوياء (عصابات المجرمين مثلا) (١) بالانتماء إلى جماعة. أى محاولة الاخصائى الإجتماعى استخدام هذا الشعور بالانتماء الموجود فى الاغلبية الساحقة من أعضاء المجتمع . الذى يعيش فيه . فى تكوين الجماعات منهم .

---

(١) يستثنى من غير الاسوياء بعض المرضى بأمراض ذهانيه .. مع ملاحظه أن إستخدام طريقة العلاج الجماعى (Group Therapy) فى محيط هؤلاء يكون فى بعض الاحيان ضرورة ...

ويلاحظ أن الجماعات شتى . . وإن من الجماعات ما يكونها المجتمع نفسه .. أقصد ظروف المجتمع الإجتماعية .. كالقبيلة والعائلة والأسرة .. والجيرة .. وجماعة العصبة .. وجماعة العصابة .. ويطلق على هذه أحيانا الجماعات الأولية (Primary groups) (١) . وكجماعة العمل فى المصانع الكبيرة وجماعة الجيش ويطلق على هذه أحيانا الجماعات الثانوية (Secondary groups) . وتتميز الجماعات الاولى .. أقصد الجماعات الأولية .. بأنها الجماعات التى تكون فيها علاقات الأعضاء علاقات وثيقة وعاطفية وعلاقات الوجه للوجه .. أما علاقات أعضاء الجماعات الثانوية فتكون ، عادة ، علاقات رسمية وغير مباشرة وهى .. أى الجماعات الثانوية تعتمد ، لاستمرارها ووحدتها ، أكثر من الجماعات الأولية مثلا ، على إستقرار تنظيمها الإجتماعى . ويضاف إلى ذلك جماعات الاقلية .. وهى من الجماعات التى يكونها المجتمع .. أقصد ظروف المجتمع الاجتماعية ، ويربط اعضاءها بعض الروابط مثل الجنسية أو الدين أو بعض العناصر الثقافية . والزنوج فى الولايات المتحدة جماعة أقلية تعيش تحت سلطان جماعة أغلبية من البيض بسبب بعض العوامل ، منها ما يتصل باللون أو ببعض القيم أو بالظروف الإقتصادية أو بالعوامل التاريخية . واذ كان السلطان لجماعة الأغلبية من البيض فى الولايات المتحدة نجد أنه .. أى السلطان . . لجماعة الاقلية من البيض أيضاً . . فى جنوب أفريقيا . . وارجو أن يلاحظ القارىء أن الاقلية فى السجن ، أيضاً ، يكون لها السلطان على الأغلبية فيه .

ومن الجماعات التى يكونها المجتمع . . أقصد ظروف المجتمع الاجتماعية .

---

(1)W. J. H. Sprott, " Human groups", **Great Britain, A Pelican Book, 1964.**

الجماعات الهامشية . . وهى جماعات المهاجرين . . الذين هاجروا من مجتمع إلى مجتمع ، أو حتى من مكان إلى آخر فى نفس المجتمع . . من الريف إلى الحضر مثلا . وتحتفظ هذه الجماعات ، عادة ، بالكثير من عاداتها القديمة وقيمها القديمة ومثلها العليا القديمة وحتى لغتها القديمة على الرغم من الهجرة إلى المجتمع الجـــديد . . وأرجو أن يلاحظ القارىء بعض هذه الجماعات فى مجتمعنا مثل جماعات النوبيين فى كوم أمبو وجماعات المهاجرين من صعيد مصر فى بولاق بمحافظة القاهرة أو حى غيط العنب بمحافظة الاسكندرية . . ولعل بعض الجماعات الاخيرة . . أقصد الجماعات الهامشية . . أن تكون من قبيل جماعات الاقلية .

ومن الجماعات التى يستطيع أن يكونها الاخصائى الاجتماعى المتخصص فى طريقة خدمة الجماعة . . ما يطلق عليه الجماعات الاختيارية وهى التى ينضم اليها الاعضاء بمحض رغبتهم . . لتحقيق مصلحة مشتركة . . أو لتحقيق أهـــداف مشتركة . . نجد ذلك فى المدرسة . . وفى النادى الاجتماعى . . وفى المحلة . . وفى الساحة . وفى اللجان والمجالس . . وجماعة الهواية . . كما نجده فى الجماعات المنظمة فى اطار برنامج قومى أو سياسى (الإتحاد الإشتراكى).

وسواء كانت الجماعات يصنعها المجتمع . . أقصد تكونها ظروفه الاجتماعية أو كانت جماعات يستطيع أن يكونها الاخصائى الاجتماعى المتخصص فى طريقة خدمة الجماعة ... أو غيره من القادة الاجتماعيين فى المجتمع . . كالقائد السياسى والقائد الثقافى والقائد الرياضى وغيرهم .. فان للاخصائى الاجـــتماعى دوراً كبيرا فيها .. انه .. أى الاخصائى الاجتماعى فى ضوء تخصصه يتعامل مع الاعضاء .. أعضاء الجماعات من كل الاعمار .. ومع الذكور منهم ومع الاناث وهو يتعامل معهم بصرف النظر عن عقائدهم أو دياناتهم . . أو سلالاتهم . .

وذلك بقصـــد تنميتهم إجتماعيا . . أقصد الاسهام فى عمليات تنشئتهم إجتماعيا أو الإسهام فى عمليـــات وقايتهم إجتماعياً . . أو الاسهام فى عمليات اعادة تنشئتهم إجتماعياً .

ويلاحظ أن الاخصائى الاجتماعى المتخصص فى طريقة خدمة الجـــماعة إذ يتعامل مع الجماعات فى المجتمع .. وبخاصة فى المجتمع المحلى .. يهدف دائما إلى تغيير هذا المجتمع .. تغييره إلى الأفضل .. وهو .. أى الاخصـــائى الاجتماعى فى مجتمعنا الحالى لا يمكن أن يتجنب تحقيق هذا الهدف ابدا . . فالجماعات السليمة تصنع المواطن السليم .. وهى .. أى الجماعات السليمة . . كقوام المجتمع .. المجتمع المحلى .. أو المجتمع الكبير .. تؤكد ، بالضرورة ، سلامة هذا المجتمع .

ويلاحظ ، أيضا ، أن الجماعات التى ذكرناها آنفا هى بعض الجماعات التى توجد فى المجتمع عادة . . ومن هذه الجماعات ما هو كبير ومنها ما هو صغير ومنها الجماعات الدائمة المستمرة . . ومنها الجماعات المؤقتة . . ومنها الجماعات السوية . ومنها الجماعات غير السوية (العصابة مثلا) .. وأخيرا منها الجماعات الاختيارية (النادى الاجتماعى مثلا) والجماعات الاجبارية (الأسرة بحكم المولد .. والجيش بحكم التجنيد إذا كان إجباريا) .. وتعتبر من عداد الجماعات الأخـيرة .. الجماعات فى الاصلاحية . أو فى السجن .. أو فى دار الملاحظـــة .. أو فى مستشفى الأمراض العقلية . وفى مجالات البحوث الانسانية والمادية على السواء . نجد الجماعات التجريبية كما نجد الجماعات الضابطة (١) .

---

١ — ان اهتمامنا بالجماعات التجريبيه والجماعات الضابطه .. ينحصر ، بالطبع ، فى جماعات البحوث الانسانيه.

والخطوة الثانية . . أقصد عملية وضع خطة العمل مع الجماعة ، تتضمن أمرين هما : دور الاخصائى الاجتماعى المتخصص فى طريقة خدمة الجماعة . . والبرامج التى فى ضوئها ينشط أعضاء الجماعة . . ويعنى كل هذا أن الخطوة الثانية لابد أن يبدأ تنفيذها عند وجود الجماعة . سواء كانت هذه الجماعة مكونة فعلا . أو استطاع الاخصائى الاجتماعى تكوينها .

ولعل من الأمور التى يجب أن يعنى بها الاخصائى الاجتماعى المتخصص فى طريقة خدمة الجماعة أن يهتم ، أول ما يهتم ، بالديناميات الاجتماعية . . أقصد . أن يهتم بكل ما يحدث عندما يجتمع أعضاء من البشر معا . . أى أن الاخصائى يجب أن لا يتورط فى علاقاته مع الجماعة التى يعمل فيها . . يجب أن لا يكون عاطفيا وفى الوقت نفسه يجب أن يكون مقبولا عند أعضائها . . يجب . . أى الاخصائى الإجتماعى ، أن لا يتورط فى السعى إلى أرضاء حاجاته الشخصية فحسب . . أى يجب أن لا يكون هذا الارضاء عن طريق علاقاته مع الجماعة فحسب ، أو على حساب استمرار نموه كشخص وذلك بغلوه فى الاهتمام الزائد بأوجه نشاط الجماعة. ان شخصية الاخصائى الاجتماعى المتخصص فى طريقة الجماعة . . أقصد استمرار نموها . هو أهم ما يملكه من أدوات . . ومن سمات الاخصائى الإجتماعى الذى يستخدم هذه الطريقة . أن يكون متواضعا . . أى أن يعترف أولا بقصوره أن وجد القصور . كما يعترف ، ثانيا ، بتقصيره إذا حدث ذلك . وأن يعترف ، ثالثا ، بضرورة اجراء التجارب فى محيط الجماعة التى يعمل معها . تجارب استخدام الأدوات فى الملعب مثلا . أو استخدام أحد أساليب المعاملة . . أى أنه يجرى هذه التجارب فى ضوء ظروف الجماعة التى يعمل معها . ظروفها الإجتماعية والاقتصادية والثقافية . . ويعنى ذلك أنه . أى الاخصائى الإجتماعى فى حاجة ماسة إلى التدريب

أقصد استمرار التدريب ، كما يعنى ، لكى يكون هذا التدريب ذا فاعلية ، حاجته الماسة إلى الاعتراف به ... والاعتراف بدوره الهام كشخص صاحب مهنة فائدة يمكن المجتمع الذى يعيش فيه ويعمل له . أو يجب أن يفعل المجتمع ذلك . لها . أى لمهنته الاحترام ويعترف لها بالمكانة الإجتماعية العالية ، سواء كانت تعمل فى محيط الجماعات السوية أو فى محيط الجماعات غير السوية . أى سواء كان الاخصائى الإجتماعى المتخصص فى طريقة الجماعة يعمل بقصد تحقيق أهداف التنمية الإجتماعية أو الوقاية الإجتماعية أو العلاج الإجتماعى . إن بعض المجتمعات تمكن هذه المكانة العالية لمهنة الخدمة الإجتماعية التى تعمل فى محيط الجماعات غير السوية فحسب . مثل جماعات الشباب الجامح . أو جماعات الشباب غير السوية . (١) ومجتمعنا الجديد . المجتمع الاشتراكى . فى ضوء قيمه ومبادئه ومثله العليا .. يأبى .. بالضرورة ذلك .. أو يجب أن يأبى ، بالضرورة ، ذلك .. أنه أى مجتمعنا مجتمع بناء أى يرى البناء هدفا من أهدافه الكبيرة . بناء عناصر ثقافته المادية .. وبناء عناصر ثقافته غير المادية .. على السواء .. إن أعظم ما فى مجتمعنا الجديد هو أعضاؤه . أطفالا كانوا أو صبيانا . أو شبابا . أو رجالا . أو كهولا . أو شيوخا . ذكورا كانو أو أو إناثا . أن بناء أعضاء مجتمعنا الجديد .. فى ضوء قيمه ومبادئه ومثله العليا هدف كل الأهداف .

وكقائد إجتماعى يكون الاخصائى الإجتماعى المتخصص فى طريقة خدمة الجماعة فى مجتمعنا ، بالضرورة ، محترفا .. يقود الجماعات التى يعمل معها فى ضوء مسئوليات واضحة .. أى أنه يجب أن يكون المحترف المشرف .. ولا يقبل أبدا

---

(1) Eureprean Seminar on New Methods of Working with youth Groups, Finland, 15 - 18 August, 1955, p. 93.

التطوع المشرف . إن من حقه . . بل من واجبه أن ييسر مساعدة الآخرين له . . أقصد المتطوعين من أعضاء المجتمع الصالحين . . يشرف هو عليهم ويقودهم فى سبيل تحقيق أهداف المجتمع وهو يعمل فى مجالات طريقة خدمة الجماعة ، وإزاء مسئولياته لابدع التطوع المشرف أن يسود . . إن من مسئولياته أن يكون على وعى بأنه يعيش فى ثورة إجتماعية . . وأن من مسئولياته ، أيضا ، أنه يواجه نتائج هذه الثورة الاجتماعية . . وأن من أهم مسئولياته ، كذلك ، أنه يسهم فى تكوين المواطنين الصالحين . . الذين ينتظرهم المجتمع الجديد وبفارغ الصبر يتوقعهم . . أى أن من أهم وظائف الاخصائى الاجتماعى المتخصص فى طريقة خدمة الجماعة ، فى مجتمعنا الثائر ، الاشراف المسئول . . والتدريب المسئول . . أى أنه ، كمحترف وكصاحب مهنة معترف بها ، يقوم بالإشراف على الجماعة . . أو على الجماعات التى يعمل معها . . فى ضوء برامج معينة . . وأن يدرب غيره من أعضاء المجتمع الصالحين . . المتطوعين ، فتدريب هؤلاء عامل هام من عوامل نضج شخصياتهم . . أى خلق الاتجاهات الاجتماعية البناءة فى كيانهم . . فضلا عن إيقاظ الشعور بالمسئولية الاجتماعية فى نفوسهم . . وهو . . أى الاخصائى الاجتماعى إذ يقوم بهذا التدريب يفعل ذلك ، أيضا ، فى ضوء برامج معينة . .

ويلاحظ أن البرامج التى يستخدمها الاخصائى الإجتماعى المتخصص فى طريقة خدمة الجماعة شتى . . وهى بالضرورة هادفة . . تهدف أول ما تهدف الى تنمية أعضاء الجماعة أى الى الإسهام فى تكوين شخصياتهم . . حتى يصبحوا أعضاء المجتمع الذين يتوقعهم هذا المجتمع . . فهى برامج فكرية . . تهدف الى إيضاح الرؤية . . رؤية الأعضاء لما حولهم . . ولمن حولهم . . ولأدوارهم وما ينتظر منهم . والمقصود بالرؤية المعرفة ، فالانسان لابد أن يرى . . أى أن

يعرف . . وإذا لم ير خير له أن لا يكون . . وفى ضوء ظروف مجتمعنا الحالى نرى أن هذه الرؤية أنواع . . فهى رؤية علمية . . وهى رؤية تاريخية . . وهى رؤية اجتماعية . . وهى رؤية اقتصادية . . وهى رؤية سياسية . . وفضلا عن ذلك فهى رؤية محلية وعالمية . . أى إنسانية . وإذا كانت البرامج الفكرية ضرورية فالبرامج التى تهتم بالعوامل التكوينية ضرورية كذلك . . ان صحة الأجسام تتضمن ، عادة ، صحة النفوس . . وأعضاء جماعاتنا من الشباب ومن غيرهم فى مسيس الحاجة الى تحقيق هذا الهدف . . صحة الأجسام . . أجسامهم . . ومن ثم صحة النفوس . . نفوسهم . وهناك البرامج النظامية . . وهى تهدف الى غرس القيم الأخلاقية الجديدة فى نفوس الأعضاء . . حتى يعرفوا ما عليهم . . وحتى يعرفوا مالهم . . وحتى يحرصوا على مالهم . . ويجب أن يهتم الاخصائى الاجتماعى بالبرامج الجماعية . . أكثر من اهتمامه بالبرامج الفردية . . أى يعيش أعضاء الجماعة من خلال البرامج كجماعة . . كفريق . . مع الاعتراف بالفروق الفردية . . وأن من حق الأعضاء أن يتباينوا . . ولعل إختلافهم أو تباينهم يعنى اثراء التجارب لديهم . .

ونحن نرى أن من الأهمية بمكان إشتراك أعضاء الجماعة . . أية جماعة . . فى تخطيط البرامج . . فضلا عن تنفيذها . . ان اشتراك أعضاء الجماعة . . أية جماعة فى تخطيط البرامج أمر ضرورى . . ويعنى ذلك عدم فرض هذه البرامج عليهم . . كما يعنى ضمان الموافقة عليها والتحمس لها . . أى التحمس فى تنفيذها، فان تنفيذ هذه البرامج . . تنفيذ الأعضاء لها . . يعنى ضمان الاستفادة من نتائجها . .

وإذا كانت البرامج . . التى يستخدمها الاخصائى الإجتماعى المتخصص

فى طريقة خدمة الجماعة ، لكى تكون ناجحة ، تتضمن أوجها عديدة من النشاط الإنسانى الهادف . . ، وتتضمن ألوانا من الإثارة والجاذبية . . ، وتخلق الحماس عند الأعضاء للقيام بها ـ فانه يجب أن يستفيد الأخصائى الاجتماعى من غيره من المتخصصين . . من العالم . . من المؤرخ . . من المربى . . من السياسى . . الخ . . كما يستفيد ، أيضا ، ، من الاجتماعات . . اجتماعات الجماعة . . فتكون ، بالضرورة ، دورية . . وتكون مجالا للممارسة الديموقراطية السليمة بأجلى معانيها . . أى أن تكون . . اجتماعات الجماعة . . مجالا للحكم الذاتى . . حيث يحكم أعضاء الجماعة أنفسهم بأنفسهم . . دون ما تدخل من الأخصائى المشرف إلا عند الضرورة القصوى . . حيث يكون دفع الظلم أوالأذى فى محيط الأعضاء ضرورة . . أو حيث يصبح تجنب الانحراف بينهم . . ضرورة . .

و « عملية الدراسة العلمية للعمليات الجماعية فى الجماعة » هى الخطوة الثالثة . . وهى عملية هامة . . ويقصد بهذه العمليات الأفعال المستمرة أو سلسلة الأفعال التى تتكون وتنمو فى محيط الجماعة عن طريق ردود فعـــل الأعضاء الذين يكونون الجماعة . . والعمليات الجماعية لا تتضمن ردود الفعل الفسيولوجية أو النفسية عند هؤلاء الأعضاء فيما بينهم فحسب . . بل هى تتضمن ، أيضا ، النماذج . . نماذج ردود الفعل الناتجة من تفاعل أعضاء الجماعة والجماعة ككل . . ومن هذه العمليات عملية الضبط الجماعى . . وعملية التفكير الجماعى . . ألخ . .

والدراسة العلمية لهذه العمليات ضرورية للغاية ، فهى عمليات تحدث فى الجماعة وهى ، أيضا ، نتيجة لتفاعلات أعضاء الجماعة فى داخل الجماعة . . وهى ، كذلك ، ترتبط بالمواقف التى تواجهها الجماعة . . أى أنهـــا خبرات الجماعة الناتجة

عن التفاعلات التى تحدث فيها .. بين أعضائها بعضهم البعض .. وبين أعضائها والجماعة ككل .. تتبلور فى العادة فى نماذج . ودراسة الاخصائى الاجتماعى فى طريقة خدمة الجماعة لهذه العمليات تعنى فهمها .. ومن ثم محاولة توجيهها إلى الأفضل .. أى إلى صالح الجماعة .. أى الى تماسك الجماعة .. أى الى نمو أعضاء الجماعة كأعضاء ونمو الجماعة ككل .

وتعنى الدراسة العلمية للعمليات الجماعية فى الجماعة .. ملاحظتها أولا بأول .. وجمع كل تفاصيلها .. وتسجيل هذه التفاصيل فى سجلات . وملاحظة الجماعة .. قد تعنى ملاحظة كل أعضائها إذا كانت صغيرة .. أو قد تعنى ملاحظة بعض أعضائها .. عينة ممثلة منهم .. إذا كانت جماعة كبيرة. وحفظ السجلات .. مسألة حيوية . يجب أن يتخصص الاخصائى الاجتماعى الذى يعمل فى محيط الجماعات فيها ، ويكون هذا التخصص على مستوى عال . وإذا كان التخصص فى التسجيل وحفظ السجلات أمر حيوى .. فان التدريب على الملاحظة .. على مستوى عال .. أمر حيوى كذلك . والملاحظة ، كأسلوب علمى ، تكون ، بالضرورة ، داخل الجماعة .. وفى خارجها على السواء . ومنعاً للتحيز يجب أن يقوم بها أكثر من ملاحظ .. أو إذا قام بها ملاحظ واحد يكررها أكثر من مرة . ومن الأساليب العلمية الأخرى ، غير اسلوب الملاحظة . التى قد يستخدمها الاخصائى الاجتماعى .. بعض الاختبارات مثل الاختبارات السوسيومترية (Sociometric Tests) .. وأسلوب السوسيوجرام (Sociogram) واسلوب السوسيودراما (Socio - Drama)(١)،

---

1 — European Seminar on New Methods of Working with Youth Groups - P. 93.
=

وكلها أساليب تستخدم لجمع الحقائق عن العمليات الجماعية .. ولا يكفي جمع هذه الحقائق .. بل يجب الاستفادة منها .. في ضوء المنهج العلمي .. أي محاولة فهمها ، وفي هذا الضوء يستطيع الاخصائي الإجتماعي المتخصص في طريقة خدمة الجماعة أن يقيم هذه العمليات تقييما علميا ..

= والاختبار السوسيومترى هو أداة لتقدير التجاذب والتنافر داخل جماعة معينة ، وهو يشمل عادة كل أعضاء الجماعة ، فيطلب من كل منهم أن يختار،على إنفراد ، عدداً من الأشخاص الآخرين في الجماعة ، الذين يود أن يشاركهم في نشاط معين ، وعدداً من الأشخاص الذين لا يود أن يشاركهم في هذا النشاط .

أما أسلوب السوسيوجرام فهو عبارة عن رسم للاختيارات . وليست هناك طريقة مقننة لرسم السوسيوجرام ، ولكن توجد له طرق متعددة . بعضها شائع .. (أنظر نجيب اسكندر وآخرون : الدراسة العلمية للسلوك الاجتماعي ، القاهرة ، مؤسسة المطبوعات الحديثة ، ١٩٦٠ صفحات ٤٤٤ — ٤٥٣) .

ويعني أسلوب السوسيودراما ويسمى أحيانا أسلوب « تمثيل الادوار » . • إستخدام التمثيل كأداة حيث يمثل الأعضاء . . أعضاء الجماعة .. أو بعضهم .. تلقائيا .. أي دون ما تحضير أو دراسة أو تلقين .. بعض الأدوار الثقافية (المعرف .. الرائد .. الأم .. الأب رجل الشرطة .. الخ) أمام جمهور من الشاهدين •• ومن ثم يمكن الاستفادة من هذا الأسلوب في تحليل العوامل الدينية والمحركة لتصرفات أعضاء الجماعة •• وعلاقاتهم الانسانية أي هو أسلوب لجمع المعلومات عن بعض هذه التصرفات والعلاقات .

ويختلف أسلوب السوسيودراما عن أسلوب السيكودراما في أن الأول يركز بوضوح على ما هو شائع في الادوار الاجتماعية لمجموعة من الأشخاص . وهو أسلوب تعليمي تحليلي أما الاسلوب الثاني فهو يركز بوضوح على العالم الخاص أو الشخصي لانسان معين .: وهو أسلوب علاجي .: (أنظر فوزية أحمد جاد : كيف نستخدم الوسائل التعليمية .. القاهرة دار القلم •• ١٩٦٣ .. صفحات ١٨ — ٢٢) •

وعملية تقييم العمليات الجماعية فى الجماعة جزء هام من « عملية تقييم العمل مع الجماعة » .. والعملية الأخيرة هى الخطوة الرابعة . . ويقصد بها . . التعرف الموضوعى على التغيرات التى تطرأ على الجماعة فى ضوء العمل معها . . أى التعرف على القيمة الحقيقية للجهود المبذولة فى محيط الجماعة .. الجهود التى يبذلها الاخصائى الاجتماعى المشرف عليها .. والجهود التى يبذلها مساعدوه . . المتخصصون منهم والمتطوعون على السواء .

وعملية تقييم العمل مع الجماعة تتضمن ، عدا تقييم العمليات الجماعية فى الجماعة ، تقييم البرامج المستخدمة فى محيط الجماعة .. وتقييم الادوات المستخدمة فى هـــذه البرامج . . وأخيرا وليس آخرا تقييم العمل القيادى . .عمل الاخصائى الاجتماعى ومساعديه . . كل ذلك بقصد التعرف على مدى نمو أعضاء الجماعة . . نمـــو شخصياتهم فى ضوء قيم المجتمع ومبادئه ومثله العليا ..

وعملية تقييم العمل مع الجماعة . .كخطوة .. تأتى بالضرورة فى المرحلة الاخيرة .. أى بعد الخطوات الثلاث السابقة .. وهى ؛ أيضا ، كخطوة لهـــا عند التنفيذ خطوات . وأهم الخطوات الاخيرة . . إختيار موضوع التقييم . . ويكون هذا الاختيار ، بالضرورة ، فى ضوء أهميته . . ثم جمع الحقائق عن هذا الموضوع باستخدام الاساليب العلمية المناسبة . . ثم القيـــام بتفريغها . . وتبويبها . . توطئة لإستخراج نتائجها .. ولا يكفى إستخراج النتائج وحده .. بل يجب تفسيرها .. أقصد تفسير النتائج .. ولا يفسر الاخصائى الاجتماعى المتخصص فى طريقة الجماعة هذه النتائج فى ضوء آرائه الشخصية فقط .. بل فى ضوء خبراته المنتظمة .. فالخبرات المنتظمة تعين على التفسير الاصح . والمقصود بالخبرات المنتظمة .. الخبرات التى تكون فى ضوء القوانين العلمية والنظريات العلمية .. والخبرات الواقعية .. أو ما يطلق

عليها أحيانا بالخبرات التجريبية .. واسمى أنواع الخبرات المنتظمة هى التى تكون فى ضوء القوانين العلمية (١) .

وكما لا يقوم الاخصائى الإجتماعى المتخصص فى طريقة خدمة الجماعة بوضع البرامج المستخدمة فى محيط الجماعة فى ضوء خبرته وحدها .. فهو .. أيضـا .. يتعاون فى العمليات التقييمية مع غيره من المتخصصين مثل الإخصـائى النفسى .. والاخصائى الاحصائى .. والاخصائى الاجـتماعى المتخصـص فى طريقة البحث الإجتماعى .. وغيرهم .. على تنفيذ هذه العمليات .

رابعا ـ مجالات تطبيق طريقة خدمة الجماعة :

إن مجالات تطبيق طريقة خدمة الجماعة .. متعددة .. أى هى أنواع .. ذلك لأن الجماعات .. موضوع إهتمامات طريقة خدمة الجماعة .. أنواع كذلك ، منها .. كما سبق القول .. ما يكونها المجتمع نفسه ... أقصـد ظروف المجتمع الاجتماعية .. ومنها ما يطلق عليها الجماعات الاختيارية .. وهى التى ينضم اليهـا الأعضاء بمحض رغبتهم .. لتحقيق مصلحة مشتركة .. أو لتحقيق أهـــداف مشتركة .. ومنها الجماعات الأولية (العائلة) .. ومنها الجماعات الثانوية (جماعة العمل فى المصانع الكبيرة) ، ومنها الجماعات الصغيرة (الاسرة الفردية) ... ومنها الجماعات الكبيرة (الجيش) ، ومن الجماعات ، أيضـا ، نجد جماعات الاقليـــة والجماعات الهامشية .. والجماعات غير السوية .. وكل هذه الجماعات مجـالات تطبيق طريقة خدمة الجماعة .. ويضاف الى هذه المجالات .. مجالات الجماعات السياسية .. والجماعات فى المدرسة .. وفى النادى الاجتماعى .. وفى المحلة ..

---

(١) مذكرات يوغسلافية .. صفحتا ١١ ـ ١٢

وفى الســـاحة .. وفى دور التربية .. وفى السجن .. وفى دار الملاحظة . وفى مستشفى الأمراض العقلية .. وغيرها .. وغيرها ..

ومن الضرورى أن نلاحظ أن الاخصائى الاجتماعى المتخصص فى طريقة خدمة الجماعة .. وبخاصة فى مجتمعنا الحاضر .. يجب أن يسعى إلى الجماعات .. كل الجماعات أنى تكون . . أى أنه لا ينتظرها حتى يلتحق أعضاؤها بالنادى الاجتماعى مثلا .. أو بالمحلة ..أو بالساحة الشعبية .. إن العديد من الناس فى المجتمع لايتطوعون للالتحاق بهذه المؤسسات ، إن العديد من هؤلاء ، كما لا يخفى على القارىء ، قد يكونون الجماعات فى خارج هذه المؤسسات .. أو هم فى الواقع فى جماعات فى خارج هذه المؤسسات .. فلنذهب اليهم . . أقصد نحن الاخصائيين الاجتماعيين المتخصصين فى طريقة خدمة الجماعة .. ولا ننتظرهم حتى يأتوا الينا . . أقصد فلنصل إلى من لا يمكن أن يصل الينا من هؤلاء . ولنؤد واجبنا الاجتماعى الثورى . . أقصد تحقق نمو أعضاء هذه الجماعات ليكونوا نموا متزنا يتفق مع احتياجاتهم وهى احتياجات ، بالضرورة ، إنسانية . . أقصد إشتراكية ، ويتفق هذا النمو ، أيضا ، مع قدراتهم .. وهى قدرات ، فى مجتمعنا الاشتراكى ، لا يمكن أن تقف عند حـــد .. أى أنها فى إزدياد دائما .. فى نمو مستمر .

ويلاحظ أن المجالات السابقة ، وغيرها ، هى ، كما تبدو ، مجالات تطبق فيها خطة التنمية الاجتماعية وخطة الوقاية فضلا عن خطة العلاج . . تطبقها طريقة خدمة الجماعة .. وهى تطبقها ، أيضا كما سبق أن أوضحنا ، طريقة خدمة الفرد تلك هى إهتمامات مهنة الخدمة الاجتماعية فى بلادنا .. فى ضوء ظروف مجتمعنا الثائر .. أو كما يجب أن تكون . إن الانسان المصرى العربى هو الهدف الأول ونحن نطبق أسلوب الاشتراكية المصرى العربى .. حيث يكون .. شخصا كان

أو عضوا فى جماعة .. أو فى جماعات . إنه .. أى الانسان المصرى العربى .. لابد أن ينمو أولا ويزدهر .. أقصد يجـــد منذ اللحظة الأولى .. لحظة ولادته .. الظروف التى تيسر هذا النمو وهذا الازدهار ، ثم لابد أن يقيه المجتمع من الانحراف بصوره وانماطه حتى يبقى ناميا مزدهرا ، ثم يعالج إذا دعت الضرورة إلى ذلك. ومهنة الخدمة الإجتماعية فى ضوء قيم مجتمعنا ومبادئه ومثله العليا تعمل .. إذ تعمل فى محيط الانسان المصرى العربى .. به .. وله .. ومن ثم فهو هدفها الأول كذلك .. تيسر نموه وازدهاره أولا .. ثم تيسر وقايته من الانحراف بصوره وأنماطه .. ثانيا ، ثم تيسر ، أخيرا علاجه الاجتماعى .

٤ — طريقة خدمة المجتمع ومجالاتها

بدأت طريقة خدمة المجتمع كميدان الرعاية الإجتماعية فى الولايات المتحدة الامريكية منذ عام ١٨٧٧ .. عندما بدأ أول تنظيم للاحسان على نطاق المدينة فى مدينة بفلو (Buffalo) وكانت هذه بداية . وفى عام ١٩٣٩ أثار المؤتمر القومى للخدمة الإجتماعية الاهتمام بهذه الطريقة .. طريقة خدمة المجتمع .. رسميا . ويلاحظ أن مفهوم هذه الطريقة قد استخدم فى هذا المؤتمر بمعنى عملية من عمليات الخدمة الإجتماعية . (١) أو بمعنى ، كما يحدث أحيانا فى المهن الاخرى ، ميدان من ميادين الخدمة الإجتماعية . وأن هذه العملية .. أى عملية خدمة المجتمع أو بعض أجزائه تكون داخل مهنة الخدمة الإجتماعية كما تكون فى خارجها على السواء . فاذا ما استخدمت داخل مهنة الخدمة الإجتماعية تفعل ذلك منظمات تنشأ خصيصا لهذا الغرض .. أى تكون وظيفتها الاولى القيام بهذه العملية .. أو تقوم بها منظمات أخرى كوظيفة ثانوية . وفى نطاق مهنة الخدمة الإجتماعية يمكن استخدام عملية خدمة المجتمع على المستوى المحلى أو المستوى الحكومى .. أو المستوى القومى كما يمكن استخدامها فيما بين هذه المستويات .. على السواء . ومهما يكن فان المنظمات التى تكون وظيفتها الاولى هى عملية خدمة المجتمع لاتساعد ، عادة ، بطريق مباشر العملاء .. أشخاصا كانوا أو فى جماعات .

---

(١) يقصد بالعملية هنا الجهود أو الخطوات التى تبذل شعوريا أولا شعوريا ، طوعا أو إلزاما ، منذ التعرف على مشكلة ما أو تحديد هدف ما حتى إيجاد الحل لهذه المشكلة أو حتى يتحقق هذا الهدف (أنظر : Murry G. Ross, "Community Organization : Theory & Practice, " New York, Harper and Row, 1955, P. 39)

أى أن طريقة خدمة المجتمع كاحدى طرق الخدمة الإجتماعية ، لم تلق الاهتمام الكافى .. قبل عام ١٩٣٩ . الا نادرا (١) .

وقد اعترف بطريقة خدمة المجتمع كاحدى طرق الخدمة الإجتماعية رسميا فى عام ١٩٤٧ (٢) .

وسنحاول فيما يلى معالجة بعض الموضوعات .. أهمها :

أولا ـ اهتمامات طريقة خدمة المجتمع .

ثانيا ـ مبادىء طريقة خدمة المجتمع .

ثالثا ـ خطوات طريقة خدمة المجتمع .

رابعا ـ مجالات تطبيق طريقة خدمة المجتمع .

أولا ـ اهتمامات طريقة خدمة المجتمع :

ان الانسان يعيش دائما فى مجتمعات .. أى أن المجتمعات كلها مجتمعات انسانية .. وأن الإنسان الذى لا يعيش فى مجتمع إنسانى لا يمكن أن يكون إنسانا .. والمقصود بالمجتمع .. المجتمع الإنسانى .. هو كما سبق أن أوضحنا ، جماعة من الناس (رجال ونساء وأطفال) يهدفون ، متعاونين أحيانا أو وهم فى صراع أحيانا أخرى ، إلى تحقيق مصالح جوهرية (حفظ الحياة وحفظ النوع مثلا) ، بصفة مستمرة ، ويعيشون فى بيئة جغرافية واحدة فى ظل مناخ اجتماعى

---

(1) European Seminar on New Methods of Working with Youth Groups, Finland, 15 - 18 August, 1955, PP. 83,84

(٢) الخدمة الاجتماعية والمجتمع .. صفحه ١٥٧ .

معين . وقد يرى البعض أن ما يطلق عليه أحيانا الجماعات الثقافية (Ethnic groups) .. وهى الجماعات التى تجمعها بعض العناصر الثقافية الموحدة .. كجماعة الزنوج مثلا أو كجماعة النوبيين أو الجماعات التى تجمعها عقيدة معينة أو دين معين .. أو حتى مهنة معينة .. أنها مجتمعات .. يطلق عليها المجتمعات الوظيفية (١) .

ومهما يكن من الأمر فالمجتمعات الانسانية مجتمعات شتى .. وهى ، أيضا عديدة .. يعرف ذلك الكاتب .. كما يعرف ذلك القارىء .. فهى صغيرة .. وهى كبيرة .. وهى مجتمعات بدائية .. وهى مجتمعات تعيش فى مستوى حضارى معين .. وهى مجتمعات قومية .. وهى كذلك مجتمعات محلية .

ومن المجتمعات الانسانية ما يعيش أعضاؤها فى تخلف .. ومنها ما يعيش أعضاؤها فى ثورة إجتماعية عارمة .. مثل المجتمع الاشتراكى العربى المعاصر .

ويلاحظ أن الاخصائى الإجتماعى المتخصص فى طريقة خدمة المجتمع .. يعيش بالضرورة فى هذا المجتمع .. وهو يعمل له .. وهو يفعل ذلك ، بالضرورة أيضا ، فى ظل مناخه الاجتماعى .. أى فى ظل عقائده وقيمه الاجتماعية ومثله العليا . والمناخ الاجتماعى لمجتمع معين يختلف عن المناخ الاجتماعى لمجتمع آخر أى أن المناخ الاجتماعى لمجتمعنا المعاصر .. المجتمع الاشتراكى يختلف عن المناخ الاجتماعى لمجتمع كالمجتمع

---

(١) الخدمة الاجتماعية والمجتمع .. صفحتا ١٥٠ — ١٥١ .

(أنظر أيضا جمال زكى: تنظيم وتنميه المجتمع ، القاهرة دار الثقافة والعلوم ، صفحة ١٥ وما بعدها تقلا عن : Community Organization : Theory and Practice, PP. 40 - 41

الأميركى . . أو كالمجتمع الانجليزى . . أو كالمجتمع الفرنسى . . ان المجتمعـــات الأخـــيرة مجتمات رأسمالية . . ان الاختلافات بين عقائد مجتمعنا الاشتراكى وقيمه الإجتماعية ومثله العليـــا . . وبين هذه فى المجتمعات الرأسماليـــة أمر حتمى .

إن الاخصائى الاجتماعى المتخصص فى طريقة خدمة المجتمع فى مجتمعنا يواجه ثورة إجتماعية بناءة . . أقصد يواجه نتائج هذه الثورة الاجتماعية البناءة ، انه :. أى الاخصائى الاجتماعى . . يواجه نتائج ظاهرة التغير الاجتماعى السريع . . أى ظاهرة التفكك الاجتماعى وما يصاحبها من مشكلات إجـــتماعية . . وظاهرة التخلف الثقافى وما تحمل فى طياتها من رواسب إجتماعية معوقة . . تكون عادة فى صراع عنيف مع كل ما هو جديد .

ان الأخصائى الاجتماعى فى طريقةخدمة المجتمع فى مجتمعنا .. هوقائداجتماعى ثورى . . يعمل إذ يعمل وهو يتعاون مع غيره من المختصصين الآخرين .. القادة الاجتماعيين الثوريين الآخرين . . فى سبيل مواجهة نتائج ثورتنا الاجتماعية . . التى تحاول أن تبنى المجتمع الجديد . . مجتمعنا الاشتراكى .

إنه . . أى الاخصائى الاجتماعى المتخصص فى طريقة خدمة المجتمع . . إذ يعمل فى ضوء ظروف مجتمعنا المعاصر . . يكون بالضرورة قائدا جماهيريا . . يقود الجماهير .. أو يسهم مع غيره فى هذه القيادة .. كيما تتحقق أهـــداف مجتمعنا الجديد .. إنه يرى .. أو لا بد أن يرى .. أن المجتمع الصحيح . . المجتمع الصالح . . يخلق المواطنين الأصحاء . . المواطنين الصـالحين .. الذين يسعدون بالكفاح العاقل المنتج . . فى سبيل تحقيق أهداف مجتمعنـا الجديد . . مجتمع الكفاية . . مجتمع العدل .

إنه يعمل .. إذ يعمل .. فى ضـــوء المنهج العلمى . . الذى ييسر التخطيط الاجتماعى السليم . . أى هو يعمل فى ضوء خطة مقصودة .. ليس فقط من أجل إيجاد التوازن بين الإحتياجات الاجتماعية والموارد المتاحة فى منطقة جغرافية أو أى ميدان وظيفى .. بل بقصد البناء المستمر .. بناء المجتمع المستمر .. وبنـــاء شخصيات أعضاء المجتمع .. لينمو نموا مستمراً كذلك.

أى أن الإخصائى الاجتماعى المتخصص فى طريقة خـــدمة المجتمع فى بلادنا يهتم أول ما يهتم بعمليات التنمية الاجتماعية فى محيط المادة البشرية فى المجتمع . . كما يهتم بعمليات الوقاية الاجتماعية .. وعمليات العلاج الاجتماعى . . وهو يعمل فى المدينة .. وفى القرية .. وفى المجتمع الصحراوى .. على الســواء . فنجـد ، مثلا ، مشاكل الفلاحين فى بلادنا تنتظر الاخصائى الاجتماعى المتخصص فى طريقة خدمة المجتمع .. إنه مع غيره من المتخصصين فى ضوء مهنته الانسانية العلمية .. يستطيع أن يعمل الكثير . إن مشاكل المدينة فى مسيس الحاجة إلى طريقة خدمة المجتمع كذلك .. خصوصا فى مناطقها المتخلفة أو فى مناطق الجناح فيها (١) إن حملة تنظيم الأسرة تنتظر قادتها الثوريين ومنهم ، بالضرورة ، الاخصـــائى

---

(١) منطقة الجناح هى : السكان أو الحى الذى يوجد فى المدينة ، والذى يتميز بأن نسبة الانحراف (الجريمة أو الجناح) فيه أعلى من نسبة الانحراف فى الأحياء الاخرى المماثلة فى عدد السكان والحجم فى المدينة نفسها ، ويقع هذا الحى عادة فى مناطق التحول فى المدينة ، ويتميز بأنه توجد فيه المبانى الصناعية والأماكن التى تقع على مجارى مائية ، والسكة الحديد ، والمبانى الآيلة للسقوط ، وأن يكون سكانه خليطا من الاشخاص المختلفين إجتماعيا وثقافيا واقتصاديا وحضاريا .

(أنظر سيد عويس : دراسة مقارنة بين حى بولاق وحى روكسبرى « بالانجليزية » نشرت فى العدد الثالث للمجلد الثانى من المجلة الجنائية القومية .. نوفمبر ١٩٥٩) .

الاجتماعى المتخصص فى طريقة خدمة المجتمع . . وتنتظر هؤلاء ، أيضا ، حملات القضاء على الأمية وعلى المخدرات وعلى ظاهرة الثأر ومكافحة الجريمة والقضاء على البلهارسيا . . وتنمية الوعى بالمرور وغيرها .. وغـــيرها .. إن التكوين السياسى الواعى .. أقصد تكوين المواطنين المصريين العـــرب .. فى هذه الآونة .. ينتظر كذلك .. جهود الإخصائيين الاجتماعيين المتخصصين فى طريقة خدمة المجتمع .. انهم .. يستطيعون ، ما فى ذلك من شك ، مع غيرهم من القادة الاجتماعيين الثوريين ، فى ضوء تخطيط علمى .. أن يبذلوا الجهود المنتجة فى هذا المجال .

وأرجو أن يلاحظ القارىء ، فى ضوء ما كتب فى الفصل الحالى حتى الآن ، أن إهتمامات مهنة الخدمة الاجتماعية فى ضوء طرقها الثلاث الســـابقة .. هى إهتمامات إنسانية وهى إهتمامات مجتمعنا الثائر . . وهى تستطيع ، بالتعاون مع الأدوار الإجتماعية القيادية الأخرى فى المجتمع، أن تواجه نتائج الثورة الاجتماعية التى نعيشها فى الوقت الحاضر حينما تكون هذه النتائج وحيثما تكون .

وأرجو أن يلاحظ القارىء ، أيضا ، أنه إذا كانت مهنة الخدمـة الاجتماعية تهتم ، أولا وقبل كل شىء ، بالمجتمع . وبالجماعات أيا كان نوعها . . وبالانسان كشخص يعيش فى جماعات فى المجتمع .. أى يعيش فى علاقات إجتماعية . وإذا كانت .. أى مهنة الخدمة الاجتماعية تهدف إلى الحياة التى تسودها العدالة ويرفرف عليها الإنصاف .. كما تهدف إلى ما هو أفضل .. فان الطرق الثلاث السـابقة . . تكون متصلة بعضها ببعض .. وتخدم بعضها البعض . وان اقتضى الأمر ، فى ضوء بعض الظروف ، إلى التخصص فى كل أسلوب ..

وأرجو أن يلاحظ القارىء ، كذلك ، بعض الأمور . . وهى على جانب كبير من الأهمية .. نذكرها فيما يلى :

- ان الاشخاص والجماعات والمجتمعات على اختلاف وتباين ، وأن هذا الاختلاف أو هذا التباين يرجع إلى التفاعل المستمر الذى يحدث على الدوام بينهم بعضهم البعض . . وبينهم وبين المواقف البيئية المتغيرة . ويعنى كل هذا أن علينا نحن الاخصائيين الاجتماعيين أن نرقى بمهاراتنا فى ضوء المنهج العلمى حتى نستطيع ، بحق ، أن نفهم الأشخاص والجماعات والمجتمعات كذاتيات فريدة فى نوعها .

- إن الأشخاص والجماعات والمجتمعات ذاتيات دينامية .. أى هم فى تغير مستمر . وأننا يجب أن نملك الحساسية لتطور كل . ويعنى كل هذا ان علينا نحن الاخصائيين الاجتماعيين أن نكون مرنين كما نكون على وعى علمى بكل تغير أو بكل تطور ..

- إن الاشخاص والجماعات والمجتمعات فى مسيس الحاجة إلى المختصين المحترفين .. الذين يقابلون حاجاتهم ، وان هذه الحاجات لا بد ان تكتشف وتعرف وتحدد .. أى أن تجمع الحقائق عنها وتحلل حتى نستطيع أن نبلور الأولويات منها ..

- فى نطاق القواعد الأساسية المعترف بها فى ظل مناخ إجتماعى معين أو فى ثقافة ثانوية معينة أو فى جماعات معينة .. يكون للأشخاص والجماعات والمجتمعات حق تقرير المصير ..

- يعتبر القيام بالعمليات فى محيط الأشخاص والجماعات والمجتمعات أكثر اهمية من الاهتمام بهياكلها .. فالهيكل .. هيكل الاشخاص والجماعات والمجتمعات .. يجب ان ينمو من العمليات وفق المواهب الطبيعية والفرص الاجتماعية المتاحة ..

ـ ان الأشخاص والجماعات والمجتمعات يسعون إلى تقبل المتخصصين المحترفين، كما يسعى هؤلاء المتخصصون المحترفون إلى تقبل الأشخاص والجماعات والمجتمعات، والتقبل هنا لا يعنى الاحتمال فحسب .. وبدونه لا يمكن أن تتوطد العلاقة المهنية الحية المثيرة بين الطرفين .. وبدونها .. أى بدون هذه العلاقة .. نتوقع بطء النمو المرجو للجميع .. وربما لا نتوقع هذا النمو المرجو بالمرة (١) .

وفى ضوء كل ما سبق .. فاننا إذ نرفض بعض تعريفات طريقة خدمة المجتمع ، فاننا نتحفظ فى قبول بعضها .. ونقر البعض الآخر .. فنحن نرفض ، مثلا ، تعريفا كالتعريف الآتى :

١ ـ طريقة خدمة المجتمع لغرض الرفاهيـــة الاجتماعية ، هى عملية إيجاد التوازن بين الاحتياجات الاجتماعية والموارد المتاحة فى منطقة جغرافيه أو أى ميدان وظيفى (٢) .

ونحن نرفض ، أيضا ، التعريف الآتى :

٢ ـ طريقة خدمة المجتمع هى عملية إقامة علاقات بين الأفراد والجماعات التى تساعدهم على التخطيط والعمل سويا لتحسين بعض نواحى مجتمعهم (٣) .

لاشك أن الهدف من بناء مجتمعنا الاشتراكى الجديد هو تحقيق الكفاية والعدل

---

(١) European Seminar on New Methods of Working with Youth Groups p. 86.

(٢) خدمة الجماعة فى المجتمع الاشتراكى : صفحة ٥٦ ـ أنظر أيضا : الخدمة الاجتماعية ذات علم وفن صفحة ٩٥ .

(٣) المرجع الاول السابق .

أى تحقيق مجتمع الرفاهية الاجتماعية بأجلى معانيها .. ولكن فى ضوء نظرتنا الاشتراكية لا يمكن أن نقر أن تحقيق كل ذلك يحدث عن طريق عملية إيجاد المواءمة بين الاحتياجات الاجتماعية والموارد المتاحة .. إننا نعلم .. والقارىء يعلم كذلك .. أن هذه الاحتياجات الإجتماعية فى تغير مستمر .. إن ما نراه لونا من ألوان الترفيه ، اليوم ، يصبح ضرورة غدا .. ونحن نعلم ، أيضا ، والقارىء يعلم كذلك .. أن الموارد فى تغير مستمر كذلك .. إننا نرى فى ضوء العلم .. أى فى ضوء التطبيق العلمى المعاصر .. كما نرى فى ضوء التاريخ الانسانى .. وفى ضوء الخبرة .. أن هذه الموارد ستكون بلا حدود .. أو يجب أن تكون بلا حدود .. أى أن الكفاية فى ضوء قيم مجتمعنا الاشتراكى ومبادئه ومثله العليا مستويات .. إن ما يكفينى اليوم لا يمكن أن يكفينى غدا .. إننا نرى فى ضوء الطاقات البشريه المصرية العربية الهائلة .. إذا ما نظمت .. أى وجهت إيجابيا وعملنا نحن الاخصائيين الاجتماعيين الثوريين بالتعاون مع غيرنا من القادة الثوريين الآخرين على أن تتجدد هذه الطاقات البشرية الهائلة باستمرار ، ووقفنا سدا منيعا أمامها من أن تتبدد أبدا .. لا يمكن أن نكتفى بالتوازن .. إننا نسعى .. أو يجب أن نفعل ذلك .. دائما .. إلى التقدم المستمر لا التوازن .. وإلى التغيير إلى الأفضل .. فى كل المناطق .. وفى كل الميادين والمجالات . لا يمكن أبدا فى ضوء ظروفنا .. وفى ضوء نظرتنا الثورية أن نكتفى مثلا بتحسين بعض نواحى مجتمعنا .. إننا نرى فى التحسين الشامل .. الجذرى لمجتمعنا .. هدف ، وهو هدف كبير ، لا يمكن أن يكون تحقيقه .. فى ضوء ما حققناه ، فعلا ، منذ بداية ثورتنا المباركة عسيرا ، إن عملنا العاقل المستمر .. وإن إنتاجنا الايجابى المستمر .. كلاهما .. خير دليل لنا .. وخير سلاح لنا .. ونحن نتحمل مسئوليات عصرنا .. عصر السد العالى .. فى سبيلنا .. وفى سبيل من سيأتى من بعدنا من الأجيال القادمة .

ومن تعاريف طريقة خدمة المجتمع التى نتحفظ فى قبولها .. التعريف التالى :

٣ ـ طريقة خدمه المجتمع هى العملية التى يتعرف المجتمع .. أى مجتمع .. ، بها ، على حاجاته أو أهدافه ، ويرتبها حسب أولويتها ، ويغرس الثقة والرغبة فى العمل من أجل تحقيقها ، ويكتشف الموارد (الداخلية و / أو الخارجية) التى يواجهها بها ، ويتخذ الخطوات العملية فى سبيل تحقيقهـــا . وبذلك تنمو روح التعاون .. وتمتد .. كما تنمو .. روح التضامن .. وتمتد ، فضلا عن روح العمل .. فى المجتمع (١) .

فالملاحظ أن هذا التعريف لا يقابل حاجات مجتمعنا النامى الثائر .. فهو لم يوضح ، مثلا ، أهمية الانتاج وأهمية دور أجهزة الدولة وأهمية البرامج الاقتصادية التى هى أساس هام فى جميع أوجه نشاط المجتمعات ، فضلا عن أهمية الربط بين جميع أوجه النشاط فى المجتمع برباط واحد (٢) .

إن طريقة خدمة المجتمع فى مجتمعنا لا بد أن تعمل .. عن وعى على لأحداث التطور الاجتماعى الذى نفشده .. أقصد تيسر مواجهة نتائج ثورتنا الاجتماعية فى محيط المجتمع ككل .. وفى محيط المجتمعات المحلية فيه .. مثل مجتمع القرية .. ومجتمع المناطق المتخلفة فى المدينة .. وكذلك المجتمعات الصناعية المحلية التى تكون فى دور التكوين .. فضلا عن مجتمعات التهجير والتوطين .

---

(1) Community Organization : Theory & Practice p. 39

(٢) عبد المنعم شوقى : مناهج الرعاية الاجتماعية فى المجتمع الاشتراكى ، القاهرة ، وزارة الشئون الاجتماعية .. صفحة ٢٨ .

ومن التعاريف التى نقبلها ما يلى :

٤ ـ طريقة خدمة المجتمع هى العمليات التى تبذل ، بقصد ووفق سياسة عامة، لاحداث تطور وتنظيم إجتماعى واقتصادى للناس وبيئاتهم ، ســـواء كانوا فى مجتمعات محلية أو اقليمية أو قومية ، بالاعتماد على المجهودات الحكومية والأهليـة المنسقة ، على أن تكتسب كل منها قدرة أكبر على مواجهة مشكلات المجتمع نتيجة لهذه العمليات (١) .

٥ ـ هى طريقة أخرى للخدمة الإجتماعية يستخدمها الاخصائيون الاجتماعيون والمتطوعون من الشعب المتعاونون معهم ، لتنظيم الجهود المشتركة ، حكومية وأهلية ، وفى مختلف المستويات ، لتعبئة الموارد الموجودة أو التى يمكن إيجادها لمواجهة الحاجات الضرورية ، وفقا لخطط مرسومة وفى حدود السياسة الإجتماعية للمجتمع (٢) .

ويلاحظ أن التعريفين الآخيرين صاغهما مصريون .. وهما ، ما فى ذلك من شك ، تعريفان ينطبقان ، فى الغالب ، على الظروف الاجتماعية الثورية التى يواجهها مجتمعنا المعاصر ، ومع ذلك فالتعريف رقم ٤ يشوب عبارته الأخـــيرة بعض الغموض .. وان كان يؤكد أن طريقة خدمة المجتمع تعمـل عن وعى علمى .. « لاحداث تطور وتنظيم إجتماعى واقتصادى للناس وبيئاتهم » ، أما التعـــريف رقم ٥ فهو واضح لا لبس فيه ولا إبهام .. وهو يعبر التعبير الصادق عن أمور

---

(١) عبد المنعم شوقى : تنمية المجتمع وتنظيمه ، القاهرة، مكتبة القاهرة الحديثة ، ١٩٦٣ صفحـة ٣١ .

(٢) الخدمة الاجتماعية والمجتمع : صفحة ١٥٤ .

عديدة ضرورية .. منها الإعتراف بأن طريقة خدمة المجتمع احدى طرق مهنة الخدمة الاجتماعية ، وانها عملية أو عمليات تغيير إلى الأفضل . . فى ضوء تخطيط عام وفى حدود السياسة الاجتماعية للمجتمع .. ومنها ، وهذا أمر هام وبخاصة فى ضوء ظروف مجتمعنا المعاصر ، تأكيد دور الإخصائى الإجتماعى المتخصص فى طريقة خدمة المجتمع . . أقصد دوره القيادى الثائر .. دوره فى قيادة الجماهير .. واخيرا .. منها الوعى بعدم الاكتفاء بالموارد الموجودة .. والاهتمام بتلك التى يمكن إيجادها ، وان أخذنا عليه عبارة « الحاجات الضرورية » ونفضل عليها عبارة « الحاجات المتغيرة » .

ومهما يكن من الأمر .. فاننا ، كما يلاحظ ، قد تجنبنا إستخدام المفاهيم العديدة التى يطلقها الكثير على طريقة خدمة المجتمع .. مثل مفهوم « تنسيق المجتمع » ومفهوم « تنظيم المجتمع » ومفهوم « تنمية المجتمع » ومفهوم « العمل الاجتماعى » .. وغيرها .. وقد تعمدنا ، عن وعى ، هذا التجنب .. فى ضوء ضغط الظروف الإجتماعية التى يواجهها الاخصائيون الاجتماعيون فى مجتمعنا المعاصر .. أى فى ضوء الضرورة الاجتماعية التى يواجهها مجتمعنا المعاصر .. وهو يمر فى فترة تاريخية حاسمة .. يبنى فيها ، عن وعى علمى ، نفسه .. ويجدد طاقاته .. وينميها باستمرار .. فى سبيل تغيير جذرى شامل للمجتمع ككل . . والمجتمعات المحلية .. على السواء ، حتى يصبح مجتمعا إشتراكيا سليما .. مجتمع الكفاية والعدل .

وليقارن القارىء هذه الاهتمامات .. إهتمامات مجتمعنا الجديد . . أقصد إهتمامات طريقة خدمة المجتمع بمفهومها الجديد . . فى ضوء ما ذكرناه آنفا

وبين إهتمامات مفهوم « تنمية المجتمع » ، مثلا ، كما وضعته هيئة الأمم المتحدة في ضوء التعريف التالي :

« يقصد بتنمية المجتمع العمليات التي عن طريقها تتوحد جهود المواطنين مع جهود السلطات الحكومية لتحسين أحوال المجتمعات المحلية الاقتصادية والاجتماعية والثقافية ، ولادماج هذه المجتمعات في حياة الأمة ، ولتيسير إسهامها في التقدم القومي بأقصى قدر مستطاع » (١) .

ولن نعلق على هذا التعريف بشيء .. ولنترك للقارىء أن يفعل ذلك .. ولكن نود أن نشير إلى مفهوم « تحسين » الوارد في هذا التعريف .. كما نود أن نقول له إننا في مجتمعنا لانحسن .. ولكننا نغير إلى الأفضل .. وسنظل نفعل ذلك .. نحن .. والذين سيأتون من بعدنا .. باستمرار ، أو يجب أن نفعل ذلك .. لأن مفهوم التحسين لا نعرفه نحن الإخصائيين الاجتماعيين الثوريين .. أقصد القادة الاجتماعيين الثوريين .. وهو مفهوم لا يعرفه ، أيضاً ، القاموس الاشتراكي .

ثانيا — مبادىء طريقة خدمة المجتمع :

ومما ييسر للاخصائي الاجتماعي المتخصص في طريقة خدمة المجتمع عمله المهني في محيط المجتمع الكبير ككل .. أو في محيط المجتمعات المحلية في نفس المجتمع الكبير .. أنه اذ يمارس مهنته يفعل ذلك في ضوء بعض المبادىء ،

(1) European Seminar on Training For Community Development, Athen, 17-26 September, 1961 P. 18.

والمبادى .. أقصد القواعد الأساسية التى ترشد الاخصائى الاجتماعى وتهديه .. هى ، كما سبق أن أوضحنا ، المبادىء التى تتكون فى ضوء الدراسة العلميــــة وفى ضوء الخبرة العملية قد تشكلت ثم تطورت ثم صيغت فى عبارات . . إنها تزود المتخصصين فى طريقة خدمة المجتمع باطار مرجعي يحدد له ما يجب أن يفعله ولماذا يفعله .

ويجب أن يلاحظ ، دائما ، أن هذه المبادىء ، مثلها مثل كل الأمور والأشياء ، فى تغير مستمر .. فكلما إزدادت الخبرة العلمية والخبرة العمليـة عند المتخصصين فى طريقة خدمة المجتمع وازداد فهمهم للأمور . . إزداد ، بالضرورة ، عمق نظرتهم الثاقبة .. وربما نتج عن ذلك بعض المبادىء الجديدة.

ويلاحظ أن مبادىء طريقة خدمة المجتمع تتضمن ، بالضرورة ، مبادىء طريقتى خدمة الفرد وخدمة الجماعة .. فالاخصائى الاجتماعى المتخصص فى طريقة خدمة المجتمع يعمل ، بالضرورة ، مع أشخاص لهم علاقات إجـــتماعية فى المجتمع الذى يعيشون فيه .. أى مع أشخاص أعضاء فى جماعات .. أى أن الاخصائى الاجتماعى إذ يعمل فى المجتمع .. يجب أن يعمل على هدى مبادىء احـــترام عملائه وتقبلهم والبدء معهم حيث يكونون وحق تقرير مصيرهم والسرية . . كما يجب أن يعمل فى ضوء مبدأ الاستفادة من شخصيته فى خدمة الآخرين . . وفى ضوء مبدأ المسئولية .

ومع ذلك فاننا نرى ، فى ضوء هذه المبـادىء ، ضرورة وعى الاخصـائى الاجتماعى المتخصص الكامل ببعض الأمور الهامة .. وهى فى الواقع .. بعض

الحاجات الضرورية .. حتى يستطيع أن يؤدى واجباته اداء سليما . . أى حتى يسهم مع غيره من المتخصصين الآخرين إسهاما فعالا فى بناء المجتمع . . بناء سليما فى ضوء مبادىء هذا المجتمع .. وقيمه الاجتماعية . . ومثله العليا .

ومن هذه الأمور الهامة . . أو الحاجات الضرورية .. التى يجب أن يكون الاخصائى الاجتماعى على وعى بها . . ما يلى :

١ ـ الحاجة الى الوعى بقوى خدمة المجتمع :

إن مفهوم خدمة المجتمع ، كما سبق أن اوضحنا ، يعنى عملية أو عمليات التغيير إلى الأفضل . . وان التغيير الى الأفضل ينتج عادة من أوجه النشاط المتضافرة المستمرة المقصودة التى تقوم بها الجماهير والحكومة والخدمات الفنية المهنية المناسبة .. حكومية كانت أو أهلية .. جميعا . وليس من الضرورى أبدا أن تكون هذه الأوجه من النشاط قائمة منذ البداية حتى تحدث عملية خدمة المجتمع أو عملياتها . فلكل وجه منها أثره لاحداث التغيير المنشود . . ومع ذلك فاذا تعاونت هذه القوى ، جميعا ، فان النتائج تكون أكثر وضوحا واستمرارا. إذا وعينا ، نحن الاخصائيين الاجتماعيين الذى نعمل فى مجالات خدمة المجتمع ، هذه الحاجة . . مهما كان المستوى الذى نعمل فيه .. فاننا نضع أساسا سليما للعمل الجماعى . . أقصد يسرنا السبيل إلى أن يسود عملنا روح الفريق .

٢ ـ الحاجة الى الاعتراف بالعنصر الانسانى:

ويجب على الاخصائى الاجتماعى أن يكون واعيا بأن تأثير هذه القوى (الجماهير والحكومة والخدمات) يكون ، بالضرورة ، معقداً .. لأنها . . أى هذه القوى . . أساسا . . قوى بشرية .

والحكومة فى نظر المجتمع المحلى . أقصد فى نظر أعضائه ليست قوة بعيدة عنهم أو غير شخصية . . انها تؤلف ، عادة ، من أشخاص معروفين . . لكل واحد منهم بعض السلطان . . من أكبر موظف حكومى مسئول فى المنطقة الى أصغر عامل من عمال الخدمات . ويلاحظ أن فكرة أى شخص من أعضاء المجتمع عن الحكومة . . أنها حكومة عادلة أو قوية أو غير مكترثة لا تقوم . . أقصد هذه الفكرة . . على أكثر من تعامل هذا الشخص مع بعض أعضاء الحكومة مثل جامع الضرائب أو رجـــل الشرطة الذى يمثل السلطة ، عادة ، ويمارسها .

والمجتمع نفسه يجب أن ينظر اليه كقوة بشرية ذات دوافع مركبة . . وأن الدور الذى تؤديه هذه القوة فى برامج خدمة المجتمع يعتمد على بعض العوامل . . وهذه العوامل فى الغالب غير مادية . . أهمها سيادة احترام الذات بين أعضائه ، وسيادة الثقة بينهم كذلك ، واحساسهم بالروابط والأهداف المشتركة ، فضلا عن اتجاهاتهم نحو مشاكلهم ونحو الغرباء الذين يمكن أن يقدموا يد المساعدة لهم .

ويحتاج الاخصائيون الإجتماعيون المتخصصون فى طريقة خدمة المجتمع الى فهم أهمية العلاقات الانسانية الطيبة . وهم فى حاجة أيضا الى معرفة كيف يمكن أن يؤثر سلوكهم الشخصى فى الناس من حولهم ، وفضلا عن ذلك فهم يحتاجون، بدرجات مختلفة ، الى فهم دوافـــع الناس الذين يعملون معهم وفهم سلوكهم . ويلاحظ أن ذلك كله ليس أمرا سهلا . فان ما قد يبدو فى نظر الاخصائى الاجتماعى معارضة عنيدة غير عاقلة من جانب الجماهير يكون ، فى الغالب ، له أساس معقول فى الانماط الثقافية فى المجتمع الذى يعيشون فيه . وأن ما قد يبدو أنه ضرورى ومنطقى من وجهة نظر الغرباء عن المجتمع قد يكون مزعجا جداً لأعضاء هذا المجتمع وبخاصة إذا تطلب تغييرات أساسية فى العقائد والتقاليد المحلية . ويجب أن يلاحظ

الاخصائى الاجتماعى المتخصص فى طريقة خدمة المجتمع أن التغييرات الى الأفضل إن قصد بها تدعيم حاجة الجماهير الى تنمية بعض الفهم لديهم .. أى تنمية ادراكاتهم واتجاهاتهم وبعض السمات العقلية عندهم فان العقل البشرى ليس دائمـا مستعدا وراغبا فى النمو .. إن الوصول الى الجماهير . الوصول الى أعماقهم هو باستمرار أحد التحديات التى تواجه قوى الاخصائى الاجتماعى .. قوى إدراكه .. فضلا عن قوى مرونته . ولكى ينجح .. أقصد الاخصائى .. فهو فى حاجة دائما الى مزيد من الخبرة والمساعدة المهنية ؛

٣ ـ الحاجة الى التدريب على المهارات العملية :

إن محاولة تكوين علاقات إنسانية طيبة بين الاخصائى الإجتماعى المتخصص فى طريقة خدمة المجتمع وبين أعضاء المجتمع .. ماهى إلا أحـــد عناصر مهمة الاخصائى الإجتماعى .. والخطوة التالية هى المساعدة على تمهيد السبيل الى التغيير المنشود .. التغيير الى الأفضل ، وذلك برفع مستويات المعيشة عند الجماهير ، وبتقوية إمكانياتهم الاقتصادية بطريقة مباشرة أو غير مباشرة .. ونلاحظ أن الاخصائى الذى يقتصر عمله على جزء صغير من حياة شخص ما يواجه ، عادة ، هاتين المشكلتين معا . ويلاحظ ، أيضا ، أن كسب ثقة الجماهير واستثارة اهتماماتهم أمران ضروريان للغاية حتى تكون عمليات التغيير الى الأفضل ذات فاعلية كبيرة عندهم ، وأن تطبيق عمليات التغيير الى الأفضل ، بدوره ، خطوة رائعة نحو كسب ثقة الجماهير وتخفيف التوترات فى نفوسهم فضلا عن استثارة اهتماماتهم ..

وفى هذا الضوء نجد أن عملية وصول الاخصائيين الإجتماعيين المتخصصين فى طريقة خدمة المجتمع الى الجماهير .. الوصول الى أعماقهم .. تتضمن بناء جسر من الود الانسانى بينهم والتذرع بالصبر وتعليمهم بطريقة مباشرة أو عن طريق

الوسائل السمعية والبصرية . . والقيام بعمليات الإيضاح ، بطريقة عملية ، لما يمكن عمله لرفع مستويات المعيشة . . مع الأخذ فى الاعتبار أن يكون الاخصائى الإجتماعى مستعدا . . باستمرار . . للعمل معهم وبهم وفى سبيلهم ، وأن تكون وسيلته فى الاقناع عن طريق النتائج لا بمجرد الكلام . .

وفى هذا الضوء يكون تدريب الاخصائى الإجتماعى المتخصص فى طريقة خدمة المجتمع تدريبا على استخدام يديه بنفس القدرة التى يستخدم بها عقله فى أداء المهام العملية بكفاءة . .

وفى ضوء ما سبق يمكن أن نستنتج بعض الأهداف . . أهداف أكثر تخصصا . . ولكن لابد . . أن نلاحظ أن الاخصائيين الإجتماعيين المتخصصين فى طريقة خدمة المجتمع لا يعملون وحدهم، وأن المتخصصين الآخرين الذين يسهمون معهم أشخاص متباينون . . فمنهم السياسى الثائر والقائد الإدارى ومنهم المربون والمهنيون والفنيون فضلا عن القادة المتطوعين . . وأن هذه الأهداف لا يمكن أن يدرك تحقيقها ، بالتساوى ؛ كل العاملين فى مجالات طريقة خدمة المجتمع . . فاسهام كل فى تحقيق هذه الأهداف ، يختلف ؛ بالضرورة ، لأن أعمالهم مختلفة . . فالمربى الذى يعمل فى مجالات طريقة خدمة المجتمع ، مثلا، لديه مجال أوسع من مجال المدرس الإلزامى . . والطبيب المتخصص فى أعمال الصحة الوقائية لديه من الفرص أكثر من الذى يقوم بعملية من عمليات التطعيم . والسياسى الثائر . . محرك الجماهير نحو الأهداف الإيجابية للمجتمع . . يكون دائما فى الطليعة أو يجب أن يكون كذلك . . وهو ، بالضرورة ، أوسع أفقا وأكثر ديناميه ومرونة من بعض العاملين الآخرين. ومع ذلك فانه يجب أن يلاحظ أيضا أن الاخصائى الإجتماعى المتخصص فى طريقة خدمة المجتمع يعمل باستمرار مع هؤلاء المتخصصين ومع غيرهم ،

كما يعمل لهم .. فى سبيل بناء المجتمع بناء سليما .. فى ضوء قيم هذا المجتمع ومبادئه ومثله العليا ..

ومن هذه الأهداف .. أهداف العاملين فى مجالات طريقة خدمة المجتمع.. ومنهم ، بالضرورة ، الاخصائى الاجتماعى .. ما يلى :

أ ـ كسب ثقة الجماهير

قد يجند الاخصائى الإجتماعى المتخصص فى طريقة خدمة المجتمع أو غيره من المتخصصين .. ويدربون ليعملوا فى نفس المجتمعات المحلية التى نشأوا فيها. فهم ، فى هذا الضوء ، الى حد كبير ، يعرفون المجتمع المحلى .. يعرفون محظوراته ومحرماته .. ومن ثم فهم أكثر حظا فى تقبل أعضاء المجتمع لهم من غيرهم .

أما الاخصائى الإجتماعى الذى يجند من خارج المجتمع المحلى الذى يعمل فيه .. فهو ، وغيره من العاملين مثله ، فى مسيس الحاجة الى تدريب من نوع خاص على كسب ثقة الجماهير فى المجتمع .. إن أهم مايصادفه هو عملية المبادرة الى الحصول على المعلومات الأساسية عن المجتمع المحلى (قرية من قرى الريف أو حى من أحياء المدينة مثلا) دون ما إثارة الشكوك أو خلق المتاعب أو التوترات حتى ينجح فى تقبل أعضاء المجتمع له كشخص صالح ذى بصيرة عملية ..

ويلاحظ أنه ليس كل العاملين فى مجالات خدمة المجتمع فى حاجة الى التعمق فى دراسة المجتمع .. ومع ذلك فانهم فى حاجة الى ثقة الجماهير وتأييدهم .. إذا كان الأهداف من خدماتهم ، وان كانت بسيطة ، أن تتحقق ثمارها .

ويلاحظ أن وصول القائمين على عمليات التطعيم الى إحدى القرى ، مثلا ، قد يشيع عناصر القلق فى مجتمع القرية كما قد يشيع الشائعات التى لا أساس علمى لها فى صفوف أعضائه مالم يعمل المتخصصون فى طريقة خدمة المجتمع ،

ومنهم الأخصائى الإجتماعى،وفى ضوء خبرتهم الثقافية التى أكتسبوها عن المجتمع على تيسير عمل القائمين على عمليات التطعيم وذلك بتمهيد السبيل لهم ... باشاعة الأمن والسكينة فى قلوب أعضاء مجتمع القرية .

ويلاحظ أن عملية كسب ثقة الجماهير .. أعضاء المجتمع .. قد تستغرق وقتا طويلا .. ربما شهوراً عديدة .. ربما أكثر من ذلك ..فى ضوء التجارب نلاحظ مثلا ، أن اتجاهات أعضاء المجتمع المحلى واستجاباتهم نحو خدمة المجتمع .. أى نحو القائمين بها .. تتراوح مابين اتجاهات أو استجابات غير مكترثة أو أن تكون مشوبة بالتهديد بالعنف .

ومهما يكن من الأمر فنحن بايراد هذه التوضيحات إنما نهتم بالمشكلة أكثر من الاهتمام بعملية الحصول على تقبل عملائنا .. أقصد الجماهير الذين نعمل بهم ولهم ..أى اننا فى مسيس الحاجة إلى دراسة هذه العملية .. عملية التقبل .. دراسة أكثر عمقا . ونحن الاخصائيين الإجتماعيين المتخصصين فى طريقة خدمة المجتمع خير من يفعل ذلك .. ان لدينا المعرفة الكافية ، أو يجب أن تكون هـذه المعرفة الكافية لدينا ، عن القيام بالمسح الإجتماعى .. وعن المبادىء التى تيسر القيـــام بالمقابلة الفردية أو المقابلة الجماعية .. أو الزيارات على مستوى المنازل .. أو كيفية التعاون العملى مـــع القادة المحليين .. وكذلك المعرفة الكافية عن كيفية الاستفادة من الاجتماعات العامة بطريقة مثمرة ..

ب - رفع روح المجتمع المحلى :

وبالاضافة إلى وجود أو ضرورة وجود التعاطف بين الاخصائيين الإجتماعيين المتخصصين فى طريقة خدمة المجتمع وبين الجماهير فالحاجة ماسة إلى رفع روح المجتمع .. أقصد روح الجماهير أعضاء المجتمع . وتعتبر هـذه الحاجة احدى القواعد التى على

أساسها يعمل الاخصائيون الاجتماعيون .. فالملاحظ أن الشعور بالانتماء ، مثلا ، موجود فى كثير من المجتمعات . . وحيث لا يكون هذا الشعور موجودا أو يكون موجودا ولكنه ضعيف فان العمل على إيجاده أمره ضرورى . . أى أن التشجيع على وجود التماسك فى صفوف أعضاء المجتمع أمر ضرورى .. ولا يكون ذلك . . أقصد التشجيع الا من خلال أوجه النشاط التى تدخل فى نطاق أعمال المتخصصين فى طريقة خدمة المجتمع .. والاخصائى الإجتماعى واحد منهم . . ومن الامثلة على ذلك . . نجد حملة القضاء على الامية . أو القضاء على البلهارسيا أو على ظاهرة الثأر أو على المخدرات أو على الجريمة بأنماطها . . وكذلك حملة تنظيم الإسر أو حملة تنمية الوعى بالمرور . . وغيرها ، وكذلك القيام بمشروع توزيع المياه النقية . . والقيام ببعض الاعمال التعاونية . . كالقيام بإصلاح جسر . . أو فتح طريق . . أو بناء سور نادى اجتماعى ... الخ .

وفى ضوء كل ذلك يجب أن يكون الاخصائى الإجتماعى المتخصص فى طريقة خدمة المجتمع على وعى كبير بالقوى الاجتماعية فى المجتمع فضلا عن نتائج التغيير المعين الذى يسعى اليه .. أقصد التغيير إلى أفضل . . سواء كانت هذه النتائج تحقق أهدافا متكاملة .. أو كان يصحبها بعض سمات الخلل الإجتماعى . . وعلى سبيل المثال نجد ان إدخال الإمكانيات الصحية ، مثلا ، فى المجتمع .. قد يؤخذ على أنه تهديد لبعض عمال النظافة .. الكناسين .. تهديد لارزاقهم كفئة من العمال الحرفيين وقد نجد فى مجتمع آخر أن حملة القضاء على الآفات قد تقابل بالمقاومة التى ترجع عادة الى بعض المعتقدات المتعلقة بحياة الحشرة . وقد يكون لاستخدام القادة المحليين فى مجتمع قبلى أو فى مجتمع القرية ، مثلا ، لأغراض إدارية أو إجتماعية .. مثل أعمال الحسابات أو جمع الضرائب أو حفظ النظام أو القانون - نتائج

سريعة ، فى بعض الأحيان ، تعمل على إضعاف الدور التقليدى لهؤلاء القادة كحماة لهذا المجتمع .

وعلى الرغم من ضرورة وعى الاخصـــائى الإجتماعى بالصعوبات السابقة وبغيرها .. فانه فى مسيس الحاجة ، إذا كان الهدف هو تحقيق التقدم ، إلى التعرف على كيفية التغلب على هذه الصعوبات وعلى مواجهتها . فمن واجبه ، على الأقل ، أن يعرف بما فيه الكفاية متى يستطيع أن يبطىء فى العمل ومتى يمكنه الاسراع فيه . . وكذلك متى يسعى إلى خبرة أحد المتخصصين الآخرين قبل أن يواجه . . أى الاخصائى . . أزمة من الأزمات . ويجب عليه ، أيضا ، أن يكون قادرا على مساعدة الأشخاص أو الجماعات على أن ينظروا إلى مشكلاتهم وأمورهم العديدة نظرة موضوعية .. حتى تنمو لديهم الاتجاهات الإيجابية . . أى الأكثر وعيا . . نحو التغييرات المرجوة فى سبيل الصالح العام . .

ويلاحظ أن الاخصائيين الإجتماعيين الذين تحتم طبيعة أعمالهـــم المرور فى نواحى المجتمع المحلى الذى يعملون فيه . . أنهم إذ يؤدون هذه الأعمال . . يساعدون فى الواقع ، على تماسك المجتمع وربط أجزائه بعضهـــا ببعض. فهم فى إحتكاك مستمر بآراء أعضاء المجتمع وفى الوقت نفسه تراهم قادرين على توجيه أنظارهم . . أنظار الأعضاء . . الى مدى الاهتمام العام بالموضوعات التى تشغل بالهم . . ويستطيع الاخصائيون الإجتماعيون ، أيضا ، عن طريق أوجه النشاط الترفيهية وعن طريق المناقشات الجماعية .. أن يوجهوا أنظار الجماهير نحو حاجاتهم الماسة . . فضلا عن الموارد . . موارد المجتمع . . الموجودة أو التى يمكن ايجادها ، وكذلك يستطيعون . . أقصد الاخصائيين الإجتماعيين أن ينموا عند أعضاء المجتمع ملكة النقد الذاتى وذلك عن طريق بعض الأساليب البسيطة . . مثل الرسوم البيانية وصحيفة الحائط . . وغيرها وبخاصة فى اجتماعاتهم غير الرسمية . .

جـ – المساعدة فى العمل التعاونى :

وعندما يبدأ المجتمع المحلى . . أقصد أعضاءه . . أن يروا أنفسهم كوحدة فانهم يشعرون ، حتما ، بالدوافع نحو عمل شىء لمواجهة مشاكلهم أو لمواجهة الامور التى تشغل بالهم . . ولكن المشكلة هنـا هى كيف يبدأون هذه المواجهة . . ؟ .

ويلاحظ أن العمل الذى يقوم به عدد كبير من الأشخاص يتطلب عادة تنظيما سليما . . كما يثير ، عادة ، الكثير من الأسئلة . . والاستفسارات. ولكن المهم فى الموضوع هو كيف يمكن التغلب على مشاكل عدم الثقة بالنفس والحزازات الشخصية والضغائن والوان الريبة والشك فى نفوس أعضاء المجتمع . . إن وجدت والتى كثيرا ما تعوق محاولاتهم . . للعمل معـا .؟ وفضلا عن ذلك . . إذا احتاج الأمر إلى تكوين لجنة من اللجان فكيف يمكن تكوينها ؟ وما هى أحسن طريقة فى تقسيم مسئوليات القيام بأحد المشروعات معا . . تكاليفه وأرباحه ؟ إن هذه المشاكل ، على صغرها ، يمكن أن تقف فى سبيل القيـام بمشروع بأكمله . . بل يمكن أن تخلق التوترات الجديدة بدلا من خلق التعاون السليم .

ويلاحظ أن تكوين عادات العمل التعاونى واتجاهاته يمكن أن يقوى بين أعضاء المجتمع عن طريق الاعمال غير الرسمية فى المشروعات العديدة . . مثل أعمال تجفيف المستنقعات أو بناء الطرق أو تنظيم المساعدة لأعضاء المجتمع المعوقين . . وغيرها من الأعمال البنائية أو الوقائية أو العلاجية . ومن ثم نرى أن المتخصصين فى طريقة خدمة المجتمع لا بد أن يكونوا مدربين التدريب الكافى السليم على عمليات العمل مع الجماعات . . وحتى من لا يعمل منهم ، بصفة أساسية

مع الجماعات ، فهم فى حاجة ماسة ، بطبيعة الحال ، الى بعض الادراك السـليم للوسائل الى تيسر التعاون بين أعضاء المجتمع . . سواء كان ذلك على مستوى الاشخاص أو على مستوى الاسر . فالمتخصص فى التغـذية ، مثلا ، اذ يشجع أعضاء المجتمع . . على تبادل نوع معين من البذور . . لا يؤدى هذا الواجب فحسب بل فى الوقت نفسه يساعد على بناء اتجاهات الاعضـاء على المساعدة المشتركة فضلا عن الاحترام المتبادل الذى يمكن أن يقوم عليه العمل فى المجتمع بصورة ميسرة . . واكثر ثباتا .

د ـ تنمية قوى الافراد (الاشخاص) على العمل الخلاق :

إن الهدف النهائى لعمليات خدمة المجتمع هو تكوين الشخص ونموه على أساس سليم . . لأن المجتمع السليم هو الذى يصنع المواطنين الصالحين، كما يعرف القارىء ، وليس العكس . والمقصود بتكوين الشخص ونموه على أساس سليم هو تنميته . . وتعنى التنمية مساعدة النفس . أى أن الشخص يساعد نفسه بنفسه ولا يعنى ذلك ، مطلقاً ، تأكيد فرديته . . نحن لا نهدف إلى اشاعة الفردية فى محيط أعضاء مجتمعنا . . ولكن الروح الجماعية هى التى يجب أن تسود . . وعليه فاننا يجب أن لا نغفل ، بالاضافة إلى مساعدة النفس ، أن يكون الشخص . . أى شخص قادرا على المساعدة المشتركة أيضا . فهو . . أى الشخص . إذ يساعد نفسه بنفسه ويكون فى الوقت ذاته قادرا على المساعدة المشتركة . . يكون فى الواقع قادرا على العمل الخلاق .

ويلاحظ أن الشخص الايجابى فى اتجاهاته وفى عادات تفكيره يكون فى الوقت نفسه قادرا على التوفيق بين حاجاته الخاصة الى التكوين الشخصى السليم

وبين حاجات الجماعة أو الجماعات التى هو عضو فيها . ومن ثم نرى أن الاهتمام الأساسى لطريقة خدمة المجتمع هو بناء أساليب حياة خلاقة لأعضاء المجتمع وبناء أساليب تفكير خلاقة لهم كذلك ... ولا يكون ذلك إلا إذا تصور الاخصائى الإجتماعى المتخصص فى طريقة خدمـــة المجتمع ، بحق ، أن مهمته الأساسية هى مساعدة أعضاء المجتمع على تنمية قواهم الظاهرة والكامنة على السواء ، وذلك عن طريق الأساليب العملية التى تساعدهم على التفكير بوضوح.. والتى تيسر السبيل لهم لكى يطبقوا استخدام عقولهم فى مواجهة المشاكل أو الأمور التى تشغل بالهم .. وذلك بالتعبير عن آرائهم فى ثقة .. فضـــلا عن سهولة اتصالهم بالأعضاء الآخرين والجماعات الأخرى فى المجتمع الذى يعيشون فيـــه وبصـورة أكثر فاعلية ...

ويلاحظ أن قدرة تعبير أعضاء المجتمع عن الآراء الشخصية فى وضوح وثقة مثلا ، من الأمور الهامة التى تتناولها طريقة خدمة المجتمع . فالمسلم به ، على وجه العموم ، أن برامج طريقة خدمة المجتمع تعنى بهذا الموضوع .. أقصد التعبير عن آراء أعضاء المجتمع الشخصية فى وضوح وثقة وبخاصة فيما يتعلق بالحاجات التى يشعرون بضرورة مواجهتها . ولكن الموضوع الهام هو كيف نتأكد أنها حاجات أساسية ..؟ فالملاحظ أن الحاجات التى يثير بها أعضاء المجتمع انتباه الاخصائى الإجتماعى ، عادة ، هى حاجات ليست ، بالضرورة ، أهم الحاجات . ولعل الخشية من السلطة أو الرغبة فى الارضاء .. إرضاء الاخصائى الإجتماعى أو غيره من المتخصصين .. أو الرغبه فى التفاخر .. أو ربما عدم الاكتراث ببرامج خدمة المجتمع كل أولئك من العوامل التى تفسر هذا السلوك من جانب أعضاء المجتمع .. أقصد طلبهم الحاجات التى غالبا لا يشعرون ، بحق ، بضرورتها أو عدم طلبهم الحاجات

التى يشعرون ، بحق ، بضرورتها . ولعل الشخص . . عضو المجتمع . . أو الاشخاص . . أعضاء المجتمع . . يفضلون عدم المجاهرة بآرائهم الشخصية إحتراما للسلطة ... أو لعدم الثقة فى الاخصائى الاجتماعى أو أحد المتخصصين الآخرين . . أو ربما للشعور بعدم الثقة فى قيمة آرائهم الشخصية . ومن الاشخاص من يشعرون بالأمن عن طريق الموافقة السلبية لما يعرض من آراء جماهيرية أكثر من الجهر بآرائهم الخاصة فيما يتعلق بترتيب أولويات المشاكل أو الامور التى تشغل بال أعضاء المجتمع فى بيئتهم .

والتباين واضح . . وهو تباين فى الدرجة أكثر منه فى النوع . . بين ما يقدمه المتخصصون فى طريقة خدمة المجتمع . . ومنهم الاخصائى الاجتماعى . . وبخاصة فى مجال تنمية قوى الاشخاص الكامنة . ومهما يكن من الأمر فكل واحد منهم المتخصصين . . يستطيع ، مع ذلك ، الاسهام فى هذا المجال إحدى الطريقتين الآتيتين أو بهما معا :

١ — من خلال اتجاه المتخصصين فى طريقة خدمة المجتمع الخاص نحو الناس واحترامهم الأصيل لهم وقدرتهم على مواجهتهم . . مواجهة الناس . . على مستوى واحد . . دون ما تبيان أى تعال زائف . . أو إبراز أى تصاغر زائد على الحد .

٢ — من خلال الاسلوب الذى يقدم به المتخصصون خدماتهم . . حيث يسمحون بأكبر قدر لمشاركة الناس لهم . . . ومساعدتهم على فهم الاساس الموضوعى للخدمات المقدمة ، إلى الحد الذى تسمح به قدراتهم .

ويعنى كل ذلك أن حاجة الاخصائى الاجتماعى المتخصص فى طريقة خدمة المجتمع

ملحة ، إلى القيام بتعليم مفاهيم جديدة للناس . . جماهير المجتمع الذى يعمل فيه . . وتعليمهم ، أيضا ، مهارات جديدة . . مهما كانت بسيطة . . بأسلوب ييسر لهم أن يتمثلوها . . لا أن يقلدوها . وفى بعض الأحيان لا يكون هذا التعلم هدفا فى ذاته بقدر ما هو وسيلة لخلق الظروف أو ايجادها التى تكسب أعضاء المجتمع فهم هذه المفاهيم الجديدة . . أو هذه المهارات الجديدة . ولعل وظيفة التعلم غير الرسمى . . تعليم أعضاء المجتمع . . تبدو ضرورية عند الاخصائى الاجتماعى المتخصص فى طريقة خدمة المجتمع ، وعند غيره من المتخصصين ، وبخاصة عندما يكون التعليم الرسمى غير موجود فى المجتمع ، أى عندما يقف عدم وجود هذا التعليم فى طريق التنمية الكاملة للقوى الكامنة للجماهير وموارد المجتمع الذى يعيشون فيه .

هـ ـ تفسير حاجات المجتمع المتغيرة :

إن بعد المجتمع المحلى عن الكثير من الأجهزة الحكومية . . والجامعات . . والمنظمات المهنية . . يجعل من المهم الاستمرار فى تفسير الحاجات المحلية والموارد المحلية فضلا عن عمليات التغير الاجتماعى المحلى . . إن الإستمرار فى هذا التفسير أمر ضرورى . . لأن العاملين فى المجتمع المحلى ، وبخاصة ، الغرباء منهم فى مسيس الحاجة الى التخطيط الزمنى لاسهامهم فى عمليات خدمة المجتمع . . فضلا عن التخطيط لطبيعة هذا الاسهام . . ولا يمكن أن يتحقق ذلك . . إلا فى ضوء هذا التفسير المستمر .

ويكون الاخصائى الاجتماعى المتخصص فى طريقة خدمة المجتمع ، عادة ، حلقة الاتصال الحيوية بين أجهزة الحكومة وبين أعضاء المجتمع المحلى . فهو بحكم مركزه يستطيع أن يلاحظ التغيرات التى تحدث فى المجتمع . . ويلاحظ صور

التنمية التي تأخذ مكانها فيه . وبالمثل نجده . . أي الاخصائي الاجتماعي همـــزة الوصل بين أعضاء المجتمع المحلي وبين المتخصصين المهنيين الآخرين الذين يساعدون معه ، الأعضاء ، على ترجمة حاجاتهم إلى برامج عمل .

وتتطلب وظيفة التفسير .. تفسير حاجات المجتمع المتغيرة ، مع أشياء أخرى التدريب على حفظ السجلات الموضوعية والمهارات في اختيار خبرات التغير الجاري في المجتمع المحلي . . وفي تحليل هذه الخبرات .

و — مساعدة المجتمع المحلي على الاستفادة من موارده :

كثيرا ما نجد في معظم المجتمعات المحلية موارد غير مستغلة دون أن يعرف ذلك أعضاء هذه المجتمعات . وهذا لا ينطبق فقط على الموجودات أو الموارد المادية . . والخدمات الفنية . . بل ينطبق كذلك على الموارد البشرية داخل المجتمع نفسه .

ونجد ، في بعض الأحيان ، أنه من الصعوبة بمكان الاعتراف بالموارد البشرية الهائلة في مجتمع ما . . ويرجع ذلك إلى وجود بعض المحظورات أو المحرمات المحلية .. كما يرجع إلى عدم الثقة . . أو التعصب . ومن الأمثلة على ذلك ما نجده في بعض مجتمعاتنا المحلية . . وفي محيط بعض الجماعات الثقافية في مجتمعنا وبخاصة النظرة نحو النساء . . ومعاملة أعضاء الجنسين معاملة ثنائية . . للرجال معاملة . . والنساء معاملة أخرى ، وتكون معاملة الرجال ، عادة ، متميزة . . وتكون معاملة النساء ، عادة ، في مستوى الحضيض (١) . . ويعني ذلك فشل

(١) سيد عويس : المرأة كسلعة . . مجلة الهلال . أول مارس ١٩٦٥ ، صفحات ١٠٠ — ١٠٧

بعض المجتمعات المحلية . . عندنا . . فى تنمية موارد أعضائها من النساء واستخدامها إستخداما فعالا . ومن الامثلة ، أيضا ، مقاومة أعضاء المجتمع المحلى للمهاجرين إلى مجتمعهم . . أقصد مقاومة الحياة معهم وتمثل أساليبها . وقد يفشل المجتمع المحلى كذلك . . أقصد أعضاءه فى الاعتراف بامكانيات العمل لدى الأعضاء غير المهرة لانتاج نفس البضائع التى يستوردها المجتمع المحلى . . لأنهم اعتادوا على مستوى معين من هذه البضائع !!!

ومهما يكن فان الدعوة إلى الاهتمام بالموارد غير المستغلة فى المجتمع المحلى تحتاج إلى الحصافة والى الحذر . . وحتى تثمر هذه الدعوة ثمارها الايجابية فعلى المتخصصين فى طريقة خدمة المجتمع أن يكونوا على وعى علمى تام بالموارد . . مادية كانت أو بشرية . . أو غيرها . . التى تحتاج فعلا إلى التنمية . . ولا يكفى هذا الوعى . . بل يجب على المتخصصين ، أيضا ، أن يتعرفوا على خير السبل لايجاد الاهتمام بهذه الموارد .

ز — مساعدة المجتمع على احداث التغيير الى الأفضل :

ان التغيير المادى إلى الأفضل فى المجتمع المحلى جانب هام من جوانب عمليات طريقة خدمة المجتمع ، على شرط وجود مستوى كاف من المسئولية نحو هذا التغيير يسلم به أعضاء المجتمع . ولهذا السبب نرى أن الاخصائى الاجتماعى المتخصص فى طريقة خدمة المجتمع ، لكى يأمل فى الحصول على مشاركة أعضـــاء المجتمع فى تطبيق الأساليب الجديدة ، يجب عليه أن يكون واعيا بأنه قد يكون لأعضاء المجتمع أنفسهم المعايير التى يستخدمونها فى الحكم على ماهو « الافضل » وما هو «التغيير».

ويلاحظ أن أعضاء المجتمع المحلى ، على وجه العموم ، يتوقعون أن تنتج الأساليب الجديدة المستخدمة نتائج سريعة ومحسوسة . . كما يتوقعون أن تكون

هذه الأساليب سهلة الاستعمال عند الأشخاص العاديين ، وهم يتوقعون ، كذلك، ان لا تتصارع هذه الأساليب مباشرة مع تقاليدهم المحلية وقيمهم . ويلاحظ أنه على الرغم من أن عمليات خدمة المجتمع ، فى ضوء إهتماماتها، لا تتحدد ، بالضرورة فى ضوء هذه المعايير . فانه من الضرورى ان يكون الإخصائى الإجتماعى واعيا فى ود بالعوامل التى تكون وراء إستجابات أعضاء المجتمع الذى يعمل فيه أو عدم إستجاباتهم نحو التغيير إلى الأفضل، كما تكون لديه الخبرة الكافية ليعرف إلى أى مدى يستطيع أن يقودهم بعيدا عن الاساليب التى اعتادوها . . اقصد اساليب تفكيرهم . . فضلا عن مدى تقديرهم للقيم الجديدة الاخرى .

ومن المفيد أن يكون الاخصائى الاجتماعى واعيا ، كذلك ، بالعمليات الاقتصادية لعمليات التغيير المقترحة . . ينبغى أن يعـــرف تكلفتها ومزاياها الاقتصادية العائدة . . وهل تساوى التكاليف الضرورية والمجهودات البشرية والوقت المبذول من عدمه . إن هذا الوعى . . وعى الاخصائى الاجتماعى . . يهدف ، مباشرة ، إلى حماية اعضاء المجتمع من خسارة اموالهم . . ومن الناحية الايجابية . . يهدف هذا الوعى . . الى تنمية مكاسبهم الاقتصادية . وقد يهدف هذا الوعى ، على المدى الطويل ، إلى ربط المشروعات الاقتصادية فى المجتمعات المحلية الصغيرة . . أكثر . . وأكثر . . بعمليات تنمية الاقتصاد القومى (١) .

ونستخلص مما سبق بعض النتائج . . اقصد بعض المبادىء . . هى ، فى الواقع، من اهم مبادىء طريقة خدمة المجتمع . . يستطيع ان يستخلصها القارىء وحده إن شاء . فهى متضمنة فيما سبق من حديث . . وهى :

---

1 - United Nations : Study kit on Training for Community Development, New York, 1957, pp. 1-11

١ ـ احترام الجماهير (العملاء) .

٢ ـ الاهتمام الصادق بما يشغل الجماهير من أمور تهمهم ، فعلا ، أو مشاكل حقيقية تواجههم .

٣ ـ العمل مع الجماهير حسب سرعة تقبلهم ودون ما ضغط عليهم .

٤ ـ اتاحة الفرص المستمرة لتقديم ألوان المعرفة الانسانية للجماهير التى تتفق مع اهتماماتهم وغاياتهم ...

٥ ـ اشتراك الجماهير باستمرار فى عمليات التعليم .

٦ ـ اتاحة الفرص للجماهير لتطبيق ما يتعلمونه عمليا .

٧ ـ الاستفادة الواعية من العلوم الانسانية وبخاصة علم الاقتصاد .

٨ ـ التعاون الايجابى مع القادة الاجتماعيين والمتخصصين الآخرين فى مجالات طريقة خدمة المجتمع .

٩ ـ الاعتراف بالعمل الانسانى كشرط للوجود الانسانى .

١٠ ـ وذلك فضلا عن المبادىء الأخرى التى تسهر على هديها كل من طريقتى خدمة الفرد وخدمة الجماعة .

وقد تناول بعض المتخصصين المصريين مبادىء طريقة خدمة المجتمع . . وكانت كتاباتهم عنها شتى . . والكثير مما كتبوه منقول عن المراجع الأجنبية . . ومع ذلك ففى الذى كتبوه خير ما فى ذلك من شك . . وفى الذى كتبوه ، أيضا ، ألوان من الغموض . ويلاحظ القارىء أن طريقه عرضنا للمبادىء . . وان كان مضمونها يتفق مع بعض ما كتبه الآخرون . . الا أنها تميل إلى التطبيق . . وتتضمن الأمثلة الحية التى توضحها . . فى ضوء خبرتنا . . وهى بالضرورة ، محدودة ، وفى ضوء مبادىء مجتمعنا الحالى . . المجتمع الذى نحاول أن نبنيه . أقصد المجتمع الاشتراكى .

ويبدو الغموض واضحا فيما يدعيه هذا البعض من مبادىء « الاستثارة » والاستعداد » والتنظيم » و « التقويم » وغيرها . وهى عمليات أقرب إلى خطوات التطبيق منها إلى المبادىء . . كما سيلاحظ القارىء فى الصفحات التالية . .

وقد تضمنت مبادىء طريقة خدمة المجتمع عند بعضهم « العلاقات المهنية »(١) وقد سبق أن تحدثنا عن هـذه العلاقات . . وهى تخص طرق الخدمة الاجتماعية الثلاث جميعا وتقوم . . أى هـــذه العلاقات ، بالضرورة ، على هدى المبادىء السابق ذكرها .

ثالثا — خطوات طريقة خدمة المجتمع :

تهدف طريقة خدمة المجتمع ، كما سبق أن أوضحنا ، إلى تحقيق بعض الاهتمامات والأهداف . . فى ضوء توافر بعض الحاجات ، وعلى هدى بعض المبادىء . . أى أنها تهدف إلى تغيير المجتمعات الانسانية إلى الأفضل . والمجتمعات الإنسانية مجتمعات شتى . . وهى ، أيضا ، عديدة . . ومستويات نموها متباينة . . أى أن مستوياتها الحضارية متباينة . .

ونحن فى مجتمعنا المعاصر . . فى مسيس الحاجة إلى استخدام طريقة خدمة المجتمع عن طريق متخصصين إجتماعيين فيها . . وعن طريق المتخصصين الآخرين كذلك . . فى ضوء مبادئها . . وبقصد تحقيق اهتماماتها . . وأهدافها .

إن الأخصائى الإجتماعى المتخصص فى طريقة خدمة المجتمع ، فى مجتمعنا ، كما سبق القول ، يواجه ثورة اجتماعية بناءة . . أقصد يواجه نتائج هـــذه الثورة

---

(١) تنمية المجتمع وتنظيمه .. صفحات ٤٨ — ٥٤ .. أنظر أيضا : مناهج الرعاية الاجتماعية فى المجتمع الاشتراكى.. صفحات ١٠٣ — ١٠٨ .

الاجتماعية البناءة .. إنه يواجه نتائج ظاهرة التغير الاجتماعى السريع .. أى ظاهرة التفكك الاجتماعى وما يصاحبها من مشكلات اجتماعية .. وظاهرة التخلف الثقافى وما تحمل فى طياتها من رواسب إجتماعية معوقة .. تكون ، عادة ، فى صراع مخيف مع كل ما هو جديد . إنه .. أى الاخصائى الاجتماعى المتخصص فى طريقة خدمة المجتمع . قائد اجتماعى ثورى .. أو لا بد أن يكون كذلك .. يعمل إذ يعمل .. وهو يتعاون مع غيرة من المتخصصين الآخرين ، بالضرورة فى ضوء المنهج العلمى .. الذى ييسر التخطيط الاجتماعى السليم .. أى هو يعمل فى ضوء خطة مقصودة ، ليس فقط من أجل إيجـــاد التوازن بين الاحتياجات الاجتماعية والموارد المتاحة فى منطقة جغرافية أو أى ميدان وظيفى .. بل بقصد البناء المستمر .. بناء المجتمع المستمر .. وبناء شخصيات أعضاء المجتمع .. لينموا نموا مستمرا كذلك ..

أى أن الاخصائى الاجتماعى المتخصص فى طريقة خدمة المجتمع ، فى بلادنا ، يهتم أول ما يهتم ، بعمليات التنمية الإجتماعية فى محيط المادة البشرية فى المجتمع .. كا يهتم بعمليات الوقاية الإجتماعية .. وعمليات العلاج الاجتماعى . وهو يعمـل فى المدينة .. وفى القرية . وفى المجتمع الصحراوى .. على السواء إنه مع غيره من المتخصصين، فى ضوء مهنته الانسانية، يستطيع أن يعمل الكثير فى مجتمع القرية .. وفى المجتمعات المحلية فى المدينة . وفى مجتمع البداوة .. وفى المجتمع المصرى العربى ككل .. فى محيط أعضاء هذه المجتمعات .. يعمل بهم . وفى سبيلهم .. فى ضوء خطة عمل تنبع من واقعنا على هدى مبادئنا الاشتراكية . أى فى ضوء برامج انشائية ووقائية وعلاجية يشترك فيها .. أى الاخصائى الاجتماعى .. على هدى مخطط يتفق مع حاجات مجتمعنا الاشتراكى ..

أى أن خطوات طريقة خدمة المجتمع .. تهدف فى الواقع إلى تحقيق اهتمامات هذه الطريقة ، كما أوضحناها ، فى ضوء العلم .. بقصد التغيير إلى الأفضل . ونذكر فيما يلى أحد الأمثلة لتطبيق طريقة خدمة المجتمع يتضمن أهم هذه الخطوات .. وقد اخترنا هذا المثال فى ضوء تجارب الكاتب فى مجتمعنا .. وبخاصة فى مجتمع القرية .. وهى تجارب واقعية .. أى فى ضوء ملاحظاته عن الواقع الحى . وهى أيضاً ، تجارب نظرية .. أى فى ضوء قراءاته عن هذا الموضوع ..

ومن ثم نرى أن الاخصائى الاجتماعى المتخصص فى طريقة خدمة المجتمع وهو على أهبة العمل فى أحد المجتمعات المحلية .. كمجتمع القرية .. مثلا .. يجب أن يسير على هدى الخطوات التالية . ويلاحظ أن ما ينطبق على مجتمع القرية .. يمكن أن ينطبق على غيره من المجتمعات المحلية مع الأخذ فى الاعتبار أن لكل مجتمع محلى ظروفه وأوضاعه الخاصة به .. ونجمل هذه الخطوات ونحن نوجه الخطاب إلى الاخصائى الاجتماعى وإلى غيره من المتخصصين فى طريقة خدمة المجتمع فيما يلى :-

١ - حاول .. أولا .. وقبل كل شىء .. أن تعرف قريتك وأعضاء مجتمعها الفلاحين . فالكثير منا .. نحن الاخصائيين الاجتماعيين .. قد ولدوا فى قرية أو نشئوا فيها .. والبعض ليس كذلك . وفى كلتا الحالتين فانه من المهم .. بل من الضرورى .. أن تعرف القرية جيدا .. وأن تدرس عادات الفلاحين وتقاليدهم وأن تلاحظ عناصر الكبرياء والتفاخر فى اتجاهاتهم فضلا عن عناصر التعصب فى آرائهم .. كما يجب أن تتعرف على قادة القرية الحقيقيين ، وأن تدرس الأحوال الاقتصادية والاجتماعية فى القرية .. دراسات علمية .. ذلك لأننا إذا لم نحط علما ، بطريقة موضوعية ، بأحوال القرية التى نعمل فيها .. وبأحوال الفلاحين أعضاء مجتمعنا .. فانه لن نتمكن من فهم مشكلاتهم .. أو أن نكسب ثقتهم التى

تعد غاية فى الأهمية للعمل معهم .. ولهم (١)

٢ - حاول أن تعقد جلسات للمناقشات المنظمة .. التى تتناول بين موضوعاتها حاجات الفلاحين العامة .. وأحـــذر من مجرد الثرثرة أو الجأر بالشكوى .. اللذين تجدهما ، عادة ، فى مناقشات الفلاحين عندما يجتمعون فى جماعات صغيرة ؛ لان عمل الاخصائى الاجتماعى الثائر .. هو بالدرجة الاولى تشجيع المناقشات المنظمة لأى موضوع يكون موضوعها ، بحيث يصل المتناقشون الى نتائج محددة تقود الى العمل الجماعى .. المثمر .

٣ - ومن خلال هذه المناقشات .. ومن خـــلال ملاحظاتك الخاصة .. حاول أن تسجل كل المشاكل الحقيقية التى يواجهها مجتمع القرية .. أقصد المشاكل التى يشعر بها أعضاء هذا المجتمع .. والمشاكل التى لا يشعرون بهـــا على السواء وحاول أن ترتبها حسب أهميتها من وجهة نظر أعضاء المجتمع .. ثم من وجهة نظرك بطريقة موضوعية .

٤ - شارك بروح صادقة متعاونة فى كل الاعمال والعمليات التى يقوم بهـا الفلاحون...وقد تتضمن هذه الاعمال والعمليات أعمالا وعمليات ليست بالضرورة من صميم تخصصك ... مثل أعمال الحرث والزراعة ... وعمليات اقامة المصارف وتطهيرها ... وبناء المساكن... وحتى تنظيف حظائر الماشية ... فإن هذا ييسر لك اكتساب خبرة مباشرة بهذه الاعمال والعمليات فضلا عن كسب ثقة الفلاحين ... مما يجعلك فى مركز ييسر لك أن تقترح وأن تسيطر على عمليات التغيير الى الأفضل.

---

(١) هنا تبرز ضرورة تخصص الاخصائى الاجتماعى المتخصص فى طريقة خدمة المجتمع فى البحث العلمى وبخاصة فى محيط الظواهر الانسانية .

٥ ـ اجمع المعلومات الموضوعية باستمرار، كلما أستطعت إلى ذلك سبيلا، بطريق غير مباشر وموثوق به ، عن قادة القرية . . عن مؤهلاتهم . . وعن ميولهم ... وعن مدى اهتماماتهم برفع مكانة مجتمع القرية ورفع مستواه وانعاشه . . وعن أعمالهم ... الخ .

٦ ـ كن ملما دائما بالخط السياسى الذى تسير عليه الدولة . . الخط السياسى الداخلى والخارجى على السواء . حتى تصبح مصدر الاشعاع السياسى الثورى فى مجتمع القرية ، متعاونا ، فى ذلك باستمرار مع القادة السياسيين الثوريين الآخرين ... وحاول باستمرار أن تفسر للفلاحين . . أعضاء المجتمع ... أهداف برامج الخدمات المحلية والقومية فى ضوء الأهداف السياسية للمجتمع الاشتراكى الذى نبنيه (١) .

٧ ـ احتفظ دائما بسجل كامل لأعمالك فى مجتمع القرية يوما بيوم . . وآخر لمذكراتك عن المظاهر المختلفة لحياة القرية . . تكون مرجعا لك... ولغيرك من المتخصصين ... حتى تستطيع فى ضوء تقييمها أن تسير قدما نحو تحقيق الأهداف المرجوة ... أهداف تغيير المجتمع إلى الأفضل (٢) .

رابعا ـ مجالات طريقة خدمة المجتمع :

إن مجالات طريقة خدمة المجتمع . . متعددة ... أى هى أنواع . . ذلك

---

(١) فى ضوء ظروف مجتمعنا المعاصر . . وعلى عكس المجتمعات الاخرى وبخاصة المجتمعات الرأسمالية . . نرى وجوب وعى الاخصائى الاجتماعى السياسى . . فهو كقائد جماهيرى فى مجتمعنا الاشتراكى فى مسيس الحاجة إلى هذا الوعى . .

(2) Study Kit on Training for Community Development, P. 17

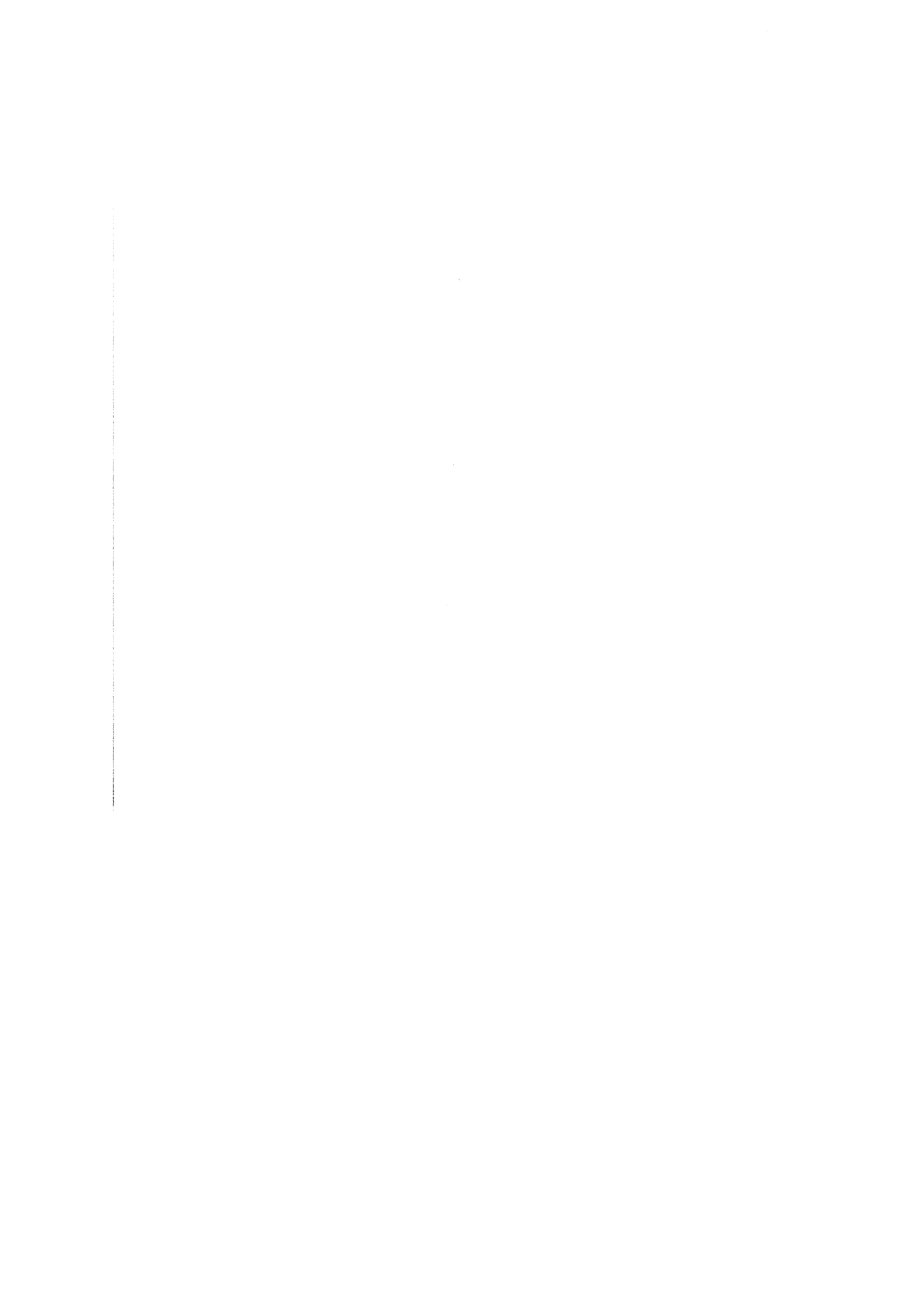
لأن المجتمعات ... موضوع اهتمامات طريقة خدمة المجتمع . متعددة . أى هى أنواع كذلك، منها... كما سبق القول... المجتمعات الصغيرة... والكبيرة.. ومنها المجتمعات البدائية ومنها المجتمعات التى تعيش فى مستوى حضارى معين... ومنها المجتمعات المحلية والمجتمعات الأخيرة توجد فى المدينة ...وفى القرية...وفى الصحراء ... على السواء وهى إما مجتمعات محلية متخلفة ... أو مستحدثة ... أو غير ذلك ... والأمثلة على المجتمعات المحلية المتخلفة ، فى مجتمعنا ، عديدة ... نجدها فى معظم القرى ... كما نجدها فى المدن مثل حى بولاق فى مدينة القاهرة ... أما مجتمع النوبة فى كوم أمبو ومجتمع الوادى الجديد ... ومجتمع حلوان فكلها مجتمعات مستحدثة .

ومن الضرورى أن نلاحظ أن الاخصائى الاجتماعى المتخصص فى طريقة خدمة المجتمع وبخاصة فى مجتمعنا المعاصر... يواجه ثورة إجتماعية ... أقصد يواجه نتائج هذه الثورة الاجتماعية ... فنحن نبنى مجتمعا جديدا ... أى أن المسئولية التى تقع على عاتقه مسئولية تاريخية . وهو إذ يعمل ... لا يعمل وحده ... أى هو يعمل بالتعاون مع غيره من المتخصصين .. القادة الاجتماعيين الثوريين ... بقصد إرساء معالم المجتمع الجديد .. المجتمع الاشتراكى .

انه يعمل مع الأشخاص .. ومع الجماعات .. كما يعمل لهم .. أى فى سبيلهم حتى يقوموا بالاسهام فى البناء المرجو .. أى بالاسهام فى تحقيق الآمال المرجوة فى بناء مجتمعاتهم المحلية .. ومن ثم بناء المجتمع الكبير .

ويلاحظ أن المجالات السابقة .. وغيرها .. كما يبدو .. مجالات تطبق فيها خطة التنمية الاجتماعية وخطة الوقاية فضلا عن خطة العلاج .. تطبقها طريقة خدمة المجتمع .. وهى تطبقها ، أيضا ، كما سبق أن أوضحنا ، طريقة خدمة الفرد

وطريقة خدمة الجماعة . ويكفى أن نذكر هنا . كما سبق أن ذكرنا ذلك حملات تنظيم الاسرة .. والقضاء على الامية .. وعلى المخدرات .. وعلى ظاهرة الثأر ومكافحة الجريمة .. والقضاء على البلهارسيا .. وتنمية الوعى بالمرور . . وغيرها .. وغيرها . ولعل أهم ما نذكره فى هذا الصدد ، كذلك ، ونؤكده . . أن من حق القرية فى مجتمعنا المعاصر أن يتطور مجتمعها وأن لا يكون بمعزل عن مجتمع المدينة :



الفصل الرابع

من التحديات التى تواجه مهنة الخدمة الاجتماعية

يتضمن هذا الفصل الموضوعات الآتية :

١ ـ من التحديات التي تواجه مهنة الخدمة الاجتماعية : تمهيد . .

قبل أن أتحدث عن أهم ميادين الخدمة الإجتماعية التي تحددها ، بالضرورة ، ظروف بناء مجتمعنا الاشتراكي المعاصر ، يجدر بي أن أتحدث عن أهم التحديات التي تواجه عملية بناء هذا المجتمع الجديد . إن هذه التحديات عديدة ، لأن عملية البناء . . أقصد بناء مجتمعنا الاشتراكي الجديد عملية جذرية وشاملة . . أي أن زواياها عديدة . فهي تتضمن البناء الإجتماعي . . والبناء الاقتصادي . . والبناء السياسي .. والبناء الإيديولوجي .. جميعا . وإنني في ضوء تخصصي المحدود لا أستطيع ، هنا ، أن أتحدث عن جميع التحديات ، مع أهميتها ، التي تواجه عملية بناء مجتمعنا الجديد بزواياها العديدة . .

فأنا كمواطن اعتقد أن عمليات الإنتاج ، ورفع مستوى المعيشة ، وارساء التنظيم السياسي الثائر ، وغرس المبادىء الديموقراطية التي اخترناها . . والمبادىء الاشتراكية التي أخذنا بها ، ومواجهة الاستعمار وأذنابه في الداخل وفي الخارج وتطبيق قواعد العدالة الاجتماعية وتكافؤ الفرص . . كلها عمليات تتضمن ألوانا شتى من التحدي لأعضاء مجتمعنا جميعا .. خصوصا العاملون منهم . . أقصد القادرين منهم على تحمل الأعباء ومواجهتها مهما كان الدور الإجتماعي أو الأدوار الاجتماعية التي يقومون بها . .

وكل هذه بعض التحديات .. ولكنها من أهم التحديات . . .

وأنا كاخصائي اجتماعي اعتقد أن كل هـــذه العمليات أو التحديات السابقة تهدف الى خير الناس جميعا . . أعضاء مجتمعنا الجديد . . والأجيال التي تأتي من

بعد ذلك ، وأن الخدمة الاجتماعية كمهنة تستطيع ، بحق ، أن تدلى بدلوهـا فى هذا السبيل . فمبادؤها وطرقها المهنية ومجالاتها وحتى الميادين التى تعمل فيها . . كلهـا تهدف الى خير الناس جميعا . . أعضاء مجتمعنا الجديد . . والأجيـال التى تأتى من بعد ذلك . ومع ذلك فهى .. أى الخدمة الاجتماعية ، لـكى تعمل ، ستواجه حتما ، ألوانا . . أخرى من التحديات ..فهى ستواجه ، حتما ، بعض رواسب الماضى وستواجه ، حتما ، تطور الأسرة فى مجتمعنـا المتطور وهى ستواجـه ، حتما ، مكانة المرأة الاجتماعية . . ومكانة الفلاح والعامل ، كما ستواجه عديدا من المشاكل ومن صور الانحراف كصورة الجريمة مثلا . . وغير ذلك من الألوان . .

وفيما يلى سيجد القارىء حديثا مختصرا عن بعض هذه التحديات . . ضمنها الـكاتب فى الموضوعات الآتية :

- من رواسب الماضى .
- تطور الأسرة فى مجتمعنا المتطور .
- مكانة المرأة الاجتماعية .
- الفلاح والعامل فى الميزان .
- ظاهرة الجريمة فى مجتمعنا المتغير .

٢ - من رواسب الماضى ..

أقصد بمفهوم رواسب الماضى القيم الاجتماعية القـــديمة المعوقة . . أى القيم الاجتماعية البالية التى لا تزال تعمل فى نفوس أعضاء مجتمعنا الحالى وتوجه سلوكهم عن طريق بعض العادات والتقاليد وبتأثيرها . . وتشكل، عادة ،الصراع الكبير بين القديم وبين الجديد . وتعكس هذه الرواسب ، بالضرورة ، صـــور الظروف الاجتماعية القديمة . . الظروف الاجتماعية البالية . . التى لاتتفق مع ظروف مجتمعنا الجديد . .

ومن الرواسب التى ما زالت تعاصرنا حتى هذه اللحظة بعض العناصر الثقافية غير المادية التى ورثها مجتمعنا من العصور القديمة . وتتجلى هذه العناصر فى بعض الظواهر الاجتماعية التى يرجع وجودها الى ظاهرة التخلف الثقافى فى المجتمع .ومن هذه الظواهر الاجتماعية ما تعتبر مشاكل ومنها ما يتعارض مـــع التفكير العلمى والاتجاه العلمى اللذين يجب أن يسودا المناخ الاجتماعى لمجتمعنا الجديد . ونجـد هذه الظواهر ، مثلا ، فى الطقوس الجنازية ، وفى أعمـــال السحر والشعوذة وما يشابهها ، وفى معظم أساليب الحياة فى الريف وبعض الأساليب فى الحضر . .

ونحن إذا درسنا ظاهرة اجتماعية كظاهرة التسول مثلا نجد أننا قد ورثناها ، اجتماعيا ، من الماضى المرذول . وفى ضوء ظاهرة التخلف الثقافى التى يواجهها مجتمعنا فى الوقت الحاضر نجد أن هذه الظاهرة مازالت تبدو فى أثيابها البالية تشوه بعض الحقائق الجميلة التى تنبعث فى مجتمعنا منذ قيام ثورتنا الناهضة فى يوليو عام ١٩٥٢ حتى هذه اللحظة . . وبعد هذه اللحظة . .

واذا حاولنا ابراز عوامل هذه الظاهرة . . ظاهرة التسول . . نجد أن بعضها له

جذور فى بعض العناصر الثقافية غير المادية التى تخلفت عن التطور والتى مازال الكثير من الناس يتمثلونها حتى أصبحت جزءا غير منفصل عنهم . فهم يميلون الى التمسك بها لايزالون . . على الرغم من الروائع الخلاقة التى هزت كيان مجتمعنا ، وأبرزت ما فيه من جهود إنسانية جبارة تسعى الى تحقيق قيم إنسانية جديدة . . كما تسعى الى تدعيمها . . قيم كلها ، تعمل فى سبيل الخير وفى سبيل الكرامة .

ويرى بعض الناس أن عدم توفير العمل للشخص الذى يستطيع أن يعمل ربما يكون هو عامل وجود ظاهرة التسول فى مجتمعنا . وفى هذا الرأى وجاهة مافى ذلك من شك . ولكن يرى الكاتب أنه ليس ضروريا أن يتخذ كل شخص ، يستطيع أن يعمل ولايجد عملا ، التسول وسيلة للتعيش إذا لم توجد ظروف أخرى أو عوامل أخرى تحضه على التسول أو على الأقل تيسر له سبيله

ونصل الى نفس النتائج إذا تناولنا بالدراسة الشخص المعوق عن العمل بسبب مرض مزمن أو عاهة . . ومن ثم لا يستطيع أن يعمل حتى إذا وجد العمل .

ويقول بعض الناس ان ظاهرة التسول فى مجتمعنا ، ترجع الى عامل واحدهو أن المتسول إذ يسأل الاحسان يجد من يستجيب له ويعطيه ما يتيسر من الاحسان. فاذا نحن أى المحسنين نكف عن الاعطاء ، فلن يجد المتسولون ، وخصوصا القادرون منهم ، مفرا من أن يجدوا سبيلا آخر غير التسول . ولأن هؤلاء الناس مواطنون طيبون جدا ، فهم يتوقعون أن المتسولين فى هذه الحالة لن يجدوا سبيلا غير التسول إلا فى العمل .

ولكن يلاحظ أن كل ظاهرة من الظواهر ، اجتماعية كانت أو ماديه ، لها

عواملها المتعددة الدينامية التى توجدها . ولا يمكن أن يكون هناك سبب واحد أو عامل واحد لوجود أية ظاهرة .

فالتسول ، كظاهرة اجتماعية ، لها عوامل متعددة دينامية متداخلة بعضها فى بعض . وما أريد أن أقوله هو أن بعض هذه العوامل عوامل اجتماعية باقية من الماضى ، رواسب بالية ، يجب أن ندرسها لنفهمها ، ومن ثم نعمل على الحد منها وضبطها .

ومن هذه الرواسب فى تصورى ، ثلاثة نماذج تدور كلها حول أنواع معينة من الصدقات . هذه الصدقات التى تملأ مناخنا الاجتماعى ، وتبرز أهم ما فى الناس من مشاعر إنسانية تدفعهم الى ما يمكن أن يقال عنه « التعاون على البر » .

فالدين الاسلامى يقدس الله جل وعلا الذى يمتحن عباده بالمال والنعيم ليظهر السمح الكريم ويعرف الحريص البخيل .وآيات القرآن الكريم تتلألأ بالمعانى الانسانية الكريمة من حيث إن الدين جعل فى مال الأغنياء حقا معلوما للسائل والمحروم . وفرض الزكاة وجعلها ركنا من أركان الاسلام ، وحض على البذل والعطاء ، ودعا الى التصدق على الفقراء وجعل الانفاق فى سبيل الله دليلا على صدق الايمان ، تقوية للروابط بين طبقات الأمة وتدعيما للصلات بين الأغنياء والفقراء واحياء للمعانى الإنسانية حتى تنتشر المحبة ويعم التراحم والتعاطف وتقوم علاقة الناس على التناصر والمشاركة فى الخير والتعاون على البر فتسعد الأمة وتسودها المودة وتحقق ما أمرها الله بقوله « وتعاونوا على البر والتقوى » .

وكما يكون الانفاق من المال يكون من الطعام ومن الملابس والكساء فالله يقول فى من حنث فى قسمه « فكفارته اطعام عشرة مساكين من أوسط ما تطعمون أهليكم أو كسوتهم ... » (٨٩م المائدة ٥) .

وقد اهتم الدين الاسلامى بمصرف الزكاة وشروط من تدفع لهم الزكاة ، ومال الزكاة ، كما اهتم بالسائل الذى يجب أن لا ينهر ، ولا ينهى الإسلام عن الأخذ من غير السؤال ، ولكنه ينهى السؤال وخاصة من الملحفين .

وفى ضوء كل ما سبق يتصدق الناس عن حسن نية . يتصدقون كأفراد كما يتصدقون التصدق الجماعى . وان يبلغ التصدق الفردى مهما عظم ما يبلغه التصدق الجماعى .

ولا يعرف الكثير أن للحاكم جمع الزكاة وصرفها لمستحقيها وأن الاسلام يحض دائما على السعى والعمل .

ولكن العبرة فيما يتعلق بأذهـــان الناس من تفسيرات للآيات القرآنية والأحاديث النبوية الحاثة على التعاون على البر والتقوى . وهى تفسيرات فى حاجة إلى علماء الدين الاعلام لكى يعيدوا تفسيرها فى ضوء روح الاسلام الذى يحض دائما على السعى والعمـــل ، وفى ضوء قيم مجتمعنا الجديد الذى لا يقر السؤال والتسول ويعمل دائما على حماية كرامة الانسان . فالعمل المنتج فى هذا المجتمع طقس من الطقوس المقدسة . . وخير ما فى الانسان عنده هو عمله المنتج ...

وهناك نوع آخر من الصدقات نجده منتشرا فى أماكن معينة وفى أوقات معينة . فهو موجود فى المقابر وخصوصا فى المواسم الدينية والأعياد .

وقد ورثنا اجتماعيا القيام بهذه الصدقات من الماضى القديم . فنجد الكثير من الناس ، معظم الناس ، فى مجتمعنا ، يحمـــلون فوق رؤوسهم سلالا مكدسة بالخبز والكعك والتمر والفاكهة والزهور ويسمونها « الطلعة » لتوزيعها على الفقراء صدقة على روح الأموات . . وعلى الرغم من تحريم الدين الاسلامى لهذا النوع من

الصدقات واعتبار تقديمه أمرا منكرا وقبيحا ، فالناس لا يأبهون وهم فى ضوء ما يتمسكون به من تقاليد لايستطيعون لها فكاكا .

وهناك نموذج ثالث من الصدقات . فقد يسير الشخص منا فى أحد شوارع المدينة أو فى أحد شوارع القرية ، ويجد أما تحمل وليدا على يديها . وقد لا يأبه بهذا المنظر فهو من الأمور العادية . ولكن الأم تستوقفه قائلة له :

« شحت العيل علشان يعيش ! »

وهذه عادة يعنى مفهومها أن هذه الأم قد ولدت أبناء كثيرين قبل هذا الوليد ولكنهم ماتوا جميعا . ورغبة منها فى أن يعيش الوليد الجديد فهى تتسول من أجله حتى يعيش لها .

وهذا نموذج غريب لا يقره العلم ولا الدين ولكنه موجود فى المجتمع لايزال .

وقد تتخذ هذا الأسلوب سيدات كثيرات يحملن اطفالا حديثى الولادة ، ليسوا أولادهن و لكنهن يستأجرنهم من أجل التسول .. ودرأ لعطف بعض المواطنين الطيبين .

ونستخلص مما سبق أن ظاهرة التسول متعددة العوامل . وأن بعض هذه العوامل عبارة عن رواسب قديمة بالية موجودة فى مجتمعنا بسبب وجود ظاهرة التخلف الثقافى فيه . وأن هذه الرواسب لا يمكن أن يقرها الدين أو العلم أو قيم المجتمع الاشتراكى الذى نبنيه . وهى ، وغيرها، بعض التحديات التى تواجه القائد الاجتماعى الثائر فى مجتمعنا الثائر . وستظل تشكل المصاعب أمامه حتى تزول .. فنحن نؤمن بأن بقاء هذه الرواسب ، وغيرها ، فى مجتمعنا حتى الآن لن يدوم . فمنذ قيام ثورتنا المباركة نعلم أن الجهود تلو الجهود تبذل للحد من تأثيرها . فالدولة

تنشر العلم والعرفان وتشجع البحث العلمى وتكفله وترعاه ... والقيم الجديدة تزدهر فى مجتمعنا الجديد .. القيم الخاصة ببعض العـــلاقات الاجتماعية . وهى ستحل قطعا محل بعض القيم القديمة التى كانت تحدد هـذه العلاقات . والكاتب يرى .. ولعل القارىء أن يفعل مثله .. أن أهم هذه القيم . القيم الاجتماعية الجديدة ... هى قيمة العمل،وقيمة تكافؤ الفرص،وقيمة احترام المكانة المكتسبة، فضلا عن قيمة العلم .. الذى هو السلاح الذى يحقق النصر الثورى ..

٣ — تطور الاسرة فى مجتمعنا المتطور

منذ اللحظات الأولى للثورة حتى الآن والشعب بقيادته الواعية يبنى النظام الاجتماعى الجديد للحياة . وسيظل يبنى حتى يتحقق « خلق المجتمع الذى تتكافأ فيه الفرص وتذوب فيه الفوارق بين المواطنين بلا استغلال ولا احتكار ولا اقطاع » ، وحتى يتحقق الرخاء لمواطنينا وترسى دعائم النهضة والعزة لجمهوريتنا الصاعدة .

ومعنى هذا أن مجتمعنا منذ اللحظات الاولى للثورة حتى الآن ، وحتى بعد الآن ، فى طريقه إلى تغير سريع . وذلك لأن جميع العوامل ، عوامل التغير ، ثقافية كانت أو غير ثقافية تعمل فيه باستمرار وفى سرعة . ولا شك أنه سيترتب على كل ذلك بعض الآثار الاجتماعية .

وهذه الآثار الاجتماعية قد أدت وستؤدى حتما إلى بعض التغيرات فى البناء الاجتماعى وفى الوظائف الاجتماعية لمجتمعنا .

والوحدات والمنظمات الاجتماعية ، كالأسرة والمؤسسات السياسية والاقتصادية والتربوية والدينية والطبقات والجماعات التى تمثل أصحاب مصالح معينة . . تشكل فى العادة ، البناء الاجتماعى للمجتمع . ولكننا نلاحظ أن الأسرة ، كاحدى الجماعات الاجتماعية ، من أهم هذه الجماعات . فهى الوحدة الاجتماعية الاساسية التى تنشأ عن طريق ترابطها التجمعات الإجتماعية التى يكون التعاون الواعى أساس وجودها مثل الطبقات والمدن . . وذلك لأن الاسرة ، أولا وقبل كل شىء ، هى وحدة لنشاط اجتماعى لاشخاص يعيشون معا فى تفاعل مستمر ، وفى بناء حضارى معين وتقوم بسد حاجات إنسانية معينة .

ونلاحظ ، أيضا ، أن الاسرة موجودة فى كل مجتمع ، ويندر أن يفلت منها الطفل العادى فى أى جزء من أجزاء العالم . وذلك على الرغم من اختلاف العادات التى يمارسها أعضاء هذه الوحدة الاجتماعية الاساسية من مجتمع لآخر .

وإذا تيسر لنا أن نعتبر الاسرة وحدة إجتماعية أساسية فى المجتمع ، فهى أيضا ، فى مضمونها الاجتماعى ، بنـــاء ذو تكوين معين مسئول عن عدد من الوظائف الإجتماعية والبيولوجية .

وإذا عالجنا موضوع بناء الاسرة أو تكوينها ، من حيث تطوره وما يتوقع له من تغير فى ضوء ظروف مجتمعنا المتغير ، نلاحظ بعض الملاحظات ...

فمن حيث تكوين الاسرة (أو نطاق الاسرة) نلاحظ أنه أخذ يضيق شيئا فشيئا . حتى أصبحت الاسرة لا تشمل ألا زوجا وزوجة ومن يعولان من أبناء. وهذا ما يمكن أن نطلق عليه « الاسرة الفردية » . وبدأ هذا النوع من الاسرة فى المدينة . وهو يتكاثر على الدوام كلما اتسعت رقعة الحضر فى مجتمعنا . وهذه الرقعة تتسع ويزداد اتساعها على مر الايام .

ونلاحظ أنه بظهور الاسرة الفردية فى مجتمعنا اختفاء أنواع أخرى من الاسر وظهور معالم أنواع أخرى من الاسر الجديدة ...

فنجد ، مثلا ، وفى وضوح ، بداية اختفاء « الاسرة المركبة » وهى الاسرة التى تتكون من أسرتين أو أكثر من الاسر الفردية وتجمعها صلة القربى ويعيش أعضاؤها فى مسكن واحد . ونجد هذا النوع فى الوقت الحاضر فى الريف وفى بعض أحياء المدينة (مثل الاسر التى تكون فى الغالب قد نزحت من الريف إلى المدينة ولم يمر

على ذلك أمد طويل) . وهناك نوع آخر من الاسر بدأ يتلاشى كذلك ، هو « الاسرة الممتدة » ، وإن كان لا يزال موجوداً في مجتمعنا ولكن خارج نطاق المدينة في معظم الاحيان . وتتكون الاسرة الممتدة من عدد من الأسر الفردية على صلة من القربى ، وهي عادة الاسر الفردية للرجل وأبنائه أو المرأة وبناتها التي يعيش أعضاؤها في مسكن واحد كبير أو في عدة مساكن صغيرة متقاربة .

وكلما ازدادت نسبة وجود الاسر الفردية في المجتمع ، أو بمعنى آخر كلما اختفت الاسر المركبة والاسر الممتدة من المجتمع ، نتوقع ظهور نوعين واضحين آخرين من الاسر . وذلك من حيث وظائفها الإجتماعية العامة . فنجد الشخص العادي ، مثلا ، من حيث مكانته الإجتماعية في محيط الاسرة كوحدة ، يتحتم عليه أن ينتمي في خلال حياته إلى أسرتين: الاسرة الأولى هي ما يمكن أن نطلق عليها « أسرة التوجيه » ، وهي تتكون من أبويه واخوته واخواته ، والاسرة الثانية هي «أسرة التناسل » وهي تتكون من زوجته وأبنائه . ونلاحظ أن هاتين الاسرتين تختلفتان من حيث الوظائف والعلاقات ، وإن تشابهتا من حيث التكوين . كما يلاحظ أنهما يتجهان نحو الانفصال حيث يتوقع ضعف الروابط بينهما بمرور الزمن .

ولا بد من التنويه بأن ظهور الاسرة الفردية موجود في مجتمعنا منذ زمن ليس بالقصير . ولكن الملاحظ هو ازدياد نسبته على الدوام ، ونمو الاتجاهات الإجتماعية نحوه ، فضلا عن ملاحظة سمة السرعة المذهلة التي يتحقق بها .

وكما تطور تكوين الاسرة على مر الايام نلاحظ أن وظائفها الإجتماعية قد تطورت كذلك . فالاسرة في مبدأ نشأتها كانت تقوم بمعظم الوظائف الإجتماعية

من اقتصادية ودينية وخلقية وقضائية وتربوية وترويحية . ونجد الكثير من هذه الوظائف تمارسها الاسر المركبة والاسر الممتدة وخصوصا فى المناطق الريفية حتى وقتنا هذا . ولكن إذا انعمنا النظر فى الوظائف الإجتماعية فى محيط الاسر الفردية نجد أن أغلب الوظائف الإجتماعية المشار اليها قد انتزعت منها . وهذا يعنى أن الصلات الاسرية (أو العائلية) لم تعد تتحكم فى البناء الإجتماعى ، وأصبح عدد كبير من الوظائف الإجتماعية التى كانت الاسر فى الماضى تقوم بها من قبل تقوم به بعض الاجهزة الاخرى فى قطاعات البنـــاء الإجتماعى . وهـذا يعنى أن الاسرة (أى الاسرة الفردية) قـــد أصبحت أكثر تخصصـا من ذى قبل .

وقد لاحظنا من قبل أنه كلما ازدادت نسبة وجود الاسر الفردية فى المجتمع ، أو بمعنى آخر كلما اختفت الاسر الممتدة من المجتمع ، توقعنـــا ظهور نوعين واضحين آخرين من الاسر الفردية هما « أسرة التناسل » و « أسرة التوجيه » . وهما أسرتان مختلفتان من حيث الوظائف والعلاقات ، وإن تشابهتـــا من حيث التكوين ، وهما يتجهان نحو الانفصال حيث يتوقع ضعف الروابط بينهما بمرور الزمن .

ونحن نرى أن أهم وظائف أسرة التناســـل تنحصر فى تنظيم الاشباع الجنسى بصورة يقرهـا المجتمع ، وحفظ النوع البشرى عن طريق انجـاب الاطفال . أما مهمة القيام بعملية التنشئة الإجتماعية للاطفال أى أعدادهم للحياة أعضاء صالحين فى المجتمع الذى ولدوا فيه ، فهى أولى مهام أسرة التوجيه . فهى بحكم تكوينها تحتوى على جيلين يشتركان معا فى معيشة واحدة . فالزوجان يكونان جيلا

سابقا ، والاطفال يكونون جيلا لاحقا . ويعلم الجيل السابق الجيل اللاحق وينقل اليه النماذج الحضارية والثقافية المختلفة التى توجد فى المجتمع . فالأطفال يدربون أول ما يدربون فى الأسرة على عمليات الأكل والاخراج ومواجهة الألم والكلام والنظافة واستعمال الملابس وادوات الزينة فضلا عن عمليات التفاعل الإجتماعى المتعددة .

وجل الأطفال يولدون عادة فى أسر توجيه سواء كانت أسر فردية أو غير ذلك . ولكن يلاحظ كما سبق القول أن معظم أسر التوجيه وخصوصا فى المناطق الحضرية هى أسر فردية .

وكذلك يمكن القول بأن جل أعضاء المجتمع البالغين ينتمون إلى أسر التناسل .

ومعنى هذا اننا نتوقع وجود أطفال لا يولدون فى أسر توجيه (الأطفال غير الشرعيين) وكذلك وجود أعضاء بالغين لا يتزوجون لسبب أو لآخر بعض الاشخاص غير المنتمين) . وقد يزداد عدد هؤلاء وهؤلاء بمرور الزمن .

ونحن نرى أنه بظهور الأسر الفردية فى مجتمعنا لا يمكن أن نتوقع أن تقوم وحدها بعملية التنشئة الإجتماعية للاطفال . . أى الأطفال الذين ولدوا فى كنفها . حيث تكون أعباء الحياة الجديدة عديدة ومتكررة ، وما يترتب على ذلك من توترات نفسية وعدم إستقرار .

ونحن نلاحظ أن أجهزة إجتماعية أخرى وجماعات إجتماعية أخرى تشارك أسرة التوجيه الفردية فى عملية التنشئة الإجتماعية للأطفال . ومن الامثلة على ذلك

الجيرة ، والمؤسسات الدينية ، والمدرسية ،والمؤسسات الترويحية ، فضلا عن أجهزة الاعلام المتعددة

وفى ضوء الملاحظات السابقة يظهر أكثر من علامة إستفهام . وانى اتجاسر واحاول أن أضع النقط فوق الحروف . وأحدد مجالات تساؤلى فى الموضوعات الآتية :

أولا : ما موقفنا ازاء تيار ازدياد الاسر الفردية ؟ هل نوقف هذا التيار ؟ وهل إذا أردنا ذلك نستطيع ؟ هل ننظم تدفقه ؟ وهناك سؤال اخير جدير بأن يكون السؤال الأول وهو هل نحس بهذا التيار ؟ واذا كانت الاجابة على هذا السؤال بالايجاب هل حاولنا التعرف على مداه ومجالاته عن طريق الاحصاء والبحوث ؟

ثانيا : ماذا نتوقع من آثار للتكوين الجديد لأسرنا فى مجتمعنا الجديد ؟ هل ستتغير اساليب اختيار الزوج أو الزوجة ؟ هل يصاحب هذا التكوين الجديد وجود تناقض أو صراع بين المعايير الثقافية أو المعايير السلوكية فى الحياة الأسرية ، وخصوصا فى مجال الأسر المركبة والممتدة ، ومن ثم نتوقع يسرا فى سبيل مواجهة ظاهرة الثأر مثلا ؟ ماذا سيكون من أمر العلاقات بين الزوج والزوجة وبين الأب والابن والام والبنت وبين هؤلاء جميعا ؟ ماذا سيكون من أمر الادوار الإجتماعية التى يؤديها أعضاء الاسرة عادة ؟ ماذا سيكون من أمر دور الحماة ؟ واخيراً هل سيكون تصدع الاسرة الفردية ، من حيث التركيب ، سهلا بسبب صعوبة وجود الأب البديل (الجد والعم والخال مثلا) أو صعوبة وجود الأم البديلة (الجدة والعمة والخالة مثلا) اذا ما فقدت هذه الاسرة الاب

أو الأم بسبب الموت أو الهجران أو الطلاق أو إذا مرضا أو مرض احدهما بمرض مزمن ؟

ثالثا . ماذا نعرف عن الاطفال غير الشرعيين ؟ هل يزداد عددهم أو ينقص؟ ماذا اعددنا لمواجهة الزيادة المتوقعة وخصوصا فى نطاق المدن الصناعية التى تنشأ والتى يزداد عددها على مر الأيام (١) ؟

رابعا : ماهى السياسة الخاصة بالنسل ؟ هل يترك كما هو ؟ هل ينظم ؟ كيف ننظمه ؟

خامسا : يقول بعض الناس أن عدد الاشخاص غير المنتمين فى المجتمع يزداد فى المجتمعات المتغيرة ، هل درس موضوع هؤلاء فى مجتمعنا ؟ هل يستحق الدراسة ؟ ما مدى خطورة وجود هؤلاء الناس فى المجتمع ؟ ماذا اعددنا لمواجهة هذا الموقف ؟

سادسا : ماهى أهداف عملية التنشئه الاجتماعية فى مجتمعنا الجديد ؟ هل درست هذه الأهداف ؟ هل رسمت الخطط الواعية المنسجمة لتحقيقها . ما هى الأجهزة الإجتماعية الأخرى والجماعات الإجتماعية الاخرى التى نرى وجوب إشتراكها مع أسر التوجيه الفردية للقيام بهذه المهمة الخطيرة ؟ هل وضعت البرامج ورصدت الاموال ونسقت الجهود حتى نخرج المواطن الإشتراكى الجديد ، الذى ينمو دائما نموا صحيا ، ويحب الخير والكرامة الإجتماعية ، والذى يستطيع أن يواجه قوانين السلوك العامة ، ويستجيب للمواقف الانسانية المتعددة إستجابة

---

(١) لقد ثبتت زيادة الاطفال غير الشرعيين فعلا وظهر انها زيادة مطردة . أنظر : درويش محمد درويش المنزلاوى : دراسة اجتماعية لمشكلة الاطفال غير الشرعيين (غير منشورة) اشراف سيد عويس ، ١٩٦٣ .

سليمة ، والمدرب على فن الحياة الإجتماعية ، والذى يستطيع أن يهنأ بالكفاح وبالعمل وبأداء الخدمات العامة ؟

ومهما يكن من الامر . . فان الكاتب واثق من أن هذه الاسئلة قد أثيرت من قبل ، وقد عرضت من قبل ، وقد اجيب على بعضها . . بل على الكثير منها ولا تضير اثارتها مرة ومرة . حتى تكون دائما فى نطاق تفكيرنا ، ونعيد النظر فيها ، ونقلب وجوه الرأى فى مضمونها . . ومما لاشك فيه فانالخدمة الإجتماعية بمفهومها الثورى ، لها دورها القيادى ، مع غيرها من الادوار القيادية فى المجتمع، فى مواجهتها على أسس سليمة دائما ، ثورية ، تتفق مع جلال الثورة التى قام بها الشعب تحت لواء قيادته الرشيدة ، وما زال يقوم بها ، منذ يوليو عام ١٩٥٢ .

٤ ـ مكانة المرأة الاجتماعية

يرى البعض فى المرأة مالا أتصوره . يرى هؤلاء فى المرأة ، عادة ، عواملها التكوينية فحسب . وما هذه العوامل ، فى رأيى ، سوى جزء من أجزاء شخصيتها الدينامية ، فهناك العوامل الاجتماعية والعوامل النفسية التى تكمل الصورة الحقيقية لهذه الشخصية .. ويرى هؤلاء ، عادة ، دورا واحدا من الأدوار الاجتماعية التى تستطيع المرأة أن تقوم بها فى المجتمع .. أى مجتمع .. أقصد دورها البيولوجى الاجتماعى فحسب ، ولا يرون أدوارها الاجتماعية الأخرى التى قد تؤديها فى محيط الأسرة مثل دورها كمدبرة شئون البيت .. ودورها كأم .. ودورها كصديقة لابنائها وبناتها .. ودورها كزميلة لزوجها .. وينسون فى غمار تعصبهم الاجوف أدوارها الإجتماعية العامة ، فى خارج محيط الأسرة ، الادوار العديدة التى تستطيع أن تشترك فى أدائها ، جنبا الى جنب ، مع الرجل .. فى كل المجالات .. فى سبيل بناء المجتمع . فالمرأة لا يمكن أن تكون امرأة فحسب .. أقصد لا يمكن أن يكون مفهومها مفهوم المرأة بمعناه الضيق .. بمعناه البيولوجى الاجتماعى . ولكن قد تكون المرأة امرأة ذات شخصية اجتماعية .. أقصد قد تكون لها أدوار إجتماعية عديدة دينامية متداخلة تؤديها فى المجتمع الذى تعيش فيه . والرجل كذلك قد يكون له عدد كبير ومتباين من الأدوار الإجتماعية . ولا شك أن هناك أدوارا إجتماعية لا يقدر على أدائها الرجال . فعلى الرغم من أن الرجل قد يؤدى الوظيفة الإجتماعية للام فى تنشئة ابنه ، فهو لن يستطيع أن يلد ابنا .

والشخصية الإجتماعية للمرأة تزداد نموا كلما نمت جسميا ونضجت عقليا وعاطفيا ، وكلما نمت خبراتها الإجتماعية .. أى كلما زادت علاقاتها الاجتماعية ، واتسعت مجالاتها .. أى كلما تعددت أدوارها الإجتماعية التى تؤديها للمجتمع الذى تعيش فيه . ونلاحظ أنه كلما ازداد تعدد الأدوار

الإجتماعية عند المرأة كلما زادت مكانتها الإجتماعية ارتفاعا . . وأن عكس ذلك صحيح . . أى أن هذه المكانة الإجتماعية تنخفض ويقل خطرها وتضعف قيمتها الإجتماعية كلما قلت أدوار المرأة الاجتماعية التى تؤديها للمجتمع الذى تعيش فيه.

وقد تذبذبت مكانة المرأة الإجتماعية ، إرتفاعا وانخفاضا ، على مر الأيام . حدث ذلك فى مجتمعنا . . كما حدث ذلك فى المجتمعات الاخرى . نرى ذلك واضحا عندما كان الانتساب للأم هو النظام السائد . . فى ظل النظام الأموى . حيث كانت أدوار المرأة الإجتماعية عديدة . . كان التقدير الذى يضمره الابن لأمه ، فى مجتمعنا القديم ، مثلا ، من عظم الشأن بحيث نجد كثيرا فى مقابر الدولة القديمة أم المتوفى فى العادة ممثلة الى جانب زوجته ، على حين تهمل صورة والده فى أغلب الأحيان(١) . ثم بمرور الزمن ، وتغـيير الاوضاع الإجتماعية فى المجتمع ، فى مجتمعنا . . وفى غيره من المجتمعات ، تقلصت أدوار المرأة الإجتماعية . . وانخفض شأن المرأة تبعا لذلك ، وأصبحت مجرد عبدة لشهوات الرجل ، ومجرد آلة تلد الأطفال ، وأنهى الانتساب للام . وكان هذا الانهاء هو الهزيمة التاريخية العالمية للجنس النساقى . فقد سيطر الرجل على السلطة فى داخل الأسرة وفى خارجها . وظهر الوضع المنحط للمرأة فى صور عديدة . . منها صورة الرق . . ومنها صورة تعدد الزوجات . . ومنها صورة البغاء . وفى داخل الأسرة لم تكن المرأة ، فيما

---

(١) أدولف إرمان وهرمان رانكة : مصر والحياة المصرية فى العصور القديمة : ترجمة عبد المنعم أبوبكر ومحرم كمال ، القاهرة ، مكتبة النهضة ، صفحتا ١٦١ ، ١٦٥ .

أنظر أيضا :

سيد عويس : من ملامح المجتمع المصرى المعاصر : ظاهرة إرسال الرسائل الى ضريح الامام الشافعى ، القاهرة ، دار الشعب ، ١٩٦٥ ، صفحة ١٤٤ .

عدا وظيفتها فى انجاب الأطفال ، سوى خادمة . . وكانت محرومة تمـــاما من الاشتراك فى الشئون العامة . . إجتماعية كانت أو سياسة . . أو حتى رياضية . .

ولا يغرب عن بال الكثير منا الظاهرة المزرية التى كانت متفشية فى مجتمعنا الى عهد غير بعيد . . أقصد ظاهرة « الحريم » . . وهى ظاهرة كانت ترمز الى المدى الذى وصلت اليه نوعية انحطاط مكانة المرأة فى ذلك العهد . . وهى نوعية تأباها النفس الإنسانية . . وتبين فى وضوح استغلال الإنسان لأخيه الإنسان . . أقصد إستغلال الرجل للمرأة . . استغلال نصف المجتمع للنصف الآخر .

ولم يكن مجتمعنا ، وحده ، مصابا بظاهرة الحريم . فقد كانت هذه الظاهرة ، وما زالت ، موجودة فى المجتمعات الأخرى . . المجتمعات الشرقية والمجتمعات الغربية على السواء . وان تعددت صورها. فالحريم الشرقى بمفهومه المعروف يقابله فى المجتمعات الاخرى . . أقصد المجتمعات الغربية صورا أخرى من هـذا الحريم . . ففى مجتمع كالمجتمع الأمريكى المعاصر ، مثلا ، نجد هذه الصورة ممثلة فى مدينة السينما فى هولوود . . وفى المجتمع الدانيماركى والمجتمع الفرنسى والمجتمع الانجليزى . . وغيرها من المجتمعات الغربية . . نجـــد نفس الظاهرة الامريكيه فيها . . كما نجد ، أيضا ، صورا أخرى فى هذه المجتمعات كصورة الانحراف المنظم ممثلا فى الأندية المنظمة أو غيرها المنحرفات من النساء وحتى للمنحرفين من الرجال . .

وقد وجدت ظاهرة الحريم فى مجتمعنا على الرغم من القيم الإجتماعية النظرية التى كان الدين الإسلامى . . دين المجتمع السائد . . ، ولا يزال ، يدعو اليها عندما يتحدث عن المرأة . والدين الإسلامى ، كما هو معروف ، هو دين الثورة على الوأد . . أقصد وأد البنات . فمن تعاليم هذا الدين مشروعيه الزواج . . فالزواج فرض عين على كل مســـلم قادر . ومن تعاليم هذا الدين ان اعتبر

النساء شقائق الرجال ، وان جعل للزوجة على زوجها حقوقا . . فمن حق المرأة أن تختار زوجها ، وانها بزواجها لاتفقد اسمها ولا شخصيتها المدنية ولا أهليتها فى التعاقد ولا حقها فى الملكية ولا يضيع من استقلالها المالى شىء . ومن حقوق المرأة على زوجها العشرة بالمعروف والعدل وحقوقها الجنسية . ومن حق الزوجة على زوجها الانفاق عليها . . واخيراً وليس آخرا من حق الزوجة على زوجها أن يقدم لها مهرا . ومن تعاليم هذا الدين ، أيضا ، أن جعل للزوج حقوقا على زوجته . ومن حقوق الزوج على زوجته الطاعة والقوامة على الاسرة . . وتكون هذه القوامة ، بالضرورة ، محدودة ، ومن حقوق الزوج على زوجته تدبير البيت وصيانته والطلاق عند الضرورة وتعدد الزوجات بشروط . . واخيراً وليس آخراً من حق الزوج على الزوجة التهذيب عند العصيان .(١)

وعلى الرغم من الإختلاف الكبير على تفسير هذه التعاليم الإسلامية . . فهى تعاليم تسندها قيم إجتماعية تأبى ، بالضرورة ، وجود ظاهرة مثل ظاهرة الحريم. ولكن هذه القيم الإجتماعية نظرية . . والتعاليم التى تسندها القيم الإجتماعية النظرية شىء . . وممارسة هذه التعاليم فى الواقع الإجتماعى الحى شىء آخر . إن ظروف مجتمعنا الإجتماعية والاقتصادية فى عصر الحريم قد خلقت ، بالضرورة ، ظاهرة الحريم . ومع ذلك فان مكانة المرأة فى مجتمعنا قد تطورت منذ ذلك الزمان الاغبر . أصبحت مكانة المرأة الإجتماعية قبل عهد قاسم أمين غيرها بعد

(١) حمزة احمد عوض : الحقوق الزوجية فى الاسلام ، (المجلس الأعلى للشئون الاسلامية ، دراسة غير منشورة ١٩٦٢) .

ذلك . وأصبحت مكانتها الإجتماعية قبل عام ١٩١٩ غيرها بعد ذلك .. وقبل ثورة عام ١٩٥٢ نجد أن مكانة المرأة الإجتماعية غيرها بعد ذلك . ذلك لأن ظروف مجتمعنا قد تطورت فى هذه المراحل تطورا زاد من مكانة المرأة الإجتماعية إرتفاعا . فمن مجتمع إقطاعى تحول مجتمعنا إلى مجتمع رأسمالى .. ومن مجتمع رأسمالى يتحول مجتمعنا ، فى الوقت الحاضر ، إلى مجتمع إشتراكى .. وعندما تصفى علاقات الإنتاج الرأسمالى ، تصفية نهائية نتوقع وجود جيل من الرجال لا تسنح له الفرص ابدا لشراء إستسلام المرأة ، سواء بالمال أو بأية وسيلة أخرى من وسائل السيطرة الإجتماعية . كما نتوقع ، أيضا ، وجود جيل من النساء لا يضطرون أبداً للاستسلام لأى رجل لأى سبب سوى الحب الإنسانى الحقيق . هذا ما نتوقعه ، ونحن متفائلون ، أن يكون . نحن لا نقول هذا الكلام عبثا .. فالإنتساب للأم ، كما سبق القول ، كان سائدا فى مجتمعنا .. وفى غيره من المجتمعات وكان الأقارب من جهة الأم فى ضوء هذا النظام هم الذين يرثون من يموت من القبيلة حتى تبقى الملكية داخل القبيلة وعندما تغيرت الظروف الإجتماعية أى .. عندما حلت الملكية الفردية محل الملكية الجماعية ، وظهرت المصلحة فى الميراث ظهرت العائلة المنتسبة للأب .. ثم سيطر الرجل على السلطة فى داخل الأسرة وفى خارجها .. وظهر الوضع المنحط للمرأة بصوره الحديثة .

ولكن يبدو لنا أن علاقات الإنتاج الرأسمالى ، فى مجتمعنا الحالى ، لم تصف تصفية نهائية حتى الآن . فالرواسب البالية تخيم لاتزال على مناخ مجتمعنا الثقافى .. ومنها الرواسب التى تتعلق بمعاملة المرأة العربية . فهى .. أى الرواسب .. فى عقول الكثير منا تنسج خيوطها كالعنكبوت لا تزال .. فمفهوم المرأة عند العديدين من الرجال ، فى مجتمعنا ، مفهوم منحرف ، ومفهوم الرجل عند

العديدات من النساء العربيات مفهوم منحرف كذلك . وصور الانحراف فى كلا المفهومين تبدو واضحة فى الكثير من الأمور . تبدو عند إختيار المرأة للرجل لتتزوجه وعند إختيار الرجل للمرأة ليتزوجها .. تبدو عند المغـــالاة فى طلب المهور .. تبدو عند تصدع الاسرة العربية بالطلاق دون ما مبرر .. تبـدو فى تعدد الزوجات دون ما شروط .. تبدو فى حجم جناح الأحداث واتجاهاته . وهى .. أى صور الإنحراف فى كلا المفهومين تبدو جلية واضحـــة فى الاتجار بالمرأة .. عن طريق تكوينها البيولوجى .. نجـــد ذلك فى الاعلانات .. فى اعلانات الافلام ، وفى الاعلان عن الروائح العطرية وعن « احمر الشفاة » .. وحتى عن شراب « الكوكا كولا » .. نجد هذه الاعلانات فى الجريدة اليومية .. وفى الصفحة الأولى للمجلة الاسبوعية .. وعلى الشاشة الكبيرة .. وعلى الشاشة الصغيرة على السواء . ويتفنن أصحـاب هذه الاعلانات ماشـــاءت لهم عقولهم المملوءة بخيوط الرواسب البالية التى تتعلق بمعاملة المرأة أن تفعل .. تجـــدهم يتملقون شهوات الرجل فيرسموا جسد المرأة ، وهو عنصر واحد من عناصر مكونات شخصيتها الإجتماعية ، عاريا مرة أو شبه عار مرة أخرى ، أو يرسموا جزءا من أجزائه ، فى بعض الأحيان . وهم إذ يفعلون ذلك يروجون لبضاعتهم عن طريق الترويج لجسد المرأة دون ما حياء . أو تجدهم يستخدمون الرموز ، فى بعض الأحيان الأخرى ، ولهم من التفاحة المشهورة .. تفاحة حواء .. مجـال وأى مجال . وهم إذ يفعلون ذلك يؤكدون ، بوعى أو بغير وعى، رمز الخطيئة .. خطيئة المرأة ، . فى كل لحظة . وكأنها خطيئة لم تغفرها لها رحمة الله وغفـرانه ، بل هى خطيئة أبدية يذكرها لها الرجل ، وهو شريكها ، فى كل حين .. ويحاول أن ينال منها عن طريقها على الدوام .

وكما تنال الاعلانات ، بأنماطها وصورها ، من المرأة .. يفعل ذلك ، تماما

ما نجده فى مضمون بعض القصص والتمثيليات .. المكتوبة منها .. أو المعروضة على الشاشة الكبيرة أو على الشاشة الصغيرة أو على المسرح. يحدث ذلك فى مجتمعنا كما يحدث ذلك ، ايضا ، فى المجتمعات الأخرى .. والأمثلة على ذلك كثيرة .

ومن صور الاتجار بالمرأة .. أقصد الاتجار بعواملها التكوينية .. صورة ظاهرة البغاء . والبغايا من النساء ، كما يعلم القارىء يسمون أحيانا ، بحق أو دون ما حياء ، بالرقيق الأبيض . وظاهرة البغاء ، كما يعلم القارىء ، أيضا ، ظاهرة إجتماعية قديمة قدم الدهر .. قديمة قدم مهنة الكهانة ومهنة الطب ، وتوجد فى كل المجتمعات . وهى كظاهرة إجتماعية ، أيضا ، أنماط عديدة . توصم بها النساء كما يوصم بها الرجال على السواء . ولكن يلاحظ أن حجم هذه الظاهرة يكون ، فى محيط النساء ، عادة ، أكبر منه فى محيط الرجال . وقد وجدت ظاهرة البغاء فى مجتمعنا .. وهى موجودة فيه حتى الآن لا تزال .. كانت هذه الظاهرة فى مجتمع ما قبل الثورة معترفا بها رسميا حتى عام ١٩٤٩ . وعلى الرغم من الغاء البغاء العلنى فى مجتمعنا فقد حل محله البغاء السرى . وينتشر الأخير بكثرة فى المناطق الحضرية فى المجتمع . فقد كان عدد البغايا المرخصات فى مدينة القاهرة ، مثلا ، قبل الغاء البغاء العلنى أى فى عام ١٩٤٩ نحو ٥٠٠ بغى .. وارتفع عدد مرات القبض على البغايا ، فى ضوء تطبيق القانون رقم ٦٨ لسنة ١٩٥١ الخاص بمكافحة الدعارة ، فى خلال عام واحد (١٩ أكتوبر ١٩٥٧ إلى ١٨ أكتوبر ١٩٥٨) ، نحو ٢٣٢٩ مرة . وكان عدد البغايا المقبوض عليهن فى خلال نفس العام ١٠٥٥ بغيا . أى أن عدد البغايا المعروفات لرجال الشرطة فى مدينة القاهرة قد تضاعف فى أقل من عشر سنوات . ويلاحظ أن هذا العدد يمثل الحالات المنظورة فحسب . ولا يخفى على القارىء وجود حالات أخرى غير

منظورة عديدة . . وهى الحالات التى لم يكتشفها رجال الشرطة . (١)

ومع ذلك فاننا نعترف بأن البغاء لم يكن دائما ، على مدى العصور ، وبالا على مكانة المرأة الإجتماعية . فى ضوء سجلات التاريخ نجد أن البغاء كان سببا فى إرتفاع هذه المكانة . حدث ذلك فى المجتمع الاغريقى فى فترة من الفترات التاريخية التى مر بها ذلك المجتمع .. فى ايام ازدهار مدينة أثينا ، حيث تفشى البغاء وكانت الدولة تشجعه أو على الأقل تتغاضى عنه . وكان على المرأة الأثينية أن تصبح بغيا أولا لكى تصبح زوجة ! واذا كانت الاوضاع الإجتماعية للمجتمع الاثينى قد سمحت بذلك . . فان القيم الانسانية تنفر ، بالضرورة ، من هذه الحقائق . . وترى أن ظاهرة البغاء ، حتى ولو أصبحت مكانتها ما كانت عليه فى مجتمع أثينا ، أو فى أى مجتمع آخر ، تبرز مدى انحطاط مكانة المرأة الإجتماعية فى المجتمع . فالمرأة البغى هى امرأة تمارس البغاء كوسيلة للتعيش . . أى انها تؤدى خدمة الاشباع الجنسى لعميلها نظير أجر معلوم . والمرأة البغى ، أولا وقبل كل شىء ، موضوع إستغلال شائن . . إستغلال العملاء . . واستغلال الوسطاء على السواء . وهى ، فى نظر جميع هؤلاء ، مجرد سلعة . . سلعة يجدون فى طلب خدماتها أحيانا . . أو يدعون هذه الخدمات أحيانا أخرى ... سلعة يعز ثمنها مرة ... ويرخص هذا

---

(١) أشرف الكاتب على دراسة حالات البغايا فى مدينة القاهرة بعد صدور الأمر رقم ٧٦ لسنة ١٩٤٩ الخاص باغلاق بيوت العاهرات . وكان عددهن فى ذلك الحين نحو خمسمائه . أنظر أيضا : البغاء فى القاهرة .. من منشورات المركز القومى للبحوث الاجتماعيه والجنائية ، القاهرة ، ١٩٦١ ، صفحة ٧ .

الثمن ويتزل إلى الحضيض مرات .. (١)

ومن صور البغاء ما نجده فى الحانات وفى صـــالات الرقص .. وفى بعض الأندية الليلية ..وحتى فى الفنادق. حيث تكون المرأة موضوع إستغلال أصحاب هذه الحانات وهذه الصالات وهذه الأندية والفنادق . . يستخدمونها فى سبيل تحقيق مآربهم .. ولا يهمهم من أمر إنسانيتها شيئا . فهى مجرد أداة . . مجـرد سلعة تدر الربح الوفير . . ترى هـؤلاء المستغلين يفعـلون ذلك بإسم الفن أو بإسم الترويج لصناعة السياحة ، أحيانا ، أو بإسم المدنية . . أقصـــد المدنية البرجوازية الهزيلة .. احيانا أخرى .

وقد نجد بعض المبررين من الناس من يقول إن وجود ظاهرة مثل ظاهرة البغاء بأنماطه العديدة ، يعنى بالضرورة ، وجود وظيفة إجتماعية لها . وينسى هؤلاء أن الوظائف الإجتماعية أنواع .. منها الضار ومنها النافع .. ومنها ما ليس كذلك ومع ذلك نجدهم يصرون ، فى انانية ، على نفع ظاهرة البغاء . فهى فى نظرهم تدعم كيان الأسرة .. فنى البغاء متصرف للطاقات الجنسية فى مجال بعيد عن الأسرة المصونة ، مما يحفظ لها أعراضها وبالتالى كيانها . . وتراهم ، أيضا ، يؤكدون أن فى البغاء فرصة للتجارب الجنسية قبل الزواج . . وهذه التجارب ، فى رأيهم ، مفيدة للشبان الذين على وشك الزواج .

ونحن فى ضوء مبادىء مجتمعنا الاشتراكية لا يمـكن أن يتصور أن نوافق على هـذه الآراء . فهى إن دلت على شيء فانها تدل على منطق الرجل الانانى المتسلط .. الرجل صـاحب السلطـان الزائف . وهو منطق كل رجل يحـاول ،

(١) فردريك انجلز : أصل نظام الاسرة والدولة والملكية الفردية ، سلسلة الفكر الاشتراكى دار الفارابى ، صفحه ٥٧

بوعى أو بغير وعى ، أن يحط من مكانة المرأة الإجتماعية فى مجتمعنا . . بأية صورة من الصور . وهو منطق كل رجل يعامل المرأة فى ضوء مفهوم المرأة بمعناه الضيق . . بمعناه البيولوجى الإجتماعى .. ولا يعاملها كشخصية إجتماعية لها أدوارها الإجتماعية الاخرى الخطيرة ، ولها علاقاتها الإجتماعية العريضة العميقة المثمرة فى المجتمع .

ونحن نقف مع المرأة العربية . . نقف مع كرامتها كانسانة تسهم إسهاما فعالا فى المجتمع . . فى كل مجالاته .. تسهم فى إنتاج المادة البشرية فيه . . وهى مادة لا غنى عنها لأى مجتمع . . وتسهم ، داخل الأسرة وفى خارجها ، بالقيام بأدوارها الإجتماعية العديدة ، فى بناء المجتمع . واذا كان مجتمعنا ، ولا يزال ، فى بعض مناطقه ، وفى محيط بعض جماعاته الثقافية . . يعامل أعضاء الجنسين معا له ثنائية أى أن الرجال لهم معاملة معينة ، والنساء لهن معاملة تخالف معاملة الرجال ، وتكون المعاملة الاولى . . أى معاملة الرجال ، عادة ، متميزة .. وتكون معاملة النساء ، عادة ، فى مستوى الحضيض .. ، فان المواطن الصالح ، فى مجتمعنا الإشتراكى ، أقصد المواطن الإشتراكى .. ، يرفض ، عن إيمان ، هذا النوع من المعاملة . ونحن نرى أن الاعتبارات التى اضطرت النساء إلى قبول وضعهن هذا فى مجتمعنا .. فى بعض مناطقه ، وفى محيط بعض جماعاته الثقافية . . يجب أن تكون فى سبيلها إلى الاختفاء . ولن يتـــأتى ذلك إلا إذا انتهى قلق المرأة ، فعلا ، بشأن كسب عيشها ومستقبل أولادها . عندئذ لا تضطر المرأة إلى قبول خيـــانة الرجل . . وتصبح رغبة الرجل فى الزواج أكثر من رغبة المرأة فى تعدد الأزواج أو تعدد أشباه الأزواج .. أى تصبح المرأة مساوية حقا للرجل .

٥ - الفلاح والعامل فى الميزان

أقصد بالفلاح ، المزارع الصغير الذى يعمل فى الحقل . . ساكن القرية . كما أقصد بالعامل ، الصانع الصغير الذى يعمل فى المصنع . . ساكن المدينة . . والمزارعون الصغار . . والصانعون الصغار . . هم ، كما لا يخفى ، الأغلبية الساحقة لأعضاء مجتمعنا الحالى ، إذ يبلغ عددهم نحو أربعة أخماس سكانه . . هم ، أيضا ، قوام عمليات الإنتاج فيه . وهم ، كذلك ، القوى البشرية التى تستطيع ، إذا ما نظمت ، أن تغير شكل الحياة فى هذا المجتمع تغييرا ثوريا .

وأول خطوة فى سبيل تنظيم هذه القوى البشرية الهائلة هى أن نحاول التعرف عليها . . التعرف على مكونات شخصياتها ، والتعرف على سمات هذه الشخصيات . . أى التعرف على اتجاهاتها نحو الحياة ، ونظرتها للدنيا من حولها ، وذلك فى ضوء دراسة أجهزة قيمها الاجتماعية وعقائدها ومثلها العليا دراسة علمية مازلنا حتى الآن نفتقر اليها . .

وحديثى فى هذا الموضوع ماهو إلا محاولة فى هذا السبيل . وهى محاولة ، بالضرورة ، محدودة . وهى ، حتما ، فى ضوء خبراتى . . وهى خبرات ، أيضا ، محدودة ، وفى ضوء آرائى . . وهى آراء تنبع من هذه الخبرات . سأحاول التحدث فيها عن بعض سمات شخصية كل من الفلاح المصرى العربى المعاصر والعامل المصرى العربى المعاصر . . وأن أبرز ما بينهما من تشابه أو تباين .

ويلاحظ أن الفلاح المصرى العربى المعاصر هو إنسان له تاريخ طويل . . تاريخ قديم مستمر . وهو مع زملائه الفلاحين المصريين العرب يكونون ، فى الوقت الحاضر ، نحو ستة عشر مليونا من أعضاء شعبنا . . هذا الشعب الذى أنتج

أول حضارة إنسانية على وجه الأرض . وكان الفلاح المصرى العربى ، ولا يزال يحمل مشعلها . . ويحفظ تراثها .

والفلاح المصرى العربى المعاصر ، كانسان ، يعيش ، بالضرورة ، فى مجتمع إنسانى له ، أيضا ، تاريخ طويل . . تاريخ قديم مستمر ، وله كذلك ملامح وسمات ويظلله مناخ إجتماعى معين .

وإذا كان الفلاح المصرى العربى المعاصر نتاج هذا المجتمع الإنسانى . . فهو بالضرورة ، أيضا ، يصنع هذا المجتمع . فالفلاح لايعيش فى فراغ . . أى أنه يعيش فى علاقات إجتماعية دائمة . . مثله مثل كل شخص منا . فهو يبدأ حياته . . أول ما يبدأ . . أى عند ولادته ، فى أسرة . . أى فى جماعة . وهو منذ ذلك الحين حتى يصير شخصا بالغا يصبح ، بالضرورة ، عضوا فى العديد من الجماعات الاخرى . وإذا كانت الجماعات . . تصنع الأفراد . . أى تجعلهم أشخاصا . . أى أفرادا ذوى شخصيات . . فان أعضاء كل جماعة يصنعون الجماعة كذلك . فما يقدمه الأعضاء فى الجماعة من قدرات وآراء ومشاعر يحدد ، بالضرورة ، مدى حيوية الجماعة ومدى تحقيق أهدافها . وما تقدمه الجماعة للأعضاء يعتمد، بالضرورة على مستوى قيمة التجربة أو التجارب التى يصنعها الأعضاء ، معا ، كفريق ، فى داخل الجماعة . ويلاحظ أن الجماعات هى قوام المجتمع . . أى مجتمع . والمجتمع الإنسانى الذى يعيش الفلاح فيه هو مجتمع قريته ، وما مجتمع القرية إلا جماعات . . جماعات ذات مصالح ، أو منظمات إجتماعية مثل المنظمات السياسيه والدينية والتربوية والاقتصادية والعائلية . . يظلل أعضاءها مناخ إجتماعى معين . . مناخ إجتماعى قوامه القيم الاجتماعية والعقائد والمثل العليا . .

وإذا كان الفلاح المصرى العربى المعاصر هو إنسان له تاريخ طويل . .

تاريخ قديم مستمر ، ويعيش فى مجتمع إنسانى له ، أيضـا ، تاريخ طويل . . تاريخ قديم مستمر ، فان العامل المصرى العربى المعاصر هو إنسان تاريخه قصـير جدا ، ويعيش فى مجتمع حديث جدا . . بعض أجزائه ، فى الوقت الحالى، لايزال فى دور التـكوين . فقد بدأ الأول رسالته على وجه الأرض ، ملازما لها ، منذ أكثرمن خمسين قرنا، وبدأ الثانى رسالته منذ نحو خمسين عاما فقط .ولازم الأول مجتمع القرية القديم ، كما فعل آباؤه وأجداده ، منذ فجر التاريخ . . وهاجر الثانى منه ، تحت ضغط الظروف الاجتماعية الملحة ، إلى مجتمع المدينة . .

ولـكن يلاحظ أن فئة العمال المصريين العرب ، فى مجتمعنا الحاضر ، هى فئة صاعدة . تنمو على مر الأيام . . كاد أن يتضاعف عددها منذ ثورة يوليو المجيد حتى الآن ، فمن نحو أربعة ملايين عامل أو يزيد فى يوليو ١٩٥٢ أصبح عـــدد العمال الآن نحو سبعة ملايين عامل أو يزيد . . ويلاحظ ، أيضا ، أن نمو عدد العمال فى مستقبل الأيام ، فى ضوء الثورة الاجتماعية التى يواجهها مجتمعنا، سيكون كما كان فى الماضى القريب ، بالضرورة ، على حساب عدد الفلاحين . .

وكما يـكون الفلاح المصرى العربى المعاصر نتاج مجتمع قريته وصانعا لهذا المجتمع . . فان العامل المصرى العربى المعاصر يكون كذلك فى المجتمع الذى يعيش فيه . . مجتمع المدينة . والمجتمعان . . مجتمع القرية ومجتمع المدينة فى الوقت الحاضر ، مختلفان ، هما مختلفان فى ضوء التاريخ . . وفى ضوء اختلاف الظروف الاجتماعية فى كل منهما . . فضـــلا عن اختلاف مظاهر المناخ الاجتماعى الذى يظلل كل منهما . .

فنحن نلاحظ أن مجتمـع القرية أصغر عادة من مجتمع المدينة ، وهو مجتمـع منعزل إجتماعيا . . أى يعيش أعضاؤه عادة فى عزلة ثقافية عن غيرهم من أعضاء

المجتمع الكبير . ويبدو تشابه السمات واضحا بين أعضاء مجتمع القرية . . فى حين أن أعضاء مجتمع المدينة متباينون ، ونلاحظ ، أيضا ، أن الشعور بالانتماء فى محيط اعضاء مجتمع القرية أعمق منه فى محيط أعضاء مجتمع المدينة ، وان الأمية تسود عادة أعضاء هذا المجتمع . ونلاحظ ، كذلك ، أن تقسيم العمل فى مجتمع القرية بسيط وغير معقد . . أى أن اعضاء هذا المجتمع يعملون ما يعمله ، عادة ، الآخرون . وان سلوك اعضاء مجتمع القرية يكون فى ضوء التقاليد والقيم السائدة ، وهذه بدورها تحدد حقوق الاعضاء وواجباتهم . ونلاحظ ، أخيراً ، أن العلاقات الإجتماعية للأشخاص الذين يعيشون فى مجتمع القرية تكون ، عادة ، علاقات الوجه للوجه . . أى علاقات شخصية (١) . وهى فى مجتمع المدينة عكس ذلك . أى هى علاقات إجتماعية ، فى معظم الاحيان غير شخصية . ويعنى هذا أن قيمة الشخص ، قيمته الإجتماعية ، فى مجتمع القرية كبيرة جداً . فهو . . أى الشخص . . إذ يقوم بأدواره الإجتماعية فى استطاعته أن يضر وان ينفع . أى انه يستطيع ان يقف فى سبيل تحقيق رغبات من حوله او ييسرها . أما فى مجتمع المدينة ، فنجد ان قيمة الشخص الإجتماعية ، بسبب طبيعة ظروف الحياة فيها ، ليست كبيرة لأنه فى هذا المجتمع تستبدل بقيمة الشخص ، كشخص ، قيمة أخرى تمثل فى المال بكل صورة ، ذلك لأن العلاقات الإجتماعية فى المدينة علاقات فى الغالب ، كما سبق ان اوضحنا ، غير شخصية ، ومعظمها علاقات ثانوية . والمال فى مجتمع المدينة ، بكل صوره ، يقوم فى الواقع بتحقيق رغبات

---

(1) Robert Redfield : The Folk Sociey, in "Sociological Analysis" by Wilson and Kolb, Harcourt, Brace & Company, New York, 1949, PP. 349 - 366.

الاشخاص الذين يعيشون فيه . وقلة المال تقف ، فى الواقع ، فى معظم الاحوال، حجر عثرة فى سبيل تحقيق هذه الرغبات . واذا كان المال فى مجتمع المدينة علامة من علامات النجاح فى الحياة . فان الحصـــول على النجاح فى مجتمع القرية هو الحصول لا على المال بقدر الحصول على كسب تأييد الاشخاص . أى أن أعضاء العائلة الكبيرة الحجم فى مجتمع القرية أقرب إلى تحقيق النجاح فى الحيـاة من الاشخاص الذين ينتمون إلى عائلة أصغر حجما .(١)

واذا تحدثنا عن بعض سمات شخصية كل من الفلاح المصرى العربى المعاصر والعامل المصرى العربى المعاصر . . يجب أن نأخذ فى الاعتبـار تأثير الظروف الاجتماعية التى يعيش فى كنفها كل منهما فى مجتمع القرية أو فى مجتمع المدينـة على السواء . وعلى الرغم من تباين هذه الظروف الواضح . . فى كل من المجتمعين . . فاننا نؤكد ، دون ما تعميم ، تشـــابه بعض السمات الشخصية عند كل منهما . . فالفلاح المصرى العربى والعامل المصرى العربى شخصان صبوران . يعمل الواحد منهما ، ليلا أو نهارا ، دون ما كلل أو سأم أو ملل ، على الرغم من الظروف غير المواتية التى جابهت كل منهما فى الماضى وأجبرتهما أن يظلا ردحا من الزمن ينتجان أكثر مما يستهلكان . . ومن السمات المتشابهة فى شخصية كل منهما . . نجد التعاون مع الآخرين ، كما نجد الشهامة والعرفان بالجميل والوفاء . وذكاء الفلاح المصرى العربى مثل ذكاء العـامل المصرى العربى أمر مسـلم به وان اختلف المفسرون . والطاعة سمة من سمات شخصية كل منهما ، وكذلك المسالمة . . والتفـاؤل . . والانتماء إلى العائلة وحب الأبناء .

---

(١) مذكرات يوغسلافيه . صفحة ٧٦ .

ومع ذلك فالتباين بين بعض سمات شخصية الفلاح المصرى العربى المعاصر وبين بعض سمات شخصية العامل المصرى العربى المعاصر واضح كذلك . فالفلاح أكثر بساطة من العامل . . وهو أكثر تدينا منه كذلك . والفلاح يعانى من الامية أكثر من العامل كما يعانى من المرض أكثر منه كذلك . وإذا كانت الارض تستعبد الفلاح ، كما تفعل ذلك فصول العام ، فان العامل فى ضوء حياة عمله يسخر الآلة . . فهو الذى يعرف أسرارها ويتحكم فيها ويقودها . وخط التفكير عند الفلاح يختلف عنه عند العامل . . فتفكير العامل يميل نحو التفكير الموضوعى ، أما تفكير الفلاح فهو يميل الى التفكير الحسى . . أى أنه يعتقد فيما يرى ويحس. ويؤكد ذلك ما حدث عند محاولة استبدال مورد المياه لأول مرة فى قرية المنايل فى عام ١٩٣٩، وذلك بحفر آبار صحية كمورد مياه جديد يستخدمها الفلاحون فى هذه القرية بدلا من مياه الترعة الضارة . المصدر الاساسى للبلهارسيا والانكلستوما . . كان حفر الآبار أمرا سهلا ميسرا . . ولكن إقناع الفلاحين باستخدام مياهها كان صعبا . فعندهم ماء النيل أحسن ماء للشرب . . أليس هذا الماء من صنع الله ؟ وهل يصنع الله شيئا ضاراً ؟ . ولم يرجع الفلاحون عن هذا الاتجاه إلا عندما أراهم الشخص المسئول بالمجهر الفرق الواضح بين ماء النيل وماء الآبار . . ورأى الفلاحون الفرق . . واقتنعوا . . (١)

ومن سمات شخصية الفلاح الحذر والتردد خصوصا إذا ما واجه من كانت مكانته الاجتماعية أكبر من مكانته . . بعكس العامل . . فهو كعضو لاغنى عنه فى المصنع ، يكون هو وزملاؤه الكادحون مجتمعا متجانسا مترابطا قد تبلورت فيه آمالهم وآلامهم ومصالحهم الشخصية ... ومن ثم نجده أكثر جرأة . وفى

M. M. Shalaby, "Rural Re- Construction in Egypt" Cairo'1950(1)

ضوء خبراتنا الحديثة نجد أنه حين تسلم الفلاح فى عام ١٩٥٣ الأرض لم يصدق أن الأرض أصبحت ملكا له . . وكانت من آثار ذلك المصاعب التى واجهها المسئولون على عملية التسويق التعاونى لمحاصيل القطن والقمح والأذرة .

وإذا كان الفلاح المصرى العربى حذرا مترددا . . فلا يمكن اتهامه بأنه محافظ أو أنه لا يبتكر . . ففى ضوء وقائع التاريخ . . تاريخ الفلاح القديم المستمر . . نجد أنه غير الكثير من العناصر الثقافية ، المادية وغير المادية ، فى مجتمعه . نجده جدد أدواته فى الزراعة والرى ونوع فيها على مر الزمن . نجده جدد أنواع محصولاته فأضاف اليها نباتات جديدة من وقت لآخر . نجده جدد أنواع الحيوان المستأنس وأضاف اليها مالم يكن معروفا من قبل . نجده غير لغته التى يتكلم ويكتب بها أكثر من مرة فى خلال تاريخه . نجده استبدل بدينه دينا آخر مرة أو مرتين . وحتى فى وقتنا الحاضر نجد أن الفلاح عندما قدمت له الآلات الزراعية أقبل عليها . ومع ذلك فان اقباله على الآلات الزراعية فى الوقت الحاضر كان إقبالا فيه حذر . . فقد أبى الفلاح أن يستخدم الآلات الخاصة التى بوساطتها يمكن معرفة مقدار ما ينتج . . فقد رفض الفلاح ، مثلا ، أن يستخدم آلات الدرس الحديثة وفضل عليها استخدام النورج . . طريقته القديمة . على الرغم من ضياع الوقت والمجهود . . وضياع بعض المحصول ، وذلك بتركه فى الأرض باقيا أو لتأكله الطيور . لقد فضل الفلاح المصرى العربى المعاصر طريقته القديمة . لابسبب كونه محافظا أو لايميل الى الابتكار ، ولكن ، لأنه شخص حذر . وهو إذ يبرر هذا التصرف نجده يقول : « إن المحصول سر بينى وبين ربى لا أريد أن يعرفه أحد » .

وما أيسر للفلاح المصرى العربى أن يحتمى فى ضباب الغيبيات ! حتى إذا كان

بعض هذه الغيبيات يتضمن عناصر ثقافية باقية من المنـــاخ الإجتماعى القديم . ولعل القارىء يعرف ، كما يعرف الـكاتب ، أن الشكوى إلى الموتى وطلب قضاء الحاجات منهم ، فضلا عن ارسال الرسائل اليهم كانت ، كلها ، أموراً يمارسها أجدادنا المصريون القدماء الوثنيون . ومع ذلك فالفلاح المصرى العربى المسلم يمارسها حتى الآن . . فقد لاحظ الـكاتب فى دراسة له أن معظم الرسائل المرسلة إلى ضريح الامام الشافعى مرسل من الريف المصرى العربى ، وأن الـكثير منها آت ، فعلا ، من أعماق الريف المصرى ، ومن أماكن كانت الشكوى بقصد إحقاق الحق موجودة فيها منـــذ ٤٠٠٠ سنة ... على الرغم من موقف الدين الاسلامى المعارض لارسال رسائل إلى قبر صالح أوولى واعتبار ذلك شركا بالله (١) .

لعل ذلك يرجع إلى أن مجتمع القرية منذ فجر التاريخ كان منعزلا . . على الرغم من تـكرار اتصالات المجتمع المصرى الـكبير بالثقافات الاجنبية على مر الزمان . . الثقافات التى كان يحملها معهم المستعمرون . . وغيرهم من الاجانب ونحن نعزو ذلك لا إلى أن الفلاح لم يـكن مستعداً للتغير . . ولـكن لانه لم تتح له فرصة تـكوين هذا الاستعداد . . وحتى مجرد تـكوين الاستعداد ، فى رأينا ، لا يكفى دون وجود الامكانيات التى تحقق مطالب هذا الإستعداد . وقد انعدمت هذه الإمكانيات أو كادت فى ظل الاستعمار وما يشبه الاستعمار . .

ولعل الاستعمار الطويل . . أو ما يشبه الإستعمار الطويل . . الذى عاناه

---

(١) من ملامح المجتمع المعاصر : ظاهرة ارسال الرسائل إلى ضريح الامام الشافعى ، صفحتا ٢٤٠ ــ ٢٤١ .

المصريون فى الماضى ، وخصوصا الفلاحون ، أن يكون مسئولا عن قهر وجود الإستعداد للتغير فى محيط بعض العناصر الثقافية .. وربمـــا تكون رواسب الظلم والقهر والاستبداد الناتجة عن هذا الإستعمار الطويل مسئولة عن معاناه الكثير من الفلاحين المصريين العرب ، المستمرة ، من مواجهة المجهول ، ومن ثم نجدهم متمسكين بمواجهة الانتظار فى صوره المختلفة .. ومنها صور الحذر والتردد .. « أمش سنة ولا تخطى قنا » و « طولة البال تهد الجبال » .. ومنها الاحتماء فى ضبـــاب الغيبيـات .. « رب العطـا يعطى البرد على قدر الغطا » (١) .

وانعزال مجتمع ساكن القرية عن مجتمع ساكن المدينة مسئول عن اختلاف مدلولات بعض المفاهيم عند الفلاح والعامل ومن هـــذه المفاهيم نجد مفهوم « الأرض » .. فهو عند الفلاح يعنى دنياه ومعاشه ومثواه .. فالفلاح يلتصق بالارض التصاق الوليد بأمه ، لا يبرحها إلا إذا ضغطت الظروف الإجتماعية عليه ضغطا يعنى عنده الموت أو الحياة . على عكس العامل فاننا نجد أن مفهوم الأرض عنده يتمثل فى القول السائد : « إن الارض واسعة » .. فهو يجوب الآفاق متنقلا سعيا وراء رزقه من مدينة إلى أخرى ؛ ومن هذه المفاهيم نجـد ، أيضاً ، مفهوم « الحيوان » ؛ فالفلاح يكاد أن يقدس الحيوان .. وهو يقدس أيضاً بعض الاشجار . والعامل لا يرى فى الحيوان أو الاشجار شيئا يقدسه . على عكس ذلك يكون مفهوم « الوقت » عند العامـل . فهو يـكاد أن يقدسه ؛

(١) الأب عيروط اليسوعى : الفلاحون : ترجمة محمد غلاب ، القاهرة مطبعة الكوثر ١٩٤٣ ، صفحات ١٧٢ ــ ١٨٥ .

نجده فى ضوء ظروف حياته فى المدينة يعمل فى مواعيد محددة .. ويخرج من المصنع الذى يعمل فيه فى مواعيد محددة . وله أجازة محددة . وحتى دور اللهو فهو يذهب اليها فى مواعيد محددة .. أما الفلاح فالوقت عنده يبدو بغير هذه القداسة . وتختلف دلالة مفهوم « القانون » عند الفلاح والعامـل .. فالفلاح يلاحظ فى معظم تصرفاته وأنماط سلوكه التقاليد والعادات والاعراف .. هى عنده تمثل قوة « الضبط الإجتماعى » .. وهى قوة أقوى من قـوة القانون .. نلاحظ ذلك ، مثلا ، عند الفلاحين الذين يعيشون فى ظل ظاهرة الثأر . فعند الواحد من هؤلاء الاخذ بالثأر أمر محتوم لان الثأر « زى الحنة ما يسوسى » . أما العامل فهو يعيش فى ظل القانون .. ويمثل القانون عنـده قوة « الضبط الإجتماعى » ، أيضا ، ولكنها قوة أقوى من التقاليد والعادات والاعراف . ومن المفاهيم التى تختلف دلالتها عند الفلاح والعامل نجد مفهوم « المرأة » ويدل على ذلك أن بعض الفلاحين لا يسجلون بنـاتهم فى سجلات المواليد حتى إذا ما كبرن وأصبحن فى سن التعليم لا يلحقونهن بالمدارس ، ومن ثم يكونون بمنأى عن تطبيق القانون .. هكذا يتصورون . ويفعل العامل عكس ذلك تماما فهو يدفع بناته قبل أولاده إلى المدرسة دفعا .. فتحقيق ذلك ، عنده ، تحقيق لبعض آماله ...

وفى ضوء كل ماسبق .. أرجو أن يلاحظ القارىء حرصى الشديد على تفادى التعميم . فعامل المدينة كان ، بالضرورة ، فلاحا . والرواسب الثقافية مازالت تعمل فى نفسه وفى كيان شخصيته .. وليلاحظ القارىء أحدهم عندما ينزح إلى مجتمع المدينة لاول مرة .. فى الفترة الاولى من حياته فيه .. ومع ذلك فانا أؤكد أن العامل المصرى العربى المعاصر أسعد حظا من الفلاح على الرغم من أن

الاثنين يقومان بأخطر عملية إجتماعية اقتصادية تاريخية فى مجتمعنا المعاصر .. هى عملية الإنتاج . كما أؤكد أن من حق الفلاح على العامل أن يفهمه وأن يتعاون معه حتى يحيا الجميع حياة رحيبة سعيدة يظللها مجتمع الرفاهية وتكافؤ الفرص . ومن حق هذا المجتمع عليهما ، الفلاح والعامل، أن ينتجا وأن يزيدا فى هذا الانتاج على الدوام . وأخيراً أؤكد أن من حق القرية على مجتمعنا المعاصر أن يتطور مجتمعها وأن لا يكون بمعزل عن مجتمع المدينة ...

٦ ـ ظاهرة الجريمة فى مجتمعنا المتغير

الجريمة ـ كمفهوم ـ يتناوله بالتفسير متخصصون كثيرون ، منهم المتخصص فى علم الاجتماع والمتخصص فى القانون والمتخصص فى علم النفس والمتخصص فى علم التربية والمتخصص فى الإدارة ـ ومن ثم نجد لهذا المفهوم معانى متعددة ، كل منى يعكس وجهة نظر كل متخصص .

ومهما يكن فاننا نرى أن مفهوم الجريمة يتضمن نمطا معينا أو أنمـــاطا معينة من السلوك البشرى .

وهى ، قانونا ، أنماط من السلوك يحرمها قانون العقوبات وتستوجب العقوبة باسم الدولة وذلك بعد المحاكمة وثبوت الادانة .

وقد تعتبر هذه الأنماط السلوكية خروجا على قيم الجماعة وتقاليدها وعاداتها ، على اعتبار أن هذا الخروج ضار بالجماعة ويعتبر تهديدا لنظمها الاجتماعية .

والنظرة الاجتماعية ترى أن مفهوم الجريمة ، كمخالفة للقـــانون ، ماهو إلا مخالفة لنوع معين من القوانين السلوكية السائدة فى المجتمع ، وعلى هذا فالمجرمون هم فئة من الأشخاص لا يختلفون عن غيرهم من الناس الذين يخالفون القوانين السلوكية الأخرى أى أنهم ليسوا قط فئة فريدة فى نوعها .

والجريمة ظاهرة إجتماعية ، ويتغير مفهومها بصفة عامة من وقت لآخر .

وما يصطلح عليه بأنه ضار إجتماعيا يختلف من مجتمع لآخر كذلك . لأن المجتمعات تختلف أجهزتها وحضارتها بعضها عن بعض وكذلك بمرور الزمن نجد أن المجتمع الواحد تتغير فيه القيم الاجتماعية والاتجاهات السائدة فيه .

فتطور الأساليب الانتاجية فى مجتمع من المجتمعات ، واتساع رقعة الحضر فيه ، والتغيرات الكبرى فى المسائل المالية والاقتصادية وفى الصناعة وفى طرق المواصلات والقوى الآلية وغير ذلك من الظواهر التى تؤدى إلى تعريفات جديدة لأنواع أو صور جديدة من الجريمة أو إلى اعادة تعريف الأنواع أو صور القديمة .

وكما لمفهوم الجريمة معانى متعددة ، فان له صورا متعددة كذلك.

ويقسم المشرع المصرى صور الجريمة عادة إلى ثلاثة أنواع :

الجنايات والجنح والمخالفات .

وهو تقسيم قد لوحظ فيه جسامتها النسبية فيما بينها كما يراها القانون ، أى أن الضابط فى التفرقة بينها هو العقوبة التى يقررها القانون للفعل .

وفى ميدان الجريمة نتوقع الوانا من التغيرات، نقتصر منها على مايتعلق بمفهوم الجريمة وصورها وحجمها واتجاهاتها .

- فمن حيث مفهوم الجريمة : يجب أن نتوقع تعاريف جديدة لبعض صور الجرائم القديمة ، وكذلك تعاريف جديدة لبعض صورها الجديدة .

وقد لاحظنا إعادة تعريف بعض الجرائم القديمة مثل جرائم الرشوة ، كما لاحظنا تعاريف جديدة للصور الجديدة التى جرمها المشرع فى ضوء الظروف الاجتماعية الجديدة

-ومن حيث صور الجريمة : يجب أن نتوقع إختفاء بعض صور الجريمة القديمة كما يجب توقع وجود صور جديدة منها .

وقد لاحظنا إختفاء صور الجرائم المتعلقة بحقوق العائلة المالكة أو المساس

بأشخاص أعضائها ، كما لاحظنا بعض الصور الجديدة مثل جريمة الزراعة بعد الميعاد ، وجريمة عدم إستخراج البطاقة الشخصية ، وبعض جرائم التموين، وبعض الجرائم التي اقتضت ضرورات الأمن الداخلي أو الخارجي وجودها .

ويجب أن نتوقع أيضا وجود صور من الجرائم يتم إرتكابها بواسطة العصابات سواء كانت هذه العصابات في محيط الأحداث والشبان أو في محيط البالغين .

ـ ومن حيث حجم الجريمة : نجد أن اتساع الرقعـــة الحضرية في مجتمعنا وانشاء المدن الصناعية وما يترتب على ذلك من وجود ظاهرة الهجرة الداخلية ، سـواء كانت هجرة من الريف إلى الحضر أو من الحضر إلى الحضر . كل ذلك وغيره يجعلنا أن نتوقع التغير في حجم الجريمة .

ويضاف إلى ذلك إرتفاع مستوى الشرطة من النواحي العلمية والادبية مما ييسر ضبط الكثير من الجرائم . التي تعتبر جرائم غير منظورة مثل جرائم الرشوة وتعاطي المخدرات والجرائم الجنسية .

ـ ومن حيث إتجاهات الجريمة: يجب أن نتوقع نسبة زيادة حجم الجريمة في الحضر عنها في الريف بصفة عامة وازدياد نسبة من صور معينة من الجـرائم في الحضر وخاصة في المدن الصناعية أهمها جرائم الاعتداء على الأموال وجـرائم الآداب العامة .

ومن أهم الجرائم التي يجب أن نتوقع زيادتها النسبية جرائم الأحداث والشبان وجرائم النساء . ومع هذا فانني أرى أنه بمرور الوقت ستتقلص ظاهرة الثأر في المجتمع الريفي وستقل تبعا لذلك الجرائم المترتبة على وجودها ، وكذلك سيكون إتجاه جرائم مثل الاتجار بالمخدرات وحالات التشرد والتسول نحو النقصان .

ونلفت النظر إلى إنه يجب أن لايروعنا إتجاهات بعض صور الجرائم نحو الزيادة . فزيادتها متوقعة لظروف طارئة . وكذلك يجب أن لا تخدعنا إتجاهات بعض صور الجرائم ، فهى إذ تبدو غير خطيرة فى الوقت الحاضر فاننا يجب أن نتوقع خطورتها فى المستقبل .

فجرائم السرقة (وخصوصا صورة النشل) نجدها فى ازدياد مستمر وخاصة النشل فى الأتوبيسات . وجرائم المرور قد لا تبدو خطيرة فى الوقت الحاضر ، ولكننا يجب أن نتوقع أن يكون إتجاهها نحو الزيادة .

وقد أشرت ، آنفا ، إلى مفهوم الجرائم غير المنظورة عند التحدث عن حجم الجرائم وما ينتظره من تغير فى المجتمع الجديد . ولعل القارىء أن يتوقع بعض الحديث عن هذا الموضوع ..

ومفهوم الجرائم غير المنظورة يطلق على الجرائم التى ترتكب فى المجتمع ولكنها لا تصل إلى رجال الشرطة أو المحاكم لسبب أو لآخر .

وتوجد هذه الجرائم بنسبة عاليه ، عادة ، فى مجالات بعض الجرائم مثل جرائم الرشوة والجرائم الجنسية وبعض جرائم السرقة . وقد تنعدم الجرائم غير المنظورة أو تكاد أن تنعدم فى مجالات بعض الجرائم مثل جرائم القتل .

ويمكن القول بأن الجرائم غير المنظورة أنواع . منها نوعان يهتم بهما علماء الاجرام . يتضمن النوع الأول الجرائم التى لا تصل إلى الشرطة أو المحاكم لسبب أو لآخر . أما أساس وجود النوع الثانى فيرجع إلى تعمد المسئولين عن الاحصاءات الجنائية إلى عدم نشر الاحصاءات الحقيقية كاملة ، وذلك لأسباب سياسية أو قومية .

وسأتناول فى هذا الحديث النوع الأول من الجرائم غير المنظورة .

ويرجع وجود هذا النوع من الجرائم غير المنظورة ، فى رأينا ، إلى بعض العوامل ، أهمها :

ـ ان طريقة تنفيذ القانون من أهم وظائف رجال الشرطة . فالساهرون على أمن الدولة منهم قد يكونون حازمين فى تنفيذهم للقانون وقد يكونون غير ذلك . ونجد فى الدولة التى بها رجال شرطة أكفاء أن نسبة الجرائم غير المنظورة أقل من الدولة التى بها رجال شرطة غير أكفاء .

ومن الجرائم غير المنظورة التى ترتبط إرتباطا وثيقا بطريقة تنفيذ القانون جرائم التهريب بأنواعها .

ـ وهناك عامل آخر يظهر واضحا فى محيط بعض الجرائم التى يجب التبليغ عنها إلى رجال الشرطة أو المحاكم . هذا العامل هو موقف المجنى عليهم فى هذه الجرائم من رجال الشرطة ومن المحاكم . قد يكون هذا الموقف موقف ثقة متبادلة أو موقف عدم ثقة متبادل . ومن ثم تتوقف نسبة الجرائم غير المنظورة ، فى محيط هذه الجرائم ، إنخفاضا أو إرتفاعا ، على نوع هذا الموقف .

والسرقات الصغيرة ، وخصوصا صورة النشل منها ، من الجرائم غير المنظورة التى ترتبط بهذا العامل .

ـ ومع هذا فهناك بعض الجرائم التى يجب أن يبلغ عنها المجنى عليهم إلى رجال الشرطة أو المحاكم ، ولكنهم لا يبلغون عنها ، لأسباب ترجع إلى بعض الأفكار الغيبية . تلك الأفكار التى يجب أن تزول فى مجتمعنا الجديد ، ولكن يجب أن نتعرف عليها ونفهمها أولا وقبل كل شىء .

فنجد الكثير من مواطنينا الطيبين ، لا يبلغون عما يحدث ضدهم من جرائم إلى الجهات المختصة وإنما يبلغون إلى ولى أو قديس . يرسل الواحد منهم إلى هذا الولى أو إلى هذا القديس رسالة تتضمن شكواه ضد جان يعرفه أو لا يعرفه . ويطلب منه ، فى ضوء هذه الشكوى ، الحكم العادل ورفع الظلم ، أو إشراك أولياء آخرين فى نظر الشكوى أو عقد جلسة هيئة المحكمة الباطنية . . . الخ (١) .

ويلعب فى تحديد نسبة الجرائم غير المنظورة فى محيط بعض الجماعات ، مكانة مرتكبي الجرائم الإجتماعية ، وما لهم من سلطان . فالاشخاص ذوو المكانة الإجتماعية العالية أو أبناؤهم فى هذه الجماعات قلما يحيلهم رجال الشرطة إلى المحاكمة إذا ماخالفوا القانون . ويكون مصير حالاتهم ، عادة ، الحفظ ، بعكس الأشخاص الآخرين وأبنائهم .

ومن أهم الجرائم غير المنظورة التى ترتبط بالمكانة الإجتماعية لمرتكبي الجرائم نجد الجرائم التى يعبر عنها بجرائم الخاصة وأهمها بعض صور الاختلاس والإستغلال النفوذ وجرائم الرشوة ، وبعض الجرائم التى يرتكبها بعض الأحداث .

ـ ونجد أن موقف الجمهور من العوامل الحاسمة فى وجود الكثير من الجرائم غير المنظورة . فالجمهور الواعى يجب أن يكون صديق رجال الشرطة ورجال المحاكم ، يحس بالضرورة الإجتماعية لتيسير مهمتهم ويعمل ، مؤمنا ، فى سبيل الوصول إلى العدالة ، وفى سبيل تطهير المجتمع من بعض ادرانه .

ومن أهم الجرائم التى يستطيع الجمهور الواعى أن يحد منها ويقلل جرائمها غير

---

(١) انظر كتاب من ملامح المجتمع المصرى المعاصر . ظاهرة ارسال الرسائل إلى ضريح الامام الشافعى .

المنظورة جرائم المخدرات : تعاطيها والاتجار فيها وكذلك بعض صور الجرائم الجنسية .

- وهناك بعض الجرائم غير المنظورة تنشأ عادة فى محيط الاجهزة البيروقراطية العتيقة ويسببها الروتين البالى . ومن أهم هذه الجرائم بعض صور جرائم التزوير وبعض صور جرائم الرشوه .

- ومن الجرائم التى تنتشر فيها الجرائم غير المنظوره بعض صور الجرائم الجنسية . فهى فى محيط البالغين يصعب ضبطها بسبب اتفاق الأطراف المعنيين بالأمر أما فى محيط الأحداث فهى ، حتى إذا تم إكتشافها ، فى الكثير من الأحيان لا تصل إلى رجال الشرطة أو رجال المحاكم بسبب بعض القيم السائدة ومنها « الله ستار »

ونلاحظ أن نسبة التبليغ عن الجرائم بصورها العديدة تكون عاده أكبر ضد الرجال منها ضد النساء ، وضد الراشدين ضد الأحداث ، وضد الغرباء منها ضد الاقرباء .

الفصل الخامس

أهم ميادين الخدمة الاجتماعية

يتضمن هذا الفصل الموضوعات الآتية :

١ ـ اهم ميادين الخدمه الاجتماعيه : تمهيد..
٢ ـ ميدان الخدمة الاجتماعية الاسرية .
٣ ـ ميدان الخدمة الاجتماعية المدرسية .
٤ ـ ميدان الخدمة الاجتماعية العمالية .
٥ ـ ميدان الخدمة الاجتماعية الريفية .
٦ ـ ميدان الخدمة الاجتماعية الطبية .
٧ ـ ميدان الخدمة الاجتماعية فى محيط المجرمين والاحداث الجانحين .

١ – أهم ميادين الخدمة الاجتماعية : تمهيد

إن المقصود بالميدان (field) ، كما سبق ان أوضحنا ، هو منطقة أو مناطق الاهتمام والنفوذ .. أى ان ميدانا معينا من ميادين الخدمة الاجتماعية .. يعنى منطقة اهتمام مهنة الخدمة الاجتماعية ونفوذها فى هذا الميدان المعين .. أى اهتمام مهنة الخـــدمة الاجتماعية ونفوذها بطرقها العلمية المختلفة . ففى الميدان قد تتعدد طرق الخدمة الاجتماعية ، بعكس المجال (Scope) ، لأن لكل طريقة من هذه الطرق مجالاتها .. أى مناطق تطبيق هذه الطريقة على وجه التخصيص . ولايعنى ذلك ان اهتمام مهنة الخدمة الاجتماعية بهـــذه المنطقه أو نفوذها يغلق الباب أمام اهتمام أونفوذ مهن أخرى بها كمهنة الطب، مثلا، أوغيرها من المهن المتخصصة ..

ولاجدال فى ان ميادين الخدمة الاجتماعية فى مجتمع ما تحددها أهداف مهنة الخدمة الاجتماعية فى هذا المجتمع . وتحدد هذه الاهداف ، بالضرورة ، ظروف هذا المجتمع . ونحن الاخصائيين الاجتماعيين ازاء ظروف مجتمعنا الحالى . وهى ظروف تدعو الى عمليات بنائية عديدة .. أى ظروف ثورية ، لانرى بدا من مواجهة هذه الظروف مواجهة ايجابية . ويعنى ذلك فى بساطة ان نتبنى أهداف مهنة الخدمة الاجتماعية الثورية واتجاهاتها وطرقها العلمية حتى يتيسر لنا السبيل الى تحمل هذه المسئولية الكبيرة ..

ودون ما تكرار أرى أن أؤكد أن الميـــادين التى يجب أن يقتحمها الاخصائيون الاجتماعيون الثائرون عاملين فيها ومشيدين .. هى الميادين التى يمليها عليهم الواقع الحى لمجتمعنا الجديد .. هذا المجتمع الذى نبنيه نحن الشعب تحت

لواء قيادتنا الرشيدة .. أقصد مجتمعنا الذى تبلورت الصورة الرائعة المرتقبة له .. مجتمع الكفاية والعدل .. مجتمع المواطنين الصالحين .

ويلاحظ ان ميدان الخدمة الاجتماعية فضلا عن انه منطقة اهتمام معينة فهو يعنى أيضا القيام بتدابير عديدة .. تدابير اجتماعية واقتصادية وتربوية جميعا ، تهدف كلها إلى تحقيق عمليات التنمية الاجتماعية والوقاية الاجتماعية والعلاج الاجتماعى ، ولا يمكن أن يكون العكس .. أقصد البدء بعمليات العلاج الاجتماعى ثم الوقاية الاجتماعية ثم التنمية الاجتماعية .. فالعمل فى الحقل الاجتماعى فى ظروفنا الحاضرة يجب أن يكون ، بالدرجة الأولى ، عملا بناء .. عملا ايجابيا .. أى عملا جذريا ثوريا ..

ويلاحظ ، أيضا ، أن عملية التنمية الاجتماعية هى عملية تنمية اجتماعية فى محيط المادة البشرية التى بدونها لاتوجد المجتمعات . وهى .. أى هذه العملية .. إذ تعمل .. تعمل ، عادة ، فى محيط الجماعات الاجتماعية الأساسية التى يكون عضو المجتمع ، فى ضوء الضرورة الاجتماعية ، عضوا فيها .. أى الجماعات التى تقوم بعمليات التنشئة الاجتماعية لأعضاء المجتمع .. أقصد الأجهزة الاجتماعية التى تقوم باعداد اعضاء المجتمع ليؤدوا أدوارهم الاجتماعية كما يتوقعها منهم المجتمع الذى ولدوا فيه ويعيشون . وتوجد هذه الاجهزة الاجتماعية فى كل المجتمعات .. ولكن وظائفها فى المجتمع الاقطاعى غيرها فى المجتمع الرأسمالى .. وهى ، أيضا ، غيرها فى المجتمع الاشتراكى .. ذلك لأن المناخ الاجتماعى الذى يظللها فى هذه المجتمعات يكون مختلفا ، بالضرورة ، حسب عقائد كل مجتمع وقيمه الاجتماعية ومثله العليا .. والجماعات الاجتماعية الأساسية عديدة .. نذكر منها ، على سبيل المثال لا الحصر ، الأسرة والمدرسة ومؤسسة شغل أوقات الفراغ ..

ونجد إن عملية الوقاية الاجتماعية وثيقة الصلة بعملية التنمية الاجتماعية فى محيط المادة البشرية . . فميادينها واحدة وأهدافها واحدة وان اختلفت الوسائل . فاذا كانت أهداف عملية التنمية الاجتماعية هى تكوين المواطنين الصالحين الذين يحتاجهم المجتمع الجديد . . تكون أهداف عملية الوقاية الاجتماعية هى حفظ هؤلاء المواطنين الصالحين . . صالحين .. أى القيام بتصحيح الظروف الاجتماعية التى تعتبر ضارة بهم وتهددهم .. أقصد تهددهم شخصيا ، أو تهدد أسرهم أو المعايير الاجتماعية التى يعيشون فى مناخها .

وعملية العلاج الاجتماعى تعمل كذلك فى محيط أعضاء المجتمع .. أشخاصا كانوا أو جماعات .. ومجالها عادة الأشخاص المشكلون أو الأشخاص أصحاب المشاكل . فهى فى محيط الأشخاص المشكلين أو اصحاب المشاكل تحاول العناية بهم إذا ماوجدوا . . أى تحاول القيام بالتدابير الاجتماعية والاقتصادية والتربوية لعلاجهم .. أى إعادة تنشئتهم إجتماعيا ، ليصبحوا مواطنين صالحين فى المجتمع ومن هؤلاء نجد على سبيل المثال لا الحصر .. المجرمين والأحـــداث الجانحين والاشخاص الشواذ سواء كان شذوذهم عقليا أو نفسيا أو جسميا ..

وفى ضوء كل ما سبق . . سيتحدث الكاتب فى الصفحات التالية بإيجاز عن بعض ميادين الخدمة الإجتماعية .. وهى ، بالضرورة ، ليست كل الميادين وان رأى أنها من أهم الميادين ...

ويهتم الكتاب الحالى بميادين الخدمة الاجتماعية الآتية :

- ميدان الخدمة الإجتماعية الاسرية .

- ميدان الخدمة الاجتماعية المدرسية .
- ميدان الخدمة الاجتماعية العماليـة .
- ميدان الخدمة الاجتماعية الريفيـة .
- ميدان الخدمة الاجتماعية الطبيـة .
- ميدان الخدمة الاجتماعية فى محيط المجرمين والأحداث الجانحين .

٢ - ميدان الخدمة الاجتماعية الاسرية

الأسرة ، من وجهة النظر الإجتماعية ، هى إحدى الجماعات الاجتماعية التى يتكون منها المجتمع ، وهى تعتبر من أهم هذه الجماعات . فهى ، كما يقول أوجست كومت (August Comte) الوحدة الاجتماعية الأساسية التى تنشأ عن طريق ترابط التجمعات الجماعية التى يكون التعاون الواعى أساس وجودها ، مثل الطبقات الاجتماعية والمدن . ويمكن إعتبار الأسرة وحدة نشاط إجتماعى لأشخاص يعيشون معا فى تفاعل مستمر فى بناء حضارى معين ، وهى مسئولة عن عدد من الوظائف الاجتماعية والبيولوجية . وعند كل من مابل ايليوت (Mabel Elliot) وفرنسيس ميريل (Francis Merril) أن الأسرة يمكن تعريفها بأنها وحدة بيولوجية إجتماعية مكونة من زوج وزوجة وأبنائها . ويمكن إعتبار الأسرة أيضا نظاما إجتماعيا أو منظمة إجتماعيــة متعارفا عليها ، تقوم بسد حاجات إنسانية معينة (١) .

والأسرة كجماعة إجتماعية ، كما سبق أن أوضحنا فى الفصل السابق ، موجودة فى كل مجتمع . ويندر أن يفلت منها الطفل العادى فى أى جزء من اجزاء العالم . . ومن وجهة النظر الحضارية نجد أن العادات التى يمارسها أعضاء هذه الجماعة الأساسية تختلف من مجتمع لآخر . فانتشار وجود الأسرة فى المجتمعات يعتبر العامل الأساسى للعنصر الإجتماعى لأى موقف حضارى ، وان كل حضــاره يجب بالضروره أن تحتوى على نماذج من العادات توائم هذه الحال .

---

(١) سيد عويس . الاسرة المتصدعة وصلتها بجناح الاحداث) أنظر أعمال الحلقة الأولى لمكافحة الجريمة . منشورات المركز القومى للبحوث الاجتماعية والجنائية صفحة ١٦٥ وما بعدها) .

وقد تطور نطاق الأسرة على مر الايام ، وأخذ يضيق شيئا فشيئا حتى وصل إلى الحد الذى استقر عليه الآن فى معظم الامم المتمدينة فى العصر الحاضر . فأصبحت الأسرة لا تشمل إلا زوجا وزوجة ومن يعولانهم من أبناء . أى أن الاسرة أصبحت أسرة مركزية أو أسرة فردية . ويكثر هذا النوع فى المدينة . وقد يتسع نطاق الاسرة ويكبر فى بعض الاحيان ، فنجد فى الريف مثلا الاسرة المركبة أو نجد الاسرة الممتدة .

وتتكون الاسر فى المجتمعات المختلفة ، فى معظم الاحيان ، عن طريق الزواج وتوجد صور عامة لنظام الزواج ، هى بترتيب شيوعها :

- نظام الزواج الفردى .
- نظام تعدد الزوجات .
- نظام تعدد الازواج .
- النظام الزواج الجماعى .

ويشيع فى مجتمعنا النظامان الاول والثانى .

وكما تطور نطاق الاسرة على مر الايام تطورت وظائفها الإجتماعية كذلك . وأصبحت الاسره (وخاصة الاسرة الفردية) أكثر تخصصا من ذى قبل . بل يمكن القول بأنها أصبحت أكثر تخصصا مما كانت عليه فى أى مجتمع سابق معروف. وأصبح من أهم وظائف الاسرة (الفردية) تنظيم الاشباع الجنسى بصورة يقرها المجتمع ، وحفظ النوع البشرى عن طريق إنجاب الاطفال ، والقيام بعملية تنشئتهم الاجتماعية .

وتجب ملاحظة أن الاسرة فى بعض البيئات ، وخاصة فى البيئات الريفية ،

لا تزال إلى الوقت الحاضر محتفظة ببعض الوظائف التقليدية[١] . ومهما يكن من الأمر فقد أصبحت الوظيفة الهامة للأسرة (وخاصة أسر التوجيه) في الوقت الحاضر هي القيام بعملية التنشئة الاجتماعية لأطفالها (٢) وأصبحت الأسرة في هذا الضوء، بحق ، «مهد الشخصية» . فمنذ السنين الأولى وفي أثنائها تتكون عند الفرد عن طريق أسرة التوجيه النماذج الأساسية لردود الفعل الخاصة بالتفكير والشعور ، كما تتكون المعايير والقيم التي قد تؤثر على تاريخ حياته المقبلة (٣)

ولا يتأتى قيام الأسرة بهذه الوظيفة الهامة إلا بتهيئة الوسائل السليمة المتعلقة بالحضانة والكفالة للأطفال وخاصة في مراحل نموهم الأولى . وهذه هي مهام الأسرة المتكاملة الناضجة اجتماعيا ، أو على حد قول ميريام ف. ووترز (Mériam v. Waters) مهام الأسرة السوية. تقول ذلك ونحن نعلم... أن أجهزة اجتماعية أخرى وجماعات اجتماعية أخرى أصبحت في ضوء ظروف المجتمعات الحديثة تشارك الأسرة في هذه العملية ... أقصد عملية التنشئة الاجتماعية .. مثل الجيرة والمدرسة ومؤسسة شغل أوقات الفراغ والمنظمة الدينية وأجهزة الاعلام ...

ومجتمعنا الجديد «المجتمع الاشتراكي» لا ينكر قط أهمية الأسرة السوية ،

---

(١) من أهم هذه الوظائف في رأينا الوظائف الاقتصادية والدينية والقضائية والتعليمية .

(٢) يلاحظ أن كل شخص في معظم المجتمعات ينتمي في خلال حياته ، عادة ، إلى نوعين من الأسرة ، وذلك من حيث مركزه الاجتماعي في محيط الأسرة كوحدة : الأسرة الأولى ، هي ما يمكن ان نطلق عليها أسرة التوجيه وهي تتكون من أبويه وأخوته وأخواته (يستثنى بالطبع الطفل غير الشرعي) . والاسرة الثانية هي أسرة التناسل وهي تتكون من زوجته وابنائه (ويستثنى بالطبع من لم يتزوج).

(٣) قد تكون أسرة التوجيه لشخص ما أسرة بديلة تتكون من زوج وزوجة وأبناء ليسوا بالضرورة أبواه واخوته وأخواته .

أو الأسرة المتكاملة الناضجة اجتماعيا . ولكن مثل هذه الاسرة المثالية الحقيقية فى ضوء وجود ظاهرة التغير الاجتماعى التى تواجه مجتمعنا ، لا يكثر وجودها فى هذه الأيام حيث تكون أعباء الحياة الجديدة عديدة ومتكررة . وما يترتب على ذلك من توترات نفسية مما يجعل من الصعب تحقيق راحة البال . فنجد أسرا عديدة ، وخاصة فى الرقعة الحضرية ، فى الوقت الحاضر ، غير مستقرة أو ربما يشيع فيها نوع من الارتباك . والأسرة غير المستقرة أو التى يشيع فيها الارتباك تعتبر عادة مكانا غير صالح لتربية الأطفال . وأنا لا أقصد التعميم ولا أرضاه . ولكن أحاول أن أؤكد حقيقة من الحقائق التى يلمسها كل متخصص فى هذا الميدان . ومهما يكن من الأمر فهذه الحقيقة فى سبيلها حتما إلى الزوال . . ففى ضوء قيم مجتمعنا . . نجد أن الأسرة هى الخلية الاولى للمجتمع (١) ، ولابد أن تتوافر لها كل أسباب الحماية التى تمكنها من أن تكون حافظة للتقليد الوطنى ، مجددة لنسيجه ، متحركة بالمجتمع كله ومعه إلى غايات النضال الوطنى . وفى ضوء قيم مجتمعنا ، نجد أن المرأة لابد أن تتساوى بالرجل ، ولا بد أن تسقط بقايا الاغلال التى تعوق حركتنا الحرة ، حتى تستطيع أن تشارك بعمق وايجابية فى صنع الحياة . . وأخيرا وليس آخرا نجد فى ضوء قيم مجتمعنا أن الطفولة هى صانعة المستقبل ، ومن واجب الاجيال العاملة أن توفر لها كل ما يمكن لها من تحمل مسئولية القيادة بنجاح .

ويمكن ان نقول أن الأسرة غير السوية أنواع . . وأن أبرز هذه الانواع ما يعبر عنه بالأسرة المتصدعة . . .

---

(١) تعبير «الخلية الاولى» فى رأى الكاتب تعبير بيولوجى ويفضل عليه تعبير «الوحـــدة الاجتماعية الاساسية » .

وقد ظهر مفهوم الأسرة المتصدعة فى ميدان علم الاجتماع منذ زمن طويل . والدراسات الاولى فى هذا الموضوع كانت فى ميدان علم الجريمة ، ومنها دراسة كل من صوفونسيا بيركنردج (Sophonisia Berckinridge) وأديث أبوت (Edith Abbott) عن « الطفل الجانح والأسرة » فى عام ١٩١٢ . وكذلك دراسة أرنست شيدلر (Earnest Shidler) عن « تفكك الأسرة والحدث الجانح » التى نشرها فى مجلة القانون الجنائى وعلم الاجرام فى يناير ١٩١٨ ، والتى وصل فيها ، فى ضوء الاحصاء العام للولايات المتحدة فى عام ١٩١٠ ، إلى أن نحو ٢٥٪ من جميع الاطفال فى الولايات المتحدة يعيشون فى أسر يمكن أن يقال عنها أنها أسرة متصدعة(١).

وقـــد استقبل الجمهور والقضاة وضباط الاختبار القضائى (المراقبون الاجتماعيون بالمحاكم) وعلماء النفس الاكلينيكى والاخصائيون الاجتماعيون مفهوم الأسرة المتصدعة بارتياح كبير . واعتبروا الأسرة المتصدعة عاملا من عوامل انتاج الأحداث الجانحين . واستمر الكثيرون من هؤلاء على رأيهم حتى بعد ظهور،دراسة كل من كليفوردشو Clifford Shaw وهنرى د. ماكاى (Henry D. Mackay) وعنوانها «هل الاسر المتصدعة عامل سببى فى جناح الاحداث ؟ ». وقد نشرت هذه الدراسة فى مجلة القوى الاجتماعية فى مايو ١٩٣٢ وفى هذه الدراسة يثير الباحثان الشك حول الاسر المتصدعة كعامل سببى فى جناح الاحداث .. وبصرف النظر عن هذه الحقيقة فاننا لا يمكن إلا أن نقول أن الطفل «أى طفل» يستحق أن يحيا حياة أسرية سوية حتى يتسنى القيام بعملية التنشئة الاجتماعية السليمة لاطفال المجتمع . أى اعدادهم للحياة أعضاء صالحين فيه.

---

(١) الاسرة المتصدعة وصلتها بجناح الاحداث ... صفحة ١٦٩ وما بعدها .

والمعنى العام للأسرة المتصدعة فى المجتمعات الغربية هو أنها الأسرة التى تفقد الأب أو الأم بسبب الموت أو الهجر أو الطلاق . ولا يكفى هذا المعنى عند بعض العلماء .. فالأسرة المتصدعة لها تعاريف على أكثر من مستوى واحد . فهناك الأسرة المتصدعة ماديا أو اجتماعيا ، وهناك الأسرة المتصدعة نفسيا .الخ والمقصود بالتعريف المادى أو الاجتماعى هو أن الأسرة المتصدعة هى الأسرة التى يكون فيها الوالدان أو احدهما مفقودا أو متوفيا أو مطلقا أو هاجرا . أما التعريف النفسى للأسرة المتصدعة فهو الأسرة التى يعيش فيها الوالد والأم وأطفالهما، ولكن يسود جوها المنازعات المستمرة ، ويشيع فى محيطها عدم احترام حقوق كل عضو فيها . وهى التى يبدو الطفل فيها تحت ضغط مستمر ، أو يكون موضع سخرية . وهى عادة أسرة متسلطه يتحكم فيها الأب ويتحول مركز الزوجة والاطفال فيها إلى مركز سلبى وهى التى تسودها الفكرة التى تقول «ان الاطفال يرون ولا يسمعون» . وفى هذه الأسر نجد أن الطفل غالبا ما يكون غير مرغوب فيه ، ولا تكون لديه أية خبرة بالشعور بالانتماء . وتكون نتيجة ذلك أن يصبح طفلا مهجوراً قلقا وغير مستقر وغالبا ما يكون طفلا عدوانيا . ومن التعاريف الخاصة بالأسرة المتصدعة نفسيا نجد تعريفا يقول «هى الطغيان الذى يسيطر عليه أحقر أعضائها» .

وأصحاب التعاريف النفسية يرون أن المسألة ليست هى تصدع الأسرة من الناحية المادية .. أى عن طريق انفصال الزوجين أو طلاقهما أو موتهما أو موت احدهما .. بقدر ماهى كون الاسرة مرتبكة أو معيبة بسبب الحل أو عدم الاكتراث أو الخطأ فى فهم مكانة الطفل. فعند مارى بويل سيلز Mary Buel Sales أن حب الابوين للطفل هو أول شرط من شروط شعوره بالأمن . وهو ليس بأقل أهمية من وجود الوفاق بينهما ، وأن من أسباب تمزق حياة الطفل

الداخلية وجود النزاع الظاهر بين الابوين اللذين يعيشان معا . وحتى الخلافات الابوية التى يظن الابوان انها خافية على الاطفال تسبب لهم اضطرابا عنيفا . وأن الاسباب الخارجية لعدم الشعور بالامن مثل قلة الدخل أو عدم انتظامه أو تغير السكن المتكرر ، ومايترتب على ذلك من ضرورة اعادة التكيف للمدرسة الجديده أو الزملاء الجدد ، قد تسبب اضرارا للكثير من الاطفال . ومع هذا فاذا كانت الاسرة تحافظ على انسجامها الداخلى فمثل هذه الظروف لن تكون بالضرورة هدامة .

وقد اهتم سريل برت (Cyril Burt) فى كتابه «الجانح الصغير» بالظروف الاسرية التى تسبب الجناح أونوعا من سوء التكيف . وأهمها فى رأيه الزواج المبكر وموت الامهات ووجود زوجات للأب والزواج الغير الشرعى . وقد ناقش برت تصدع الاسرة فى ضوء النظام فى الاسرة . وذكر أنه حيث يوجد الجهل وعدم الإكتراث نجد أن نظام الاسرة قد يكون صارما أو متساهلا أو قد يكون غير موجود بالمرة ، وأن العقاب الزائد على الحد ربما يكون مدعاة إلى التحدى وإلى المقابلة بالمثل بسرعة أو بصراحة أو عن طريق أساليب منحرفة أو عمليات عقلية خفية كما قد يحدث من ردود الفعل غير المباشرة كالسرقة أو الاختلاس أو الانغماس فى الحياة الفاسدة .

وعند كل من شو وما كاى أن الاسرة المتصدعة نوعان : الاول هو الاسرة السوية التى تأثرت بموت الوالدين أو أحدهما أو بعلاجهما الطويل فى المستشفى أو علاج احدهما . أما النوع الثانى فهو الاسرة غير السوية التى تأثرت بالطلاق أو بالهجر أو بالانفصال أو بالمرض العقلى أو بالسجن أو بالنغولة ...

ويذكر البروفسور شارل كولتر Charles. W. Coulter طائفة من أنواع

الاسر المتصدعة أهمها ما يأتى :

١ - الاسر التى توجد فيها نماذج سلوك اجرامية .

٢ - الاسر التى تكون فيها العلاقات غير مرضية بسبب التحكم أو المحاباة أو عـــدم الرعاية والإهتمام أو الصرامة أو الإهمال أو الغيرة أو بسبب وجود زوجة أب أو زوج أم أو قريب فضولى .

٣ - الاسر التى يكون فيها أحد الابوين مصابا بوهن جسمانى أو عقلى : مثل ضعف الصحة العام وضعف العقل والعمى والصم والعصاب .

٤ - الاسر غير المتكيفة اجتماعيا أو أخلاقيا بسبب اختلاف السلالة أو الدين أو التقاليد أو المستويات أو بسبب الفجور .

٥ - الاسر التى تكون تحت ضغوط اقتصادية مثل البطالة ، والدخل الضئيل، والاسر التى تعمل فيها الامهات .

وهناك من يقول بوجود الاسر المائلة Bent Homes . والمقصود من هذا المفهوم أنها الاسر التى يكون الآباء فيها منصرفين عن ابنائهم بسبب العمل أو بعد مكانه ، ويصبح الاب فيها مجرد شخص يظهر فى نهايه كل أسبوع ، وتجد الأم نفسها ، فى ضوء هذه الظروف ، مضطرة إلى القيام بدوره أو ببعض دوره بالاضافه إلى دورها الاصيل . ويطلق هذا المفهوم أيضا على الأسر التى قد يضطر كل من الاب والام فيها إلى أن يعملا ، وهذا يحدث فى كثير من الاسر فى المجتمعات الحديثة ...

وفى ضوء ماسبق نجد أن مفهوم الاسرة المتصدعة مفهوم غامض ، أى أنه يمكن تعريفه على أكثر من مستوى واحد ، ومن ثم فهو ذو معان متعددة ، كما أن له صورا متعددة كذلك ، ويرجع هذا التعدد فى المعانى والصور ، فى رأى الكاتب إلى تعدد صور الخلل فى تركيب الاسرة (اسرة التوجيه) أو فى وظائفها . فالاسرة السوية

من حيث التركيب هى التى تتكون من زوج وزوجة وأطفال فان لم يكن لها أطفال فهى أسرة متصدعة .. وإذا توفى الزوج أو الزوجة أو كلاهما فهى أسرة متصدعة وإذا طلق الزوج الزوجة أو انفصل عنها فهى أسرة متصدعة .. وإذا هجر الزوج زوجته أو الزوجة زوجها فهى أسرة متصدعة .. وإذا فقد الزوج أو الزوجة فهى أسرة متصدعة. والأسرة المتصدعة قد تكون أسرة سوية من حيث تركيبها ومع ذلك فهى لا تقوم بأداء وظائفها الإجتماعية وخاصـــة وظيفة القيام بعملية التنشئة الإجتماعية لاطفالها ، كما أشرنا إلى ذلك من قبل ، أو قد لا تتمكن من أداء هذه الوظيفة الهامة لأسباب اقتصادية أو صحية أو نفسية ..

وإذا حاولنا أن نبلور دور الخدمة الإجتماعية فى ميدان الأسرة فاننا نجده حتما فى مجال الخدمات قبل الزواج وفى أثناء الزواج وحتى بعـــد الزواج . نجده فى المراكز الإجتماعية الاسرية الوقائية .. وفى التدابير الطبية الخاصة برعاية الاطفال (الاهتمام طبيا ونفسيا بالأم الحامل ، وكذا الاشراف على عملية الولادة وتتبع الحالة الصحية للأم والمولود) .. ونجده أيضا فى دور الحضانة لاطفال الامهات العاملات .. ونجده فى المؤسسات الخاصة بعمليات التأمين الإجتماعى والصحى للأسر .. وفى اتخاذ التدابير اللازمة لمواجهة البطالة ومايترتب على اصابات العمل وفى رعاية أسر المسجونين الذين فى حاجة إلى رعاية .. وفى المراكز المشرفة على عملية تنظيم النسل فى محيط الاسرة وفى مراكز رعاية الاطفال غير الشرعيين .. ونجده كذلك .. فى تقديم المساعدات الفنيه والادبية لارباب الاسر الذين تضيق أرزاقهم عن استيفاء حاجات الاسرة الضرورية .. وفى مجال تعاون الاسرة مع أجهزة عملية التنشئة الإجتماعية .. وفضلا عن ذلك نجده فى مجال نظام الخدمة الإجتماعية بمحاكم الاحوال الشخصية للقيام بدارسة كل نزاع عائلى يعرض عليها

وأقتراح التدابير التى تحفظ كيان الاسرة . . كما نجـــده فى المؤسسات الخاصة برعاية المسنين .

أى أن مجالات دور الخدمة الإجتماعية فى ميدان الاسرة ، كما نراه فى الآونة الحاضرة ، يجب أن يـكون هدفها بناء أسر سوية . وهى تتضمن مجالات الاسرة عندما تتصدع وقبل أن تتصدع وبعد أن تتصدع . . مع ملاحظة أن دور الخدمة الإجتماعية فى هذا الميدان لا يمكن أن يكون الدور الاوحد . . ولـكنه ، بالضرورة دور هام . . ذلك لان الاخصـــائى الاجتماعى الثائر إذ يرى خطورة العمل فى ميدان الخدمة الاجتماعية الاسرية وأهميته يرى أيضا خطورة وأهمية التعاون مع الادوار الإجتماعية الثائرة الاخرى فى هذا الميدان . . ومن هده الادوار نذكر أدوار الاخصـــائى النفسى الثائر والمربى الثائر والطبيب الثائر والمشرع الثائر . . .

وإذا حاولنا أن نبين بالتفصيل دور الخدمة الاجتماعية فى مجال الاسرة المصرية العربية عندما تتصدع ، بالطلاق ، مثلا ، فإننا نوضح ذلك فيما يلى :

إذا اعتبرنا الزواج عقداً بين زوج وزوجه تربطها روابط الحب والانسجام الروحى والاتفاق الثقافى جميعا . وإذا أعتبرنا أن ممارسة الطلاق مادة من موادهذا العقد يحق لاحد الطرفين أن يستخدمها عندما يطرأ من المواقف المستعصية بينهما ما يحتم ذلك . إذا أعتبرنا كل ذلك فان الطلاق يمـكن أن يـكون حلا لمشكلة أو لمشاكل قد تقف فى سبيل تحقيق الوظائف الاجتماعية للاسرة .

ولـكن الطلاق ، كـكل شىء وظيفى ، لا يمـكن أن يـكون حلا دائما ، فهو ان استخدم كحل فى بعض المواقف قد يـكون أساساً لمشكلة أو مشاكل فى بعض

المواقف الأخرى . وفى هذه الحالة يكون الطلاق سلاحا هداما .. مثله مثل الجريمة .. ولكن الجريمة يقف لها المجتمع عادة بالمرصاد . وفى مجتمع كمجتمعنا نجد أن الطلاق مباح إذا أفاد وهو مباح أيضا إذا أضر مهما كان ضرره بليغا .

ولن نتحدث هنا عن مزايا أو مساوىء الحد أو تنظيم الطلاق فى مجتمعنا .. ولكننا نقول بأن الطلاق هو سلوك إنسانى يصدر عادة عن أشخاص متزوجين ، يعيشون فى مجتمع من المجتمعات .. وهو ، فى مجتمعنا ، يصدر غالبا عن رجال متزوجين .

وككل سلوك إنسانى ، يكون الطلاق عادة نتيجة تفاعل شخصية معينة تواجه موقفا أو مواقف معينة .. فاذا أردنا أن نتعرف على عوامل طلاق معين فانه يجب أن نتعرف على الشخصية التى ، وهى فى تفاعلها مع موقف أو مواقف معينة ، سلكت هذا السلوك ، أى أن نتعرف على العوامل التكوينية والنفسية والإجتماعية الحضارية للشخص الذى يواجه موقفا معينا وترتب على ذلك طلب إستخدامه حق الطلاق ...

ولكن كيف يمكننا أن نتعرف على كل هذا ؟ لقد أجابت بعض المجتمعات على هذا السؤال بانشاء أجهزة علمية خاصة تقوم بتحقيق هذا الغرض . ففى المجتمعات التى نجد أن حق الطلاق يطلب ولا يمارس قبل أن يطلب ، أى فى المجتمعات التى تحتم على طالب الطلاق أن يطلب ذلك أولا من جهاز اجتماعى يعرف بالمحكمة ، نجد أن المحكمة ، قبل أن تجيب هذا الطلب ، تقوم باحالة الطلب على جهاز علمى خاص مهمته التعرف على العوامل الدينامية التى أنتجت هذا الطلب .

ونجد أن هذا الجهاز العلمى الخاص مزود ببعض المتخصصين فى العلوم الانسانية ففيهم الاخصائى الاجتماعى والاخصائى النفسى والطبيب العقلى . ويبادر الجميع بالعمل على

(١) ان الجهود البناءة الثائرة فى مجتمعنا تعمل فى سبيل تصحيح هذا الوضع فى الوقت الحاضر.

التعرف على العوامل التكوينية والنفسية والإجتماعية الحضارية لكل من شخصيتى الزوج والزوجة وكذلك التعرف على الموقف أو المواقف التى تفاعل معها كل منهما ، مما سبب طلبها أو طلب أحدهما استخدام حق الطلاق ... ولا يكفى هؤلاء المتخصصين أن يتعرفوا على العوامل بل أن مهمتهم هى محاولة العلاج كذلك .

وقد وجد أن معظم الحالات التى تحال عادة على هذا الجهاز العلمى الخاص يخرجون إلى القاضى قائلين « لقد عادت المياه إلى مجاريها » .

ونجد فى المجتمع المصرى أن حق الطلاق يمـــارس ، عادة ، ولا يطلب حق إستخدامه . فالازواج المسلمون يمارسون حق الطلاق دون الرجوع إلى المحكمة ، وكذلك الزوجات المسلمات اللاتى تكون العصمة فى ايديهن . وحتى تنظم ممارسة حق الطلاق ويكون من الضرورى أمام المحكمة ، فانه لا مندوحة من وجود أنواع كثيرة من الطلاق الهدام .. وليست هذه الأنواع قاصرة على هدم الاسر فقط بل أن آثارها تمتد إلى الكثير من الاجهزة الإجتماعية المختلفة .

ونجد نتيجة لذلك مشاكل خطيرة تهدد المجتمع .. ويكفى أن نقول إن من بين هذه الآثار : تعطيل التنظيم الجنسى لعدد كبير من الاعضاء البالغين فى المجتمع وتوقف عمليات التنشئة الإجتماعية السليمة لعدد كبير من الاطفال والأحداث . ولا يخفى ما يسبب كل من تعطيل التنظيم الجنسى وتوقف عمليات التنشئة السليمة من مشاكل إجتماعية . منها وجود ظاهرة انحراف الأحـــداث وظاهرة البغاء وبعض الأمراض الجسمية وبعض الامراض النفسية والعقلية .وما يترتب على ذلك من خسارة فادحة للمجتمع .

ولما كنا نؤمن بأن المشكلة ، أى مشكلة ، هى ظاهرة لها عواملها الديناميةالتى توجدها ، ولما كنا نؤمن بأن لكل مشكلة حلولها الدينامية كذلك . فاننا ندعو مع

الداعين إلى محاولة حل مشكلة الطلاق الهدام فى مجتمعنا . وإننا نقترح إيجاد جهاز علمى خاص يلحق بمحاكم الأحوال الشخصية تحال عليه الحالات القليلة التى قد تطلب من المحكمة الطلاق قبل الحكم بالطلاق لمحاولة التعرف على عوامل طلاق كل حالة ومحاولة علاجها . . وكذلك تحال عليه الحالات التى أستخدم فيها الطلاق الرجعى لتحقيق نفس الأهداف . وحتى يتم تنظيم ممارسة حق الطلاق يجب أن لا يقتصر عمل هذا الجهاز العلمى على الحالات السابقة بل نرى أن يفتح بابه على مصراعيه ، للحالات الخاصة ، أى الحالات التى قد تصل لسبب من الأسباب إلى المحكمة، وتطلب مساعدة الجهاز إختياريا .

هذا فضلا عن ضرورة أهتمام هذا الجهاز بحالات الاسر التى تصدعت فعلا بسبب الطلاق، وكان من بين أعضائها أطفال أو أحداث فى حاجة إلى الرعاية والحماية .

وقد جرب المجتمع المصرى جهازاً مشابها للجهاز المقترح فى محيط الاحداث المنحرفين . ففى يونيو سنة ١٩٤٠ انشىء مكتب الخدمة الإجتماعية لمحكمة الاحداث بالقاهرة وأهم أهدافه هى :

١ ـ عمل الابحاث الاجتماعية والنفسية والطبية اللازمة لتنوير المحكمة فى معرفة الاسباب الحقيقية التى أدت إلى القبض على الحدث .

٢ ـ إيجاد الحلول الملائمة لمشاكل الاحداث القائمة والاتصال المباشر بهم لتيسير العمل على حمايتهم والاشراف على سلوكهم .

واستمر هذا الجهاز قائما حتى الآن . وترتب على نجاحه قيام الاتحاد العام لرعاية الاحداث الذى يقوم الآن بمسئولية علاج مشكلة انحراف الاحدث والوقاية منها فى الجمهورية العربية . ونجد أن أهم أسلوب أستخدمه الاتحاد هو إنشاء مكاتب

خدمة إجتماعيه عديدة على غرار المكتب المشار اليه (١) .

وانشاء جهاز علمى خاص يلحق بمحاكم الاحوال الشخصية يساعد ، فضلا عن محاولة علاج أنواع الطلاق الهدامة التى تحال عليه أو تأتى اليه ، اتاحة الفرصة للبحث العلمى فى الميدان . وفى ضوء نتائج البحث العلمى يتيسر رسم الخطط العامة، التى تتفق مع مقومات مجتمعنا ، للحد من أضرار هـــذه الأنواع والوقاية من هذه الأضرار .

(١) ضم الاتحاد العام لرعاية الأحداث إلى وزارة الشئون الاجتماعية وأصبح جهازا من أجهزتها الهامة منذ عام ١٩٦٥ .

٣ — ميدان الخدمة الاجتماعية المدرسية

لعل من الأمور المتفق عليها فى العصر الحالى .. النصف الثانى من القرن العشرين .. أن المدرسة ، اليوم ، ليست مجرد بناء يحتجز أحدى فئات المجتمع من التلاميذ والطلبة داخل إطاره بغرض تلقينهم بعض الدروس فحسب .. بل أن المدرسة أصبحت ، إلى جانب ذلك ، ومسايرة منها لتطورات الحياة الإجتماعية الحديثة وما فيها من تيارات تستدعى تنمية الجوانب الإجتماعية والنفسية فى شخصية التلميذ أو الطالب ليكون أقدر على مواجهة هذه الحياة - مؤسسة تربوية قبل أن تكون مؤسسة تعليمية (١) ...

ولعل الهدف الأول من عمليات التربية بين جدران المدرسة ... أن يكون الاسهام فى عملية التنشئة الإجتماعية التى تبدأ ، عادة، فى محيط الأسرة . وتعنى عملية التنشئة الإجتماعية ، فى جوهرها ، صياغة الفرد فى قالب جديد يدرك ، عن طريقه قيمة الحياة الإجتماعية وقد استها حتى يكون قادراً على تفهمها وتقبلها بروح مرنة غير متجمدة .. وهو فى ذلك يسعى وراء التكيف الإجتماعى (٢) بصورة طليقة حرة خالية من القيود اللهم إلا قيود العقل الجمعى الذى يفرض أحكامه ويتطلب طاعته من أعضاء المجتمع .. أى أن عملية التنشئة الإجتماعية تعنى ، كما سبق أن أوضحنا فى فصول الكتاب السابقة ، أول ما تعنى ، تكوين أو إعادة تكوين ،

---

(١) دور المدرسه وعمليات التربية خارج المدرسة فى الوقاية من سوء التكيف الاجتماعى بين الشبان والاحداث الجانحين .

(٢) راجع مفهوم التكيف الاجتماعى عند الكاتب فى الفصل الثانى : صفحات ٣٢-٣٥.

الأفراد أو الأشخاص ليصبحوا مواطنين صالحين فى المجتمع الذى يعدون له . أى ليصبحوا أشخاصا يستطيعون أن يؤدوا أدوارهم الإجتماعية التى يتوقعها منهم هذا المجتمع ، مع ملاحظة أن هذه الأدوار الإجتماعية غير ثابتة ... أى أنها فى تغير مستمر ..

وإذا حاولنا أن ننظر إلى المدرسة المصرية العربية من خلال هذه الصورة المتكاملة لدورها الطبيعى ، اليوم ، لاستطعنا أن نصل دون ماجهد إلى أنها كانت ، فى عهود ما قبل الثورة تفتقد الكثير . . وذلك على الرغم من وجـــود من كان يدرك مدى أهمية تكامل الدور التربوى والتعليمى الذى تؤديه المدرسة ، فى ذلك الحين (١) ...

كانت المدرسة المصرية العربية حتى عام ١٩٣٠ تهدف إلى تخريج موظفين للدولة . وكان إهتمامها منصرفا نحو الكم لا الكيف ... فزادات الموضوعات الدراسية الأكاديمية ، ولم تنظر المدرسة إلى التكيف الاجتماعى للطالب داخل المدرسة أو فى خارجها ، فأهملت مقدرته على التحصيل بالنسبة لازدحام المنهج بالموضوعات الدراسية .. فزاد عدد الراسبين والمتعطلين ...

وفى عام ١٩٣٥ اتجهت الفلسفة التربوية نحو الكيف لا الكم وحده ، وأهتمت بالنشاط من قبل التلميذ أو الطالب وأكدته . ثم فى عام ١٩٤٥ أكدت الفلسفة التربوية أن الهدف من التعليم هو نمو التلميذ أو الطالب من جميع النواحى العقلية

---

(١) نسجل هنا ، ونؤكد ، ما بذله الرواد الأوائل المغفور لهم الاساتذة اسماعيل القبانى ، ويعقوب فام ، وسلامة موسى ، من جهود رائعة فى ميدان التربية .. سواء كان ذلك داخل المدرسة أو فى خارجها .

والإجتماعية والبدنية فى مجتمعه الذى يعيش فيه . ولكن التطور الحقيقى للمناهج لم يبدأ إلا فى عام ١٩٥٦ عندما أكدت الثورة هذا الإتجاه ، فأضيفت إلى موضوعات المناهج موضوعات لم تكن موجودة من قبل وهى دراسة مشكلات المجتمع وبخاصة فى دور إعداد المعلمين ، ودراسة موضوعات الصحة العامة والعلوم التطبيقية التى تصادف التلاميذ أو الطلاب فى حيـــــاتهم ، والغيت موضوعات أخرى . وبرز الإهتمام ، بالفروق الشخصية بين التلاميذ والطلاب على التحصيل ، وكان من نتيجة هذا الاهتمام وضع برامج للتربية الخاصة المعوقين منهم : ضعاف العقول ، وضعاف السمع والبصر أو فاقديه . ووضعت ، كذلك ، البرامج الخاصة للتلاميذ أو الطلاب المتفوقين (١) . . .

والنظرة إلى المدرسة ، فى ضوء ما سبق ، تبين أنهـــا مؤسسة إجتماعية لها وظائف هامة . . أى أنها أحد الأجهزة الإجتماعية الاساسية فى المجتمع ، فهى عبارة عن مجتمع صغير(١) يعيش فيه التلاميذ أو الطلاب حيث يوفقون فيه بين ما فى أنفسهم كأفراد . . أو كأشخاص . . وبين المجتمع الذى يعيشون فيه . وهم فى مجتمعهم الصغير يتدربون على العمل الجمعى ، وعلى تحمل المسئولية ، ويتمثلون معنى القانون وإطاعته ، وادراك فكرة الحق والواجب . . .

ويلاحظ أن المدرسة كمؤسسة إجتماعية لا يمكن أن تكون منعزلة عن المجتمع الكبير . . وكذلك لا يمكن أن تنعزل عن تلاميذها أو طلابها خارج حجرة الدراسة

(١) دور المدرسة وعمليات التربية خارج المدرسة .

(٢) يلاحظ القارى ان تعبير « المجتمع الصغير » ، وهو تعبير يقصد به تجمعات التلاميذ او الطلبة داخل المدرسة ، تعبير غير دقيق . . (انظر الفصل الثاني : صفحة ١٤٩ .

أى فى أوقات ما بعد الدرس . ففى الحالة الاولى يجب أن تفتح أبوابهـــا لخدمة البيئة كخطوة هامة فى سبيل توفير الاطمئنان النفسى للتلميذ أو للطالب وذويه على السواء ، حتى لايشعر بأنه فى مكان منقل بعيدا عن البيت . وفى سبيل اتاحة الفرصة للاباء والامهات ليدخلوا المدرسة فى أوقات معينة ليتشاوروا فى مصالح ابنـــائهم ويتدارسوها ويستمتعوا ببرامج مختلفة مرسومة . وفى الحالة الثانية يجب ان توفر المدرسة لتلاميذها أو طلابها أوجه النشاط الجديدة يقبلون عليها مختارين .. ويعبرون فيها عن نزعاتهم وميولهم ورغباتهم الجديدة تعبيرا ايجابيا وجماعيا بقدر المستطاع تحت أشراف الرواد المختصين ..

وإذا كانت المدرسة تهتم أول ما تهتم بعملية التنمية .. أقصد تنمية شخصيات تلاميذها أو طلابها ، فهى أيضا تهتم بعملية وقايتهم عما قد يعوق تنميتهم .. وهى بالضرورة ، تهتم كذلك بمواجهة المشكلات التى تقف فى سبيل تحقيق أهداف هاتين العمليتين . وهنا يبرز دور الخدمة الاجتماعية المدرسية فى هذه المجالات جميعا .. فهى .. أى الخدمة الاجتماعية كمهنة تستطيع ان تسهم . بالتعاون مع الادوار الاخرى ، فى عمليات تنمية شخصيات التلاميذ أو الطلاب ووقايتهم عما قد يعوق تنميتهم .. وفضلا عن ذلك فهى تستطيع أن تسهم فى مواجهة من كان منهم مشكلون أو أصحاب مشكلات ...

ولعل مجالات طرق خدمة الفرد وخدمة الجماعه وخدمة المجتمع، وهى مجالات تطبيقية، أن توضح دور الاخصائى الاجتماعى الثائر فى ميدان الخدمة الاجتماعية المدرسية ، .. وهو دور ، فى ضوء ظروف مجتمعنا الاشتراكى المعاصر ، هام وخطير .. يتطلب ان يكون دقيقا وأمينا ومخلصا واشتراكيا ثائرا .. إن قيمنا ومثلنا العليا ومبادئنا . التى اخترناها كلها قيم انسانية ومثل عليا انسانية ومبادىء انسانية . إنها

قيم ميثاقنا ومثله العليا ومبادئه .. ولكن يجب ، فى ضوء ظروفنا الحاضرة ، أن نحذر أخطاء التطبيق .. وأن نحاول ، نحن الاخصائيين الإجتماعيين ، وغيرنا من القادة الإجتماعيين الثائرين ، أن نتجنب هذه الأخطاء .. أى أن يكون وجودها فى ميادين أعمالنا عدما .

ولعل خير ما نذكره عن ميدان الخدمة الاجتماعية المدرسية هو نظام الخدمة الاجتماعية المدرسية الذى نتبعه فى مدارسنا المصرية العربية .. وأن خير ما نذكره عن دور الاخصائى الإجتماعى فى هذا الميدان هو ما يطالب منه القيام به فعلا فى مدارسنا المصرية العربية ..

ونظام الخدمة الاجتماعية المدرسية اتجاه حديث فى النظم التربوية المصرية العربية . وهو يرجع إلى سنوات قليلة ماضية (١) . ويمتاز بأنه نظام يتفق مع احتياجاتنا ويصلح للتطبيق فى مدارسنا ، بل ويتلاءم مع الظروف القومية التى يمر بها المجتمع المصرى العربى فى عهده الحديث .

ونظام الخدمة الاجتماعية هو ، فى واقع الأمر ، ميدان من ميادين مهنة الخدمة الاجتماعية .. وهو ، كأحد ميادين الخدمة الاجتماعية ، يوجه إهتمامه الأول وخدماته للتلميذ أو الطالب سواء كان شخصا (له قدراته الخاصة وظروفه الخاصة) .. أو عضوا عاملا فى الجماعات المدرسية المختلفة .. وذلك فى حدود المبادىء العامة للمهنة وتعاليمها وأسسها .

---

(١) أدخل نظام الخدمة الاجتماعية المدرسية ، أول ما أدخل ، فى عام ١٩٤٩ . وبدأ متعثرا وأستمر كذلك .. حتى قيام ثورة ١٩٥٢ عندما أتسع نطاقه وتيسرت له الأمكانيات ، البشرية والمادية وغيرها ، وأصبح قادرا فى الوقت الحاضر على أداء مهمته الثورية .

ويتوقف نجاح نظام الخدمة الاجتماعية المدرسية ، بالنسبة للتلميذ أو للطالب ، على عوامل متعددة .. منها مـــدى إستعداد التلميذ أو الطالب وقدراته وميوله وخبراته المتباينة ، ومنها مدى إمكانيات المدرسة ومناهجها وظروفها، ومنها ظروف أولياء أمور التلاميذ أو الطلبة وأسرهم وبيئاتهم .. ومنها قـــدرة الاخصائى الاجتماعى الواعى على تطبيق مبادىء مهنة الخدمة الاجتماعية وتعاليمها وأسسها بشرف وأمانة ودقة .. كل هذه العوامل لهـا ، بالضرورة ، آثارها الواضحة فى تحديد نوع الخدمات ومستوياتها . ولذلك توجه مهنة الخدمة الاجتماعية فى ميدان المدرسة عنايتها إلى جميع هذه العوامل .

وقد سارت المدرسه المصرية العربيه، فى عهود ما قبل الثورة ، شوطا فى مقابلة الاحتياجات الاجتماعية لتلاميذها وطلابها معتمدة فى ذلك على جهود المعلمين ، حتى عام ١٩٤٩ .. أى عندما طبق نظام الخدمة الاجتماعية المدرسية لاول مرة. وأوجب هذا التطور استخدام الاخصائيين الاجتماعيين ببعض المدارس الثانويه. وقد واجه الاخصائيون الاجتماعيون فى ميدان المدرسة ، عند قيامهم بواجباتهم لأول مرة ، صعوبات شتى .. كانوا يمثلون أدوارا إجتماعيه جديدة .. ثائرة .. وكانت هـــذه الأدوار تواجه أدواراً إجتماعيه أخرى قديمه .. راسخه .. لها مكانتها الاجتماعيه ولها هيبتها (نظار المدارس مثلا) .. وبدأ الصراع بين الجديد والقديم منذ اللحظه الأولى .. وكان صراعا جباراً .. وأستمر هذا الصراع حتى قيام ثورة يوليو العظيمه .

ومنذ قيام هذه الثورة .. ومنذ قيام المجتمع الاشتراكى المصرى العربى حدث فى ميدان الخدمه الاجتماعية المدرسية المصرية العربية أمران هامان .. الامر الاول : لم تعد مجالات أعمال الاخصائيين الاجتماعيين ، كما كانت من قبل، قاصرة

على عينات من المدارس الثانوية بمدينتي القاهرة والاسكندرية . . بل امتدت هذه المجالات إلى مختلف أنحاء الجمهورية . . امتدت إلى المدرسة الاعدادية ، ودور المعلمين ، فالمدرسة الابتدائية ، فالمعاهد العليا والجامعات . أما الأمر الثاني فهو يتعلق بدور الخدمة الاجتماعية ، كمهنة ، تعمل في الميدان المدرسي . . أصبح هـذا الدور محدداً واضحا جليا . . بعد أن كان غير محدد يشوبه الغموض . . وتأكدت ثوريته في ضوء السياسة الإجتماعية للثورة . . أي في ضوء إطار إتجاهات هـذه السياسة الاجتماعية . . وانتهى الأمر إلى التقاء القيادة الثورية الجديدة بالقاعدة الثورية المكافحة في شخص بعض قادتها الاجتماعيين الثوريين الذين كانوا يعملون في ميدان الخدمة الاجتماعيه المدرسية .

ولكي نضع النقاط فوق الحروف . . يجدر بنا أن نذكر بعض إتجاهات السياسة الاجتماعية لمجتمعنا الجديد . . المجتمع الاشتراكي . . فيما يلي :

١ ـ أهمية التوجيه الاجتماعي المباشر باعتبار أن مجتمعنا قـــد تخلف سنين طويلة وأصبح يتطلب اسراعا في نهوضه حتى يلاحق التغيرات الاقتصاديه والسياسية والثقافية .

٢ ـ ضرورة التكامل والشمول في الخدمه وارتباط ذلك بالخدمات الموجهة للمواطن في كافة نواحي التخلف التي عاش فيها طويلا حيث أصبح كل جانب من جوانب حياته يتطلب نصيبا من الرعاية .

٣ ـ حتمية ارتباط التلاميذ أو الطلاب بعضهم مع بعض في صورة تنظيمات تحقق بينهم تفكيرا وقيادة جماعية ، وتجعل منهم طاقه متدفقة نحو أهدف موحدة .

٤ ـ أهمية الربط بين المدرسة والمجتمع فى صورة مثيرات واستجابات مستمرة تجعل من المدرسة إمكانية صالحة للبيئة ، وتجعل من المجتمع مصدرا لمعاونة المدرسة على أداء وظائفها الاجتماعية والقومية .

٥ ـ الحاجة الماسة إلى تنشيط الحيـــاة المدرسية بحيث يظللها مناخ إجتماعى صالح لقيام جماعات ذات أثر على أعضائها .. تنتظم فى مجتمع له من المقومات ما يجعله صالحا قادرا على تنشئة التلاميذ أو الطلاب ووقايتهم من الانحراف .

وهكذا أكدت هذه الاتجاهات ضرورة تثبيت أقدام الاخصائى الإجتماعى فى ميدان الخدمة الاجتماعية المدرسية فى بلادنا ..حتى يتمكن من أن يسهم فى بناء مجتمعنا الجديد مع البانين المخلصين .. يطبق عمله على ميدان عمله وهو حذر كل الحذر من أخطاء التطبيق .. متجنبا إياها .. أى أن يكون وجودها فى ميدان عمله عدما . وبذلك يقوم بدوره فى خلال عمليات التغيير الثورى التى تتحدى ، فى الوقت الحاضر ، المدرسة المصرية العربية ، وتتطلب قيادة إجتماعية ثائرة موجهة تعمل وجها لوجه مع العملاء من التلاميذ والطلاب وأعضاء المجتمع المحلى (١) .

ولا يقتصر عمـــل الاخصائى الاجتماعى المتخصص فى الخدمة الاجتماعية المدرسية على العمل داخل المدرسة فقط .. ولكنه قد يعمل فى خارجها أيضا . فعندما اتسع التعليم فى بلادنا وتطورت نظمه نبتت فكرة إنشاء مكاتب الخدمة الاجتماعية المدرسية .. وذلك بقصد الاهتمام بالحـــالات الفردية للتلاميذ أو الطلاب .. وعلاجها .

وقد أنشىء أول مكتب للخدمة الاجتماعية المدرسية بالقاهرة فى عام ١٩٥٤ . وهو

---

(١) على سليمان : تطور اتجاهات التربية الاجتماعية بالمدرسة فى ضوء الاشتراكية العربية أنظر الكتاب السنوى للتربية الاجتماعية ١٩٦٣ ، صفحتا ٥٨ — ٥٩ .

يعتبر هيئة تتفرغ لخدمة التلاميذ والطلاب ، فى مختلف مراحل التعليم ، الذين يلاقون صعوبات فى تكيفهم مع البيئة المدرسية ، أو الذين يعانون المشكلات التى تؤثر فى درجة استفادتهم إستفادة كاملة من البرامج الدراسية (١) .

وقد تم تقييم هذا المكتب فى عام ١٩٥٥ ، واثبتت التجربة نجاحه ، وبدىء فى التوسع فى إنشاء مكاتب خدمة إجتماعية مدرسية منذ عام ١٩٥٥ ، بحيث يتم إنشاء مكتب فى كل منطقة تعليمية .. وأصبح عدد هذه المكاتب فى عام ١٩٦٣ خمسة عشر مكتبا ، والمرجو ، بمرور الوقت ، أن يتم إنشاء مكاتب فى المناطق الخالية منها فى الوقت الحاضر .

وقد ظهر أن تركيز مكاتب الخدمة الاجتماعية المدرسة أعمالها فى خدمة الحالات الفردية بقصد علاجها لا يحقق رسالتها كاملة .. وتبين أنه لا بد أن تعنى هذه المكاتب ، فى المقام الأول ، فى ضوء ظروف مجتمعنا الحاضر ، بتقديم خدمات إنشائية ووقائية إلى جانب الخدمات العلاجية . ومن ثم تطورت رسالة المكاتب بحيث أصبحت تتضمن ما يأتى :

١ - الاهتمام بالتدابير الانشائية والوقائية .. وذلك عن طريق :

(أ) إجراء البحوث الاجتماعية للتعرف على أهم المشكلات البارزة وأجراء بحوث عنها أكثر تعمقا . والاستفادة من نتائجها وذلك توطئة لاعداد مشروعات إجتماعية عامة ، أو توجيه مشروعات المدارس والمناطق لمواجهة احتياجات التلاميذ أو الطلاب .

---

(١) انشىء هذا المكتب على غرار مكتب الخدمة الاجتماعية لمحكمة الاحداث الذى أنشأته الجمعية المصرية للدراسات الاجتماعية فى عام ١٩٤٠ .. وسنتحدث عنه فى الصفحات التالية .

(ب) معاونة الطلاب وتوجيههم وإرشادهم لاختيار أنواع التعليم التى تتفق مع قدراتهم وظروفهم .

(ج) توجيه المتخصصين بالمدارس لاكتشاف حالات التلاميذ أو الطلاب المشكلين أو أصحاب المشاكل فى وقت مبكر قبل أن يستفحل أمرها .

(د) إثارة الوعى عند الآباء والمربين للمشكلات التى يعانى منها التلاميذ أو الطلاب وتبصيرهم بدورهم أزاءها .

٢ ـ الاهتمام بالتدابير العلاجية . . وذلك عن طريق :

(أ) العناية بعـــلاج المشكلات الفردية (الشخصية) المختلفة سواء كانت إجتماعية أو إقتصادية أو مدرسية أو نفسية ، والتى تتطلب جهودا وامكانيات خارجة عن نطاق المدرسة .

(ب) دراسة كل حالة من هذه الحالات على حدة ورسم خطة علاجها طبقا لما يسفر عنه بحث كل حالة . . ومن ثم يمكن مساعدة التلاميذ أو الطلاب المشكلين أو أصحاب المشاكل على تفهم مواقفهم تفهما سليما يساعدهم على مواجهة ظروف المجتمع المدرسى والمجتمع الذى يعيشون فيه على السواء مواجهة مرضية [١] .

ونلاحظ فى ضوء المعلومات السابقة . . أن الاخصائيين الاجتماعيين الذين يعملون فى ميدان الخدمة الاجتماعية المدرسية ، فى المدرسة المصرية العربية ، وفى خارجها ، قد تيسر تحديد أهم الواجبات التى تناط بهم . وأصبح التخصص فى ميدان الخدمة الاجتماعية المدرسية ، فى ضوء تحديد هذه الواجبات ، ضروريا . وأصبح

---

(١) محمد عبد الهادى بيومى ومحمد نبيه فودة : « دور مكاتب الخدمة الإجتماعية المدرسيه فى المجتمع » ، (أنظر الكتاب السنوى للتربيه الإجتماعية ، ١٩٦٣ ، صفحات ١٥١ ـ ١٥٤)

يوجد ، بمرور الوقت، نوعان من المتخصصين فى ميدان الخدمة الاجتماعية المدرسية واستقر الرأى عند أولى الأمر على الاعتراف بهذا التخصص .. أى أصبح منهم أى من الاخصائيين الاجتماعيين من يعمل . داخل المدرسة ، ومنهم من يعمل فى مكاتب الخدمة الاجتماعية المدرسية .

ونحن إذ نحيى الجهود التى بذلها الرواد الأول من الاخصائيين الإجتماعيين فى هذا الميدان نرجو ونكرر هذا الرجاء ، ملحين ، أن يكون رائد العاملين فيه اليوم .. أى بعد التقاء القيادة الثورية الجديدة بالقاعدة الثورية المكافحة .. الاسهام الفعال فى بناء المجتمع الجديد فى ضوء قيمه ومثله العليا ومبادئه الثورية .. وأن يتجنبوا أخطاء التطبيق ما أستطاعوا إلى ذلك سبيلا (١) ..

---

(١) إن الرواد الاوائل الذين عملوا فى ميدان الخدمة الإجتماعية المدرسية فى بلادنا كثيرون ولا يتسع المقام لذكرهم جميعا .. وليسامحنى القارىء إذا ذكرت بعضهم فقط .. مثل الزملاء منير عبد العزيز وسعد المغربى ومحمد حسن كامل وجمال نصوحى وأحمد كمال ومحمد حمدى مصطفى ومحمد إبراهيم نبهان وعدلى سرجيوس وصلاح الدين محمد أحمد ويوسف عبد الملاك وإسماعيل رياض وأنيس عبد الملك ومحمد نبيه فودة والسيدة فتحية عبد الجواد والسيدة كامليا عبد الفتاح .

٤ - ميدان الخدمة الاجتماعية العمالية

فئة العمال فئة من المواطنين . وهم فى مجتمعنا المعاصر ، فئة صاعدة .. تنمو على مر الأيام .. كاد أن يتضاعف عددها منذ ثورة يوليو المجيدة حتى الآن . فمن نحو أربعة ملايين عامل أو يزيد فى يوليو ١٩٥٢ ، أصبح عدد العمال الآن نحو سبعة ملايين عامل أو يزيد . وهم ، ومعهم الفلاحون . كما لا يخفى ، يكونون الأغلبية الساحقة لأعضاء مجتمعنا الحالى ، إذ يبلغ عددهم نحو أربعة أخماس سكانه وهم ، العمال والفلاحون ، أيضا ، قوام عمليات الانتاج فى مجتمعنا المعاصر. وهم ، كذلك ، القوى البشرية التى تستطيع إذا ما نظمت ، أن تغير شكل الحياة فى هذا المجتمع تغييرا ثوريا .

ودور العمال فى عمليات بناء مجتمعنا الجديد دور فعال مافى ذلك من شك .. فبعمليات التصنيع ، وحدها ، يمكن ارساء قواعد هذا البناء . فالصناعة مسئولة عن إقامة التوازن الانسانى ، الذى لا بد منه ، بين مطالب الانتاج واحتياجات الاستهلاك .. والصناعة الثقيلة هى دون شك القاعدة الثابتة للكيان الصناعى الشامخ .. وفضلا عن ذلك فان الصناعة تطور شكل العمل فى بلادنا تطويرا ثوريا .

والتحدث عن الخدمة الاجتماعية العمالية لايعنى التحدث عن الخدمات الاجتماعية إنشائية كانت أو وقائية أو علاجية ، التى تقدم للعاملين فى الورش والمصانع والمحتكين بالآلة بشكل مباشر فحسب .. بل المقصود هو خدمة مجتمع المصنع

بأكله من عمال وموظفين على مختلف المستويات والدرجات (١) .. وأهداف هذه الخدمات المتعددة ، كما يعلم القارىء حتما ، هى مساعدة الذين يعملون ، عمالا كانوا أو موظفين ، ليحيوا حياة أفضل .. حتى يقبلوا على أعمالهم وهم أكثر حيوية ونشاطا .. قادرين على الابتكار .. يسعدون بالكفاح فى سبيل زيادة الانتاج وتحسينه ..

والعاملون فى المصانع والورش .. كل العاملين .. فى مسيس الحــــاجة .. كبشر .. إلى الاحساس بأن القائمين عليهم يقفون إلى جانبهم باستمرار فى أثناء مواجهتهم لمشاكل العمل .. أو حاجاتهم المشروعة .. أو مشكلاتهم الخاصة على السواء ..

ومن حق مجتمعنا الجديد عليهم على العاملين .. كل العاملين .. أن يحسوا كذلك بالمسئولية الواقعة على عاتقهم لأن مسئولية العمل يجب أن تكون كاملة عن أدوات الإنتاج التى وضعها المجتمع كله تحت إرادته ..

ولا شك أن دور الخدمة الاجتماعية فى ميدان العمال دور خطير .. فالاخصائى الاجتماعى الثائر فى هذا الميدان يسهم مع غيره من المتخصصين فى مواجهة مشاكل العمل .. أو حاجات العاملين المشروعة .. أو مشكلاتهم الخاصة داخل المصنع وفى خارجه على السواء .. وهو ، أيضا ، يخلق المناخ الاجتماعى الصالح لتبادل الشعور بين العمال وبين القائمين عليهم أقصد الشعور بالاهتمام .. أى اهتمام العاملين بالعمل المنتج .. واهتمام القائمين على العاملين بمواجهة حاجاتهم المشروعة ومشاكلهم المتباينة

---

(١) قارن مفهوم « مجتمع المصنع » بمفهوم « المجتمع » (أنظر الفصل الثانى : صفحة ٤٠)

حتى يستطيعوا أن يعملوا جادين مخلصين منتجين . . وهذا الاهتمام ، بنوعيه ، ضرورى .. ولا بد أن يكون موجودا .. على الرغم من رواسب الماضى حيث كانت العلاقات بين العامل وصاحب العمل علاقات لا انسانية .. علاقات الجشع من جانب صاحب العمل.. وعلاقات الذل والخضوع ، فى الكثير من الأحيان، من جانب العاملين عندهم .

ومن العمليات التى يسهم الاخصائى الاجتماعى فى ميدان العمال ... فى مجتمعنا الثائر ... هى عملية اختيار العمال الصالحين اختياراً يكون ، بالضرورة ، على أسس علمية ... فالصناعات كما هو معروف أنواع ، والكفايات... كفايات العمال أنواع كذلك ... وكل صناعة تتطلب كفايات معينة لا يمكن العثور عليها إلا عن طريق عملية الاختيار العلمية ... أى التى تستند على الأسس العلمية ... ومجتمعنا الاشتراكى يبنى دائما فى ضوء العلم ... فالعلم هو السلاح الثورى فى ثورتنا الاجتماعيـــة والصناعية والارتجال بصوره العديدة القائمة أصبح ، فى هذا المجتمع ، غير ذى موضوع .

وكما يسهم الاخصائى الاجتماعى فى ميدان العمال ، مع غيره من المتخصصين ، فى عملية اختيار العمال...يسهم ، أيضا ، فى عملية تدريبهم...وهذا التدريب نوعان : الأول يكون ،عادة ، قبل الالتحاق بالخدمة.. والثانى فى أثناء الخدمة . ويلاحظ أن التدريب الثانى يتكرر بقصد استمرار رفع مستوى الانتاج وهو ... أى الانتاج هدف من أهدافنا الثورية ... أى هدف من أهداف تحقيق الكفاية والعدل . ويحدث تكرار النوع الثانى من التدريب ، عادة ، كلما ارتفع مستوى أدوات الانتاج حتى يستطيع العامل أن يواجه كل تطور حـــديث لهذه الأدوات أولا

بأول . ويقوم بعمليات التدريب متخصصون ... منهم ، بالضرورة ، الاخصائى الاجتماعى ... فهو إذ يعمل فى المصنع يكون أكثر المتخصصين معرفة بالعمال فيه ومن ثم فهو أدرى بسمات شخصياتهم وبكفاءاتهم وبمستوى انتاجهم ... فى ضوء الظروف الاجتماعية التى يعيشون فى كنفها ...

ويقوم الاخصائى الاجتماعى فى ميدان العمال ، أيضـا ، بدراسة الظروف التى ينتج فيها العامل أو الموظف على السواء ... دراســة هادفة ... تيسر عملية الانتاج وتساعد على ابراز آدمية العاملين والموظفين . فهو يدرس ، مثلا ، عمليات الاضاءة فى المصنع وألوان الضجيج وصوره ومدى كفاية التهوية ... وحتى مدى صلاحية موضع الآلة أو المكتب وتتفاوت هذه العمليات والألوان والصور والمكان المناسب لوضع الآلة أو المكتب من مصنع إلى مصنع أو حتى من مكان إلى مكان فى نفس المصنـع ... حسب طبيعة العمل فيه ... ولعل حسن الاضاءة وكفاية التهوية وهدوء المكان تعتبر من أهم العوامل التى يجب أن تتوافر للعاملين بالحسابات أو واضعى التصميمات الهندسية ... وغيرهم من العاملين الذين تتطلب أعمالهم ، عادة ، الدقة . والتهوية من الضروريات إذا كان العمل داخل المصنع يستلزم ارتفاع درجة الحرارة إلى حد كبير . ويضاف إلى ذلك ضرورة وجود دورات مياه كافية تشيد فى مكان مناسب فى المصنع .

ويدرس الاخصائى الاجتماعى فى ميدان العمال ، باهتمام كبير ، ضرورة الأخذ بوسائل الأمن الصناعى فى المصنع .. حتى تقل اصابات العمل فيه أو تنعدم ... كما يدرس أيضا أهم التدابير الوقائية من الامراض خصوصا الأمراض المهنية .. وهو إذ يفعل ذلك .. يهتم أيضا بدراسة حقوق العمال القانونية فى ضوء قوانين العمل ..

كما يهتم ، بالدرجة الأولى ، بالاجهزة التى تعمل على تنفيذ هـذه القوانين .. حتى تتأكد كفايتها ونزاهتها .. وحتى تصــل الحقوق لاصحابها فى الوقت المناسب وبصورة مرضية .. وحتى لايشعر العاملون بوجود أية تفرقه فى المعاملة لاى سبب من الأسباب . ومن ثم نتجنب قعودهم عن العمل الخلاق ، ونتجنب ، أيضـا ، تحولهم إلى أدوات سلبية مخربة .. تعمـل ، بوعى أو بلا وعى ، على أضعاف الانتاج .. واشاعة روح اليأس فى نفوس الآخرين . ودور الاخصائى الاجتماعى الثائر فى هـذا المجـال ليس فقط اعطاء اشارة تنبيه للقائمين على العمال حتى يعملوا على الدوام على تنقية هذه الاجهزة وتطهيرها .. بل أيضا بذل الجهود حتى تصبح هـذه التنقية أمراً واقعيا .. ويصبح هـذا التطهير هو القاعدة وليس الاستثناء ...

ومن اهتمامات الاخصائى الاجتماعى فى ميدان العمال دراسة عوامل الارهاق عند العاملين فى المصنـع ... مما يتسبب عنه مللهم وتوتر اعصابهم ... ومن ثم تضعف قدراتهم على الانتاج .. وهو إذ يدرس هذه العوامل يحاول ما استطاع فى ضوء نتائج دراسته ازالتها أو يحـاول ما استطاع أضعاف تأثيرهـا .. وذلك بتحديد فترات مناسبة للراحـة التى تتخلل العمل أو غـــير ذلك من التدابير ...

وفى مجال العلاج يقوم الاخصائى الاجتماعى الواعى بدراسة حالات العمال الخارجين على نظام العمل أو من على شاكلتهم .. فهو يهتم بالعامل كثير التغيب أو العامل المشاكس أو العامل ضعيف الانتاج أو الذى يسبب اتلافا للانتاج .. ويحاول .. أى الاخصائى أن ييسر الظروف الملائمة فى ضوء دراستـــه .. حتى يعود هؤلاء العاملين أو من على شاكلتهم .. عاملين صالحين .. منتجين .

وعمل الاخصائى الاجتماعى الثائر فى ميدان العمال لا يعنى العمل مع العاملين داخل المصنع فحسب .. بل يمتد عمله إلى حياة العمال فى خارج المصنع أيضاً .. فهو يهتم بالعمال وغيرهم من الموظفين اهتماما شخصيا .. وهم .. أى العمال وغيرهم عنده .. أولا وقبل كل شىء .. مواطنون أعضاء فى المجتمع .. لهم شخصياتهم الاجتماعية .. أى لهم علاقاتهم الاجتماعية العديدة مع أعضاء المجتمع الآخرين . فى ضوء أدوارهم الاجتماعية الأخرى كالهم آمالهم ومشاعرهم .. ولهم كذلك آلامهم ومشكلاتهم ..

واهتمام الاخصائى الاجتماعى الذى يعمل فى ميدان العمال بحياة العاملين وغيرهم من الموظفين فى خارج المصنع .. أقصد حياتهم الشخصية بكل صورها .. يعنى الاهتمام بجعل هذه الحياة باستمرار حياة طيبة كريمة .. تيسر البناء .. بناء شخصياتهم على الدوام وتقف حائلا أمام هدمها أو تحطيمها أو انحرافها .. كما تيسر بناء شخصيات من حولهم من أعضاء أسرهم (آباء .. أمهات .. زوجات .. أبناء بنات .. الخ) .. فهو .. أى الاخصائى .. يهتم بحياتهم الإجتماعية .. وحياتهم الإقتصادية .. وحياتهم الثقافية .. على السواء .

فالعامل كشخص لا بد أن يكون عضوا نافعا فى مجتمعنا الاشتراكى .. يحس بالانتماء إليه .. ويسعد بهذا الاحساس . وهو .. لن يحس بهذا الانتماء ما لم تكن له مكانة اجتماعية يقدرها المجتمع الذى يعيش فيه .. فهو يؤدى ، مثله كأى شخص نافع آخر ، أدوارا إجتماعية عديدة غير دوره فى المصنع .. فهو إبن وأخ وزوج وأب وعضو فى الاتحاد الاشتراكى وعضو فى النقابة وعضو فى النادى الاجتماعى .. وجار .. وصديق .. الخ .. وبقدر اهتمام المجتمع بأدواره بقدر ما تكون مكانته الاجتماعية فى هـــذا المجتمع .. وبقدر ما يكون مرتبطا أوثق الارتباط بمجتمعه .

والأخصائى الاجتماعى الثائر يحاول ما استطاع فى ضوء قيم مجتمعنا الإشتراكى الثائر ومبادئه ومثله العليا .. وفى ضوء دراسة ظروف كل عامل .. أن ييسر الحياة النامية للعامل .. حتى يستطيع أن يؤدى أدواره الاجتماعية خير أداء .. فهو .. أى الأخصائى الاجتماعى يهتم بأسرة العامل .. لأن رعايتها هى رعاية للعامل نفسه يهتم مثلا، بمساعدة العاملين بالتخفيف عنهم ما أمكن من اعباء الانفاق على أعضاء أسرهم ، الانفاق علـــى الغذاء والكساء .. والانفاق على المسكن الصحى الملائم وعلى علاجهم . فالاخصائى يستطيع ، مثلا ، أن ينظم عملا تعاونيا للعمال بقصد توفير الغذاء الملائم والكساء الملائم لهم ولمن يعولون . وهو . . أى الأخصائى الاجتماعى فى ضوء دراسة مساكن العمال أو الموظفين، من حيث ملاءمتها أو بعدها عن مكان العمل أو قربها منه ، وفى ضوء دراسة امكانيات المؤسسة الصناعية التى يعملون فيها ، لاقامة المشروعات السكنية، وفى ضوء دراسة امكانية اسهام العمال فى هذه المشروعات ... يستطيع ، بحق ، أن يؤدى خدمات جليلة فى هـذا المجال . وعلاج العمال أو علاج أعضاء أسرهم أمر حيوى وضرورى .. ولا يكفى العلاج .. بل يجب متابعته . والاولى أن نهتم بالتدابير الوقائية .. فهى ، بالضرورة ، خير من العلاج .. ويستطيع الأخصائى الإجتماعى الثائر أن يقوم بالمعجزات فى هـذا المجال .. إنه ليس طبيبا متخصصا .. ولكن دوره خطير .. ومن غير هذا الدور لا ينجح الطبيب المتخصص فى أغلب الأحيان .. إنه .. أى الأخصائى الإجتماعى يستطيع أن يتصل بكل مصادر العلاج المحلية ، حكومية كانت أو أهلية ، ويدرس إمكانيات الاستفادة منها .. وفضلا عن ذلك يقوم بعملية تتبع المرضى من العمال وغيرهم حتى يتم الشفاء .

والأخصائى الإجتماعى الذى يعمل فى ميدان العمال يستطيع أن ينظم حياتهم

فى خلال أوقات فراغهم .. حياتهم كأشخاص .. وحياة أعضـــاء أسرهم على السواء . وهنا يبرز مجال هام من مجالات طريقة خدمة الجماعة ، التى تعتبر مؤسسة شغل أوقات الفراغ إحدى الجماعات الإجتماعية الأساسية .. فهى جهاز اجتماعى يسهم ، مع الأسرة ومع المدرسة ، فى القيام بعمليات التنشئة الإجتماعية لأعضاء المجتمع .. عمالا كانوا أو موظفين .. طلابا كانوا أو فلاحين .. أو غير أولئك أو هؤلاء ، فهو جهاز يعمل فى محيط كل الفئات .. وفى محيط كل الأعمار .. وفى محيط أعضاء المجتمع الأسوياء .. وفى محيط أعضاء المجتمع غير الأسوياء (مثل المجرمين) .. وهو جهاز يعمل مع الذكور ومع الإناث .. ومع كل أصحاب العقائد على السواء .

وهى .. أى مؤسسة شغل أوقات الفراغ ، بالضرورة ، مؤسسة تربوية قبل أن تكون مؤسسة رياضية أو ترويحية .. أو حتى ثقافية . وهى مجال هام جدا لرعاية العمال فى مجتمعنا ... رعاية تهدف إلى الاسهام فى إعدادهم مواطنين صالحين يعرفون واجباتهم كما يحرصون على حقوقهم .. أقصد .. واجباتهم نحو أنفسهم .. وواجباتهم الإجتماعية نحو أسرهم ونحو بلادهم فى المرحلة التاريخية التى يمر بها مجتمعنا فى الوقت الحاضر .. ولعل بعض أدوائنا الإجتماعية التقليدية (تعاطى المخدرات بأنواعها .. وشرب الخمور .. وحتى الجلوس على المقاهى مثلا) أن تختفى فى محيط عمالنا إذا ما أتيحت لمهنة الخدمة الإجتماعية الثائرة أن تؤدى واجباتها الثورية فى هذا المجال .

ومن واجبات الأخصائى الإجتماعى الذى يعمل فى ميدان العمال أن يهتم اهتماما كبيرا بحياتهم الثقافية . إن حياة العمال الثقافية يجب أن تساير روح العصر

أولا بأول .. حتى تستطيع تقبل كل جديد فى نضج .. ودون ما تعثر . وله .. أى للأخصائى الإجتماعى أن يستخدم من وسائل نقل الثقافة لعماله ، وهى عديدة، ما يحلو له .. وما يستطيع أن يستخدمة ، لديه الكتاب والمجلة .. ولديه الصحيفة كذلك .. ولديه، أيضا ، التليفزيون والسينما والمسرح والإذاعة والندوة .. له أن يستخدمها جميعا .. أو أن يستخدم بعضها .. إستخداما موجهـــا .. يضمن تعديل المفاهيم الخاطئة التى لا تزال تعيش فى أدمغة هؤلاء العمال .. رواسب من الماضى تناقلها الناس عبر الأجيال السالفة .. عبر عصور الظلم والجهل والعبودية ، حتى يعيشوا .. العمال حاضرهم عن وعى وحرية .. وعى العالم بالأمور وحريته .

ومن حق الاخصائى الإجتماعى فى ميدان العمال فى مجتمعنا الجديد .. بل من واجبه .. أن يؤدى دوره بإيمـــان وتفان وإخلاص .. وأن يكون على الدوام متفائلا .. ذلك لأن فئة العمال من الفئات العديدة التى كرمها مجتمعنا الإشتراكى الجديد .. ويكفى أن نذكر الحقوق الثورية التى حصلت عليها الطبقة العاملة ضمن قوانين يوليو ١٩٦١ وما بعدها .. وأن نذكر أن هـذه الحقوق الثورية قد جعلت الآلات ملكا للعمل ، ولم تجعل العمل ملكا للآلات .. وأن العامل أصبح هو سيد الآلة ولم يعد أحد التروس فى جهاز الإنتاج .. وأن نذكر أن هذه الحقوق الثورية قد كفلت حداً أدنى للأجور، واشتراكا إيجابيا فى الإدارة يصاحبه اشتراك حقيقى فى ارباح الإنتاج ، وذلك فى ظل ظروف للعمل ، تكفل الكرامة للانسان العامل .

وقـد رحب الأخصائيون الإجتماعيون الثائرون الذين يعملون فى ميدان العمال بالحقوق الثورية التى حصل العمال عليها .. ترحيبا إنسانيا .. فهم .. أى

هؤلاء الأخصائيون الإجتماعيون الثائرون الصق الناس بالعمال وبأحوال العمال في داخل المصنع وفي خارج المصنع على السواء .. وما أسعدهم إذ يرون هـــذه الفئة الصاعدة من المواطنين ينالون ما يستحقون على أرض الإشتراكية في مجتمعنا الجديد .. حيث قيمة العمل تنال نصيبها من التقدير ، وحيث يعتبر خير ما في الإنسان هو عمله المنتج .. فالعمل المنتج ، كـــا يعلم القارىء ، هو شرط الوجود الإنساني ..

٥ ـ ميدان الخدمة الاجتماعية الريفية

أقصد بميدان الخدمة الإجتماعية الريفية .. مجـــالات اهتمام مهنة الخدمة الإجتماعية في محيط الفلاحين ساكني الريف .. أي ساكني القرى لا المدن . والفلاحون المصريون العرب هم فئة من المواطنين .. أكبر فئة منهم .. ويبلغ عددهم ، في الوقت الحاضر ، ستة عشر مليونا من أعضاء شعبنا .. هـذا الشعب الذي أنتج أول حضارة إنسانية على وجه الأرض .

ولن نعرف الفلاحين ، في يومنا هذا ، إلا إذا عرفنا تاريخهم القديم المستمر وتاريخ الفلاحين هو تاريخ بلادنا منذ أكثر من خمسين قرنا .. منذ مصر القديمة ومنذ أن توالى الغاصبون عليها واحدا بعد واحد . منذ من الامبراطورية القديمة البعيد .. ومنذ أن توالى اغتصاب الفرس والاغريق والرومان والبيزنطيون والترك والفرنسيون والإنجليز وأذنابهم لبلادنا ، وهو تاريخ طويل حافل .. تاريخ مأساة شعب عريق . ولـكن مع ذلك .. وعلى الرغم من كل شيء .. لم يندثر هذا الشعب العريق .. بل بقي وعاش .. وأستمر يبقى ويعيش .

وقد واجه الفلاحون المصريون العرب نصيب الأسد من المأساة .. ولـكنهم ثبتوا أمام العاديات والمحن ثبات تربة مصر ووحدتها .. يهبون أكثر مما يأخذون وربما يهبون كل شيء ولا يأخذون شيئا فمصرنا لا يمكن أن تكون هبة النيل فحسب .. بل هي .. أيضا . هبة الفلاحين .. عاشوا لها وبها .. وأستمروا يصنعون حياتها ويشكلونها على الرغم من العاديات .. وعلى الرغم من المحن . كانوا على الدوام .. يجدون أنفسهم موضوعين بين الارض وأربابها .. من الحكام الغاصبين أو الإقطاعيين المستبدين . وكأنهم بين المطرقة والسندال .. ولـكنهم

مع ذلك كانوا أقرب إلى الأرض الطيبة منهم إلى أربابها الغاصبين .. المستبدين وكانت ضربات هؤلاء الارباب بالمطرقة تزيد التصاقهم .. أقصد الفلاحين .. بالأرض الطيبة (١) .

وأصبح الفلاح المصرى العربى فى عزلة ثقافية رهيبة .. احتفظ بذاته دائما على الرغم مما حوله من عواصف وعاديات .. وعمل فى صمت رهيب ليصنع الحياة دائما .. وكانت قدرته على العمل الخلاق حاضرة دائما إذا ما توافرت له الظروف الملائمة .

واستمر الفلاح على هذه الحال .. حافظا لكيانه .. حتى بزغ الفجر الجديد فجر ثورتنا المجيده .. فجر السد العالى .. رمز ارادة شعبنا الكريم وتصميمه على الإستمرار فى صنع الحياة .. رمز ارادة شعبنا الكريم فى اتاحة حق الملكية لجموع غفيره من الفلاحين لم تسنح لها هذه الفرصة عبر قرون طويلة ممتدة من الحكم الإقطاعى الرهيب .. وأصبح الهدف الأكبر لثورتنا العظيمة هو وصول القرية إلى المستوى الحضرى .. فهو ضرورة عمل .. وهو ، أيضا، ضرورة أساسية من ضرورات التنمية من غير تعال عليها ومن غير خيلاء .. وأصبحت المدينة « مسئولة مسئولية كبرى عن العمل الجاد فى القرية ، حيث عاش الفلاحون المصريون العرب ويعيشون .. ذلك لأن « وصول القرية إلى مستوى المدينة الحضارى وخصوصا من الناحية الثقافية ، سوف يكون بداية الوعى التخطيطى لدى الأفراد ، وهو الوعى الذى يقدر على مواجهة أصعب المشاكل التى تعترض التنمية وتهددها وهى مشكلة تزايد عدد السكان » .

---

(١) الفلاحون: ص ٢١

ولا جدال فان مشكلة تزايد عدد السكان .. أصعب المشاكل التى تواجه مجتمعنا الجديد الذى نبنيه .. قابعـــة فى قرانا .. وهناك من المشاكل الخطيرة الاخرى كثير . نجد منها مشكلة الامية بأنماطها السياسية والإجتماعية والثقافية ، كما نجد منها القديم العنيد الذى يواجه الجديد المصمم .. رواسب الماضى البالية .. التى لا تزال تنخر فى أدمغـــة الملايين من الفلاحين الطيبين .. تشكل لهم مناخا إجتماعيا غريبا يصنع مناخا عقليا أغرب .. تواجه غير مستسلمة قيما جديدة تنبع فى إزدهار من واقعنا الإجتماعى الجديد . ونجد كذلك مشكلة الامراض المتوطنة ومنها البلهارسيا .. وغيرها .. تسعى مفسدة مخربة فى أجسام هؤلاء المواطنين . ومسكن الفلاح كذلك مشكلة من مشاكلنا .. ومشاكل الإنتاج وتطويره هى الاخرى من مشاكلنا الملحة .

ومهما يكن من الامر فقد صمم شعبنا الثائر على مواجهة كل هـذه التحديات وغيرها كثير .. مواجهة ثورية .. تهدف إلى البناء السليم وميدان العمل الثورى فى محيط الفلاحين .. فى الريف المصرى العربى فيه متسع لمجهودات الجميع .. مجهودات كل قائد ثورى .. وكل متخصص ثورى . ذلك لأن ميدان العمل الثورى فى محيط الفلاحين يهدف إلى إعادة بناء مجتمع الفلاحين من جديد .. أى أنه يحتاج إلى مجهودات كل البناة الثوريين .. ومنهم ، بالضرورة ، الاخصائيون الإجتماعيون الثوريون .

وقد بادر الاخصائيون الإجتماعيون منذ عام ١٩٣٩ ببعض التجارب العلمية فى اصلاح القرية .. أى تجارب تستخدم الاسلوب العلمى فى ضوء ظروف المجتمع المحلى . وكان هذا اتجاها جديداً .. اتجاها رائداً .. فى العمل بالنهوض بالمجتمع يغاير الإتجاهات التى كانت متبعة من قبل .

ذهب الأخصائيون الإجتماعيون إلى الريف ، أول ما ذهبـــوا ، إلى قرية « شطانوف » مركز أشمون منوفية ، وإلى قرية « المنايل » مركز شبين القناطر، منذ عام ١٩٣٩ . بدأوا عملهم الرائد فى إخلاص وتفان .. وفى صبر وأمل .. تدفعهم إلى ذلك ثورتهم الرائدة .. كما يدفعهم حبهم الواعى لبلادنا (١) .

ونجحت التجارب فى شطانوف وفى المنايل .. أى نجحت التجارب العلمية التى تعنى بالفلاح .. وحياة الفلاح .. بغرض تحسين حالته ، ورفع مستوى المعيشة فى القرية بأساليب العمل المباشر . وفى عام ١٩٤١ انشئت خمس مراكز إجتماعية أخرى على غرار مركزى شطانوف والمنايل... وتلى ذلك انشأ مراكز آخرى بلغ عددها فى عام ١٩٤٩ ١١١ مركزا .. قفزت فى عام ١٩٥٤ إلى ١٧١ مركزا .

ومنذ عام ١٩٥٢ ... عام الثورةالجيدة.. حتى الآن ، اتجهت الحكومةالثورية إتجاها جديداً فى سياسة الخدمات .. يتفق مع أهدافها الثورية لحل المشكلات الإجتماعية حلا جذريا .. يهدف إلى تعويض الفئات المحرومة ما فاتها فى العهود السابقة .. ويتميز هذا الاتجاه الجديد بسمات معينة .. منها التخطيط .. ومنها عدالة التوزيع .. والتخصص النوعى .. ومنها اللامركزية فى الإدارة . ومنها تكامل الخدمات وترابطها .. وأخيرا وليس آخرا تأكيد الإرادة الشعبية .. إرادة الجماهير (٢) .

وفى أحضان الثورة ولد مشروع الوحدات المجمعةفىالقطاع الريفى .. وبدىء

---

(١) نسجل هنا باعتزاز وفخر مجهودات الزميلان الرائدين إبراهيم المنوفى ومحمد محمد شلبى أول من اقتحم ميدان الخدمة الاجتماعية الريفية فى بلادنا فى عام ١٩٣٩ .

(٢) إبراهيم المنوفى : الخدمات الريفية .. دراسة غير منشورة ، ١٩٦٥ .

فى تنفيذ هذا المشروع فعلا فى عام ١٩٥٤ .. وأصبح عددها فى عام ١٩٦٥ ٣٥٠ وحدة تخدم نحو ١٥٠٠ قرية من قرى ريف بلادنا .. مسكن الفلاحين صانعى حضارتنا وحافظى تراثها .. ومع ذلك لا يزال نحو ٥١٣ منطقة باقية حتى الآن من غير وحدات مجمعة فيها (١) .

ويهدف مشروع الوحدات المجمعة إلى بعض الأهداف .. أهمها ما يلى :

١ ـ تجميع الخدمات والتنسيق بينها على أساس تخطيطى يؤدى إلى النهوض الشامل اقتصاديا واجتماعيا باعتبار المجتمع وحدة متكاملة .

٢ ـ تقديم الخدمات بامكانيات الدولة فى مختلف نواحى الخدمة دون تفرقة أو تعارض أو تمييز نوع منها على الآخر فى نفس المجتمع ، وإنما تؤدى الخدمة بدرجة من الكفاية .. وفى الوقت ذاته تعمل على تيسير أداء الخدمات الاخرى ودفعها إلى مستوى أحسن .

٣ ـ أن تكون الوحدات المجمعة نقط ارتكاز لتنفيذ سياسة الدولة فى القطاع الريفى فهى أداة محلية مشتركة للوزارات التى ترغب فى توصيل خدماتها التى تتصل بحياة سكان الريف إلى جميع ارجائه .

٤ ـ أن تكون الوحدات المجمعة نواة الحكم المحلى .. وذلك بتعاون الاهالى مع موظفى الوحدة واشتراكهم فى تولى شئون المؤسسة التى تعمل على تنمية مجتمعهم والنهوض بكافة شئون حياتهم .

والوحدة المجمعة هى عبارة عن مؤسسة ريفية تعمل على توفير الخدمات

---

(١) المنطقه يسكنها نحو ١٥ ألف نسمة يعيشون فى مجموعة قرى متجاورة تحيط بها مساحه من الأرض الزراعيه تبلغ فى المتوسط نحو خمسه آلاف فدان .

الإقتصادية والصحية والثقافية والإجتماعية .. وهى تتعاون مع أهالى المنطقة على خدمة مجتمعهم ورفع مستوى معيشتهم .

وتقام مبانى الوحدة على مساحة من الأرض تبلغ خمسة فدادين .. يستغل جزء منها للحقل والملاعب .. ويكون موقعها ، عادة ، مجاورا لأحدى القرى التى تتوسط منطقتها وهى مقسمة إلى أربعة أقسام رئيسية هى :

١ - قسم الشئون الصحية .

٢ - قسم التربية والتعليم .

٣ - قسم الشئون الإجتماعية .

٤ - قسم الشئون الزراعية .

ويهتم قسم الشئون الإجتماعية بتحقيق بعض الأهداف .. أهمها .

١ - القيام بالبحوث والدراسات الإجتماعية بمنطقة الوحدة واقتراح البرامج اللازمة للنهوض بها .

٢ - تنفيذ التشريعات والسياسة الإجتماعية التى تضعها وزارة الشئون الإجتماعية.

٣ - اكتشاف القادة المحليين وتدريبهم وتكوين اللجان من بينهم .

٤ - تنسيق الخدمات الإجتماعية الأهلية والحكومية فى منطقة الوحدة وتوجيه الجمعيات والهيئات والمؤسسات بمايعاونها على القيام بمسئولياتها.

٥ - تشجيع المشروعات الإنتاجية الخاصة بالصناعات الريفية .

٦ - المعاونة فى اعداد الرأى العام للتجارب مع مختلف أوجه نشاط الوحدة.

ويضم هذا القسم مكتبة عامة ومتحفا ومعرضا « وورشا » للصناعات وصالة للارشاد وساحة شعبية ودار حضانة (١) .

---

(١) الخدمات الريفيه .

ومع الوحدات المجمعة تعمل جنبا إلى جنب الوحدات الإجتماعية القروية .. والوحدات الأخيرة هى عبارة عن المراكز الاجتماعية التى أنشأتها وزارة الشئون الاجتماعية منذ عام ١٩٤١ ومكاتب الضمان الإجتماعى التى أنشأتها الوزارة فى ضوء قانون رقم ١١٦ عام ١٩٥٠ . وكل وحدة إجتماعية قروية تقوم بتنفيذ جميع اختصاصات وزارة الشئون الإجتماعية فى منطقة يتراوح تعدادها بين ٣٠ ، ٥٠ ألف نسمة .

وتنسيقا للعمل فى تأدية الخدمات بتعاون الوزارات المعنية قامت الاقسام الإجتماعية بالوحدات المجمعة بمباشرة إختصاصات وزارة الشئون الإجتماعية . وتضمنت الخطة الخمسية الأولى إنشاء ٢٥٣ وحدة إجتماعية قروية واستكمال ١٩٤ مجموعة صحية قائمة بوحدات إجتماعية لتجميع الخدمات وفقا للتقسيم الذى وضعه مشروع الوحدات المجمعة . . بحيث تماثل مبانى الوحدة الاجتماعية القرويه مبانى قسم الشئون الإجتماعيه فى الوحدة المجمعه حتى يستكمل باقى أقسام الوحدة .. وقد تم فى الاربع السنوات الأولى من الخطة ٧٣ وحدة إجتماعيه قروية و ٢١ وحدة إجتماعيه مكملة لوحدة صحية قائمه[١].

ولا جدال فى أن دور مهنة الخدمه الاجتماعية فى الميدان الريفى . . واضح كل الوضوح . . وهو دور خطير وهام . فهو أولا دور رائد .. بدأ العمل والتجارب فى ضوء العلم ، أول ما بدأ ، فى قريتى المنايل وشطانوف ..وهو ثانيا دور يستطيع أن يسهم مع غيره من الأدوار الأخرى مثل الطبيب والاخصائى الزراعى والقائد السياسى (الاتحاد الاشتراكى) ، والمهندس ، ورجل الأعلام ، ورجل الدين ..

---

(١) الخدمات الريفيه .

والزائرة الصحية فى سبيل اليقظة الكبرى .. يقظة الفلاح المصرى العربى والنهوض به .. ماديا وإجتماعيا وثقافيا .

أن مشاكل الريف المصرى العربى .. هى مشاكل مجتمعنا .. أو هى أخطر مشاكل هذا المجتمع .. والاخصائى الإجتماعى الثائر يستطيع ، بحق ، وهو القائد الجماهيرى ، أن يلعب دورا إيجابيا فى سبيل حل هذه المشاكل .. ويكفى أن نذكر منها الأمية وتنظيم الأسرة والقضاء على الامراض المتوطنة (١) .

ان محو الامية ، مثلا ، بصورها العديدة فى محيط الفلاحين فى بلادنا تحقيق لضرورة إجتماعية يتطلبها مجتمعنا الإشتراكى الجديد .. والاخصائى الاجتماعى الثائر الذى يعمل فى الريف يستطيع أن يؤدى واجبه فى هذا المجال .. انه .. أى الاخصائى الإجتماعى .. كقائد جماهيرى .. مع غيره من القادة يستطيع أن يحقق هذا الامل أمل محو الامية بصورها العديدة فى محيط الفلاحين .. انه يستطيع أن يثير حماس الملايين منهم بهذه المشكلة .. فالامية مرتبطة مباشرة بحياتهم .. وحياة من يحبون ويعزون .. فضلا عن ارتباطها بقدرتهم الواعيه على العمل والانتاج .

ولن يكون دور الاخصائى الاجتماعى الثائر ، كما يعلم القارىء طبعا ، دور حل المشاكل فحسب .. ففى مجال التنميه الاجتماعيه فى محيط المادة البشريه متسع لاعماله المثمرة .. أن عمليه تكوين المواطن الصالح فى محيط المجتمع الريفى .. المواطن الاشتراكى .. مثلا .. تدخل ، بالضرورة ، فى إختصاصات الاخصائى الاجتماعى الثائر الذى يعمل فى الميدان الريفى .. والامثلة على ذلك واضحه وقد

---

(١) سنتحدث بالتفصيل عن دور الاخصائى الاجتماعى فى مواجهة مشكلتى تنظيم الأسرة والقضاء على الأمراض المتوطنة عند التحدث عن ميدان الخدمة الاجتماعية الطبية فى الصفحات التالية .

سبق أن أشرنا اليها .. أى أن الاخصائى الاجتماعى الثائر الذى يعمل فى ميدان الخدمة الاجتماعيه الريفيه يعمل .. أو يستطيع أن يعمل فى مجـــالات التنمية الاجتماعيه والوقاية الاجتماعية والعلاج الاجتماعى على السواء .. كل ذلك فى سبيل اليقظه الكبرى يقظه الفلاح المصرى العربى والنهوض به .. ماديا واجتماعيا وثقافيا .. فى ظل مبادىء ثورتنا العظيمه .. مبادىء الميثاق .. وقيمه .. ومثله العليا .

٦ – ميدان الخدمة الاجتماعية الطبية

لاجدال فى ان مهنة الطب مهنة قديمة جدا .. بل هى من أقدم المهن الانسانية وهى مهنة تعمل فى ميدانها الانسانى فى ضوء تقاليد انسانية ، وهى من المهن العالمية ، أى هى مهنة توجد فى كل المجتمعات الانسانية .. قديمها .. وحديثها .. كبيرها ، وصغيرها .. أكثرها تعقيدا .. وأقلها تعقيدا . على السواء .

وهى .. أى مهنة الطب .. فى مجتمعنا .. مهنة عريقة .. يتوج أصحابها مكانة اجتماعية رفيعة .. توحى بالرهبة أحيانا .. كما توحى بالحب والرحمة أحيانا أخرى وقد توحى بمشاعر انسانية أخرى عديدة كذلك . فهى تتعامل مع الانسان المصرى العربى صاحب التاريخ القديم المستمر عبر القرون ... منذ أكثر من خمسين قرنا .

ومهنة الطب .. فى مجتمعنا وفى غيره من المجتمعات .. إذ تتعامل مع الانسان .. سواء كان طفلا أو صبيا أو شابا أو رجلا أو كهلا أو شيخا .. ، أو كان ذكراً أو انثى نراه ، بالضرورة ، لايعيش فى فراغ ... بل يعيش فى علاقات اجتماعية على الدوام ... وله أدواره الاجتماعية التى يؤديها فى المجتمع الذى يعيش فيه ... حتى حتى يستطيع أن يعيش فيـــه . أى أن مهنة الطب ، لكى تؤدى مهمتها وتحقق أهدافها ، تهتم بالانسان وهو يعيش واقعه الاجتماعى الحى ... أى تهتم ، بالضرورة بظروفه الاجتماعية .. وبظروفه الاقتصادية .. وبظروفه الثقافية .. على السواء ...

ومهنة الطب .. فى مجتمعنا وغيره من المجتمعـــات .. تهتم فى الغالب بعلاج أمراض الأجسام كل هذه الأمراض وهى تهتم اكثر بالوقاية من هـــذه الأمراض .. ولعلها أن تعنى .. بل هى تعنى فعلا .. بدور التنمية فى محيط المادة البشرية ، من الوجهة الصحية ، حتى يشب أعضاء المجتمع أصحاء الاجسام أقوياء يستطيعون أن يؤدوا واجباتهم الاجتماعية أحسن الآداء ..

وفى ضوء مبادىء الميثاق وقيمه ومثله العليا . نجد أن الرعاية الصحية حق من حقوق كل مواطن .. « بحيث لاتصبح هـذه الرعاية ، علاجا ودواء ، مجرد سلعة تباع وتشترى ، وانما تصبح حقا مكفولا غير مشروط بثمن مادى ، ولابد أن تكون هذه الرعاية فى متناول كل مواطن فى كل ركن من الوطن ، فى ظروف ميسرة وقادرة على الخدمة ، ولا بد من التوسع فى التأمين الصحى ، حتى يظل بحمايته كل جموع المواطنين » ..

وفى ضوء واقعنا الحى .. واقع ظروفنا الحاضرة .. نجد أن عدد الاطباء المصريين العرب ، على تباين اختصاصاتهم ، لايزيد على ١٣٠٠٠ طبيب .. منهم ٧٠٢٤ اطباء صحة و٥٩٧٦ أطباء آخرين . أى أننا نجد أن نحو أربعة أطباء أو أكثر من ذلك قليلا ، فقط ، يخدمون نحو عشرة آلاف نسمه ممن يعيشون فى مجتمعنا الحالى . ومع ذلك فهم أى الأطباء موزعون على مناطق الجمهورية توزيعا غير عادل .. أى أن نسبتهم فى المناطق الحضرية من مجتمع الجمهورية مرتفعة جدا عنها فى المناطق الريفية .. مع ملاحظة أن المناطق الريفية فى مجتمعنا هى ، فى الغالب ، مواطن معظم الأدواء .. (١)

وفى ضوء ماسبق نجد أن مهنة الطب فى كل المجتمعات . وخصوصا فى مجتمعنا فى مسيس الحاجة إلى مهنة الخدمه الاجتماعية . فالانسان ، موضوع اهتمام مهنة الطب ، كما سبق أن أوضحنا ، كائن اجتماعى قبل أن يكون جسدا .. فما الجسد أو العوامل التكوينية للانسان إلا بعض عوامل شخصيته الإجتماعية ، وهى .. أى العوامل التكوينية .. كما تؤثر فى عوامل الشخصية الأخرى .. تتأثر ، بالضرورة ، بها .

---

(١) منصور ابراهيم حسين : التخطيط الاجتماعى داخل الاطار العام للتخطيط ، جامعة الدول العربية ، لجنة التخطيط الاقتصادى والتنسيق الصناعى ، الكويت .. دراسه غير منشورة ، نوفمبر ١٩٦٥ ، صفحه ١٩ .

ومهنة الطب، كذلك ، فى مسيس الحاجة إلى مهنة الخدمة الاجتماعية لأن عدد الأطباء .. فى كل المجتمعات .. وخصوصا فى مجتمعنا .. قليل نسبيا وفضلا عن ذلك فان مهنة الخدمة الاجتماعية ، فى شخص المتخصصين الذين يمارسونها ، هى مهنة تعمل مع الجماهير .. فى المجتمع ككل .. أو فى المجتمعات المحلية .. على السواء والعمل مع الجماهير . أقصد العمل الاجتماعى الثائر فى مجتمعنا الجديد .. ضرورة اجتماعية كبرى للقضاء على بعض أدوائنا التقليدية .. مثل القضاء على مرض البلهارسيا . وهو ، أيضا ، ضرورة اجتماعيـــة كبرى لمواجهة مشكلة كمشكلة تزايد السكان .. وهو .. أى العمل الاجتماعى الثائر ، كذلك ، وقبل كل ذلك ضرورة اجتماعية كبرى لنشر الوعى بين الجماهير .. الوعى بألوانه وأنماطه .. ومنها ، بالضرورة ، الوعى الصحى .

وكما تكون لمهنة الطب قداستها ومجالات اختصاصاتها تكون لمهنة الخدمة الاجتماعية قداستها ومجالات اختصاصاتها . وحتى إذا تباينت الأساليب العلمية المستخدمة فى المهنتين.. فان الهدف واحد.. هو هدف انسانى أولا وقبل كل شىء أن يعيش عضو المجتمع سويا معا فى يستطيع أن يؤدى ادواره الاجتماعيـــة التى يتطلبها منه المجتمع . وهنا نجد فى ميدان الخدمة الاجتماعية الطبية تطبيق التعاون المهنى بارزا .. بل نجد أن هذا التطبيق ضرورة لاغنى عنها .

فمن حق الطبيب فى ضوء البيانات الاجتماعية التى يجمعها الاخصائى الاجتماعى الذى يعمل فى الميدان الطبى .. وكذلك فى ضوء البيانات التى يجمعها الطبيب نفسه عن المريض أو عن المجتمع الذى ينفث المرض .. من حق هـذا الطبيب أن يشخص المرض الذى يفحصه وأن يتعرف على مصدر المرض الذى يتوقعه .. ومن حقه ، فى ضوء هذا التشخيص وهذه المعرفة ، أن يصف العلاج ، ولكن وصف العلاج وحده ، لا يكفى . لأن

متابعة العلاج ضرورة .. وهنا يبرز دور الاخصائى الاجتماعى الذى يعمل فى الميدان الطبى .. يشترك فى هذه المتابعة حتى يشفى المريض .. أو حتى يتم القضاء على مصدر المرض .

وانى كمواطن لايمكن أن أتصور القضاء على بعض أدوائنا التقليدية .. مثل القضاء على مرض البلهارسيا .. عن طريق مهنة الطب وحدها .

ان مهنة الطب ، مع قداستها ، لم تستطع ، حتى الآن ، أن تواجه مرض البلهارسيا فى بلادنا . ان نحو ٦٧٪ من المواطنين فى بلادنا مازالوا يعانون من أعراض هذا المرض الخبيث وآثاره . إن مشكلة مرض البلهارسيا هى ، أولا وقبل كل شىء ، مشكلة انسانية . فهى تسبب متاعب وآلام بشعه لمن يصاب بها وهى تعرقل نمو الأطفال (صناع المستقبل) نموا سليما .. وهى تحطم أجساد البالغين من الرجال والنساء وهى فضلا عن ذلك .. تشكل مشكلة انتاجية كبرى حيث انها تقلل من القدرة الانتاجية للشخص المصاب بمقدار ٣٠٪ . وهى تشكل أيضا مشكلة استهلاكية كبرى حيث يعطى مئات الأطباء آلاف الحقن فى كل يوم فى حدات العلاج الشامل والوحدات الصحية الريفية والمستشفيات ، وحيث تقوم ٦٥٣ وحدة فى ١٩ محافظة بابادة القواقع التى تختبىء فيها ديدان البلهارسيا فى أثناء احدى مراحل نموها ، وتفحص عددا من المجارى المائية سنويا يصل إلى أكثر من ٢ مليون مجرى طولها نيف و ٦٠٠ ألف كيلو متر ، وحيث تقوم ٨٠ معملا من المعامل الفرعية بفحص نحو خمسة ملايين قوقعة فحصا ميكروسكوبيا فى كل عام(١) ...

---

(١) شريف حتاتة : البلهارسيا .. والعمل السياسى روز اليوسف ١٩٦٥ عدد ١٩٤٩ .

ومع ذلك نجد أن هذه المجهودات الجبارة .. والمبالغ الطائلة التى تصرف عليها .. لم تأت بأية نتائج محسوسة .. وأن نسبة الاصابة بالبلهارسيا ما زالت كما هى لم تنخفض .. بل أن المرضى الذين يعالجون بالحقن يعودون بعد بضعة شهور وقد أصيبوا بالدودة الخبيثة من جديد .. أن مواجهة مرض كمرض البلهارسيا مسئولية كبرى .. والاخصائى الإجتماعى الثائر يستطيع أن يسهم ، ما فى ذلك من شك ، فى تحمل هذه المسئولية الكبرى .. أنه مع السياسى الثائر والطبيب الثائر ورجل الاعلام الثائر وغيرهم من المتخصصين الثوريين يستطيعون أن يقودوا جماهير شعبنا الطيب .. فى الريف .. وفى الحضر ليعمل الجميع ، متضافرين ، فى سبيل القضاء على هذا المرض .. أن حملة القضاء على البلهارسيا يمكن أن تثير حماس الملايين لأنها مرتبطة مباشرة بمصالحهم .. بحياتهم .. وحياة أطفالهم .. وبقدرتهم على الحياة وصنع الحياة . أن حملة القضاء على البلهارسيا ، تحت قيادة المتخصصين الثوريين ، هى احدى الفرص الرائعة لإتاحة الفرصة لجماهير شعبنا الطيب أن تنطلق طاقاتهم البشرية الكامنة نحو البناء والعمل الإيجابى تلك الطاقات التى صمدت أمام العاديات والمحن عبر القرون المظلمة السالفة .. أن انطلاق هذه الطاقات الكامنة ، إيجابيا ، يعنى القضاء على الفراغ بأنماطه السلبية .. وعلى الضياع بصوره الباهتة كما يعنى الاتجاه نحو تحقيق أهداف إنسانية موحدة ، أهداف مبادىء ثورتنا المجيدة وقيمها ومثلها العليا .

وانى كمواطن ، كذلك ، لا يمكن أن أتصور مواجهة مشكلة تزايد السكان فى بلادنا عن طريق تنظيم الأسرة عن طريق مهنة الطب وحدها .

ان عدد السكان فى بلادنا يزداد زيادة مطردة ففى خلال نصف قرن تضاعف عدد السكان حوالى مرة وثلث . كان عددهم نحو ١١ مليونا فى عام ١٩٠٧ ، ثم وصل

إلى نحو ٢٦ مليونا فى عام ١٩٦٠ . وهذا معناه زيادة قـــدرها نحو ١٣٦ ٪ فى خلال ٥٣ عاما فقط بينما كانت الزيادة بين سكان العالم إجمالا نحو ٣٩ ٪ فقط فى خلال خمسين عاما فيما بين عام ١٩٠٠ وعام ١٩٥٠ (١) .

ان بعض هذه الحقائق وغيرها عن مشكلة التزايد فى عدد سكان بلادنا تذهل كل مواطن واع فى مجتمعنا فهذه المشكلة هى « أخطر العقبات التى تواجه جهود الشعب المصرى فى إنطلاقه نحو رفـــع مستوى الإنتاج فى بلادنا بطريقة فعالة وقادرة » .

وفى ضوء هذه الخطورة .. خطورة مشكلة تزايد السكان فى بلادنا .. يجب أن تتضافر الجهود كل الجهود فى سبيل مواجهتها . ونحن نواجه هذه المشكلة فى الوقت الحاضر عن طريق « ضرورة الاندفاع نحو زيادة الانتاج بأقصى سرعة وكفاية ممكنة » ونحن نواجهها أيضا « عن طريق محاولات تنظيم الأسرة .

ويجب أن نلاحظ أن عمليات تنظيم الأسرة ليست عمليات طبيه فحسب ، بل هى عمليات توعية وارشاد .. وهى عمليات إجتماعيـــة تنظيمية ثائرة .. وهى عمليات طبيه .. جميعا . ومن حق الاخصائى الاجتماعى الثائر الذى يعمل فى الميدان الطبى ، بل من واجبه ، أن يسهم فى عمليات تنظيم الأسرة .. ان دوره كقائد جماهيرى متخصص .. ييسر هذه العمليات .. أقصد ييسر تحقيق أهدافها . وكما لا نقرر أبدا أن الطبيب ، وحده ، يستطيع أن يقوم بعمليات .. تنظيم الأسرة فى مجتمعنا فى الوقت الحاضر .. كذلك لا ندعى أبدا أن الأخصائى الإجتماعى الثائر ، وحده ، يستطيع أن يفعل ذلك . ان حملات القيام بعمليات تنظيم الأسرة

---

(١) حسن الساعاتى وعبد الحميد لطفى : دراسات فى علم السكان ، القاهرة ، ١٩٦٢ ، صفحة ١٢٣ .

فى مجتمعنا ، وخصوصا ، فى الريف .. فى مسيس الحاجة إلى تضافر الجهود .. جهود المتخصصين الثائرين .. جهود السياسى الثائر .. والطبيب الثائر .. ورجل الاعلام الثائر .. وجهود الإخصائى الإجتماعى الثائر الذى يعمل فى الميدان الطبى ..

ونحن .. فى ضوء ما سبق .. إذ نستخلص بعض الحقائق .. محاولين أن نضع النقاط فوق الحروف .. نقول أن الخدمة الإجتماعية الطبية تعتبر الإنسان أى إنسان .. ليس جهازا جسميا فحسب .. ولكنه شخص إجتماعى يعيش فى المجتمع يؤثر فى غيره ويتأثر بغيره . فاذا كان بعض المواد الغذائية من مأكل أو من مشرب يؤثر فى الجسم الآدمى .. كذلك يؤثر الجسم الآدمى ، كجهاز ، على شخصية الإنسان . والظروف الإجتماعية التى يعيش فى كنفها مريض الجسم ، بدورها ، قد تؤثر فى هذا المريض .. أى قد تزيد فى مرضه .. أو تقلل من فرص شفائه .. وربما تؤدى إلى مرض غيره من المواطنين .. أو تساعد على هذا الشفاء .

والخدمة الإجتماعية الطبية تهدف إلى مساعدة المريض وإلى التعاون مع الطبيب .. تفعل ذلك فى المستشفى أو فى خارج المستشفى على السواء .

وهى .. أى الخدمة الاجتماعية الطبية .. لا تعالج الأمراض فقط .. أقصد لا تسهم فى هذا العلاج فقط .. بل هى كذلك .. كمهنة الطب .. تهتم أكثر بالوقاية من هذه الأمراض .. ولعلها أن تعنى .. بل هى تعنى فعلا .. بدور التنمية فى محيط المادة البشرية ، من الوجهة الصحية ، حتى يشب أعضاء المجتمع أصحاء الاجسام أقوياء .. يستطيعون أن يؤدوا واجباتهم الإجتماعية أحسن الأداء [1] .

---

(١) من الأمثلة الرائعة فى ميدان الخدمة الاجتماعية الطبية فى بلادنا ماتقوم به جمعية تحسين =

وعن طريق العمل الاجتماعى الطبى الثائر يستطيع الاخصائى الاجـــتماعى المتخصص ، مع غيره من المتخصصين ، أن يقود الجماهير .. فى حملات تهـدف إلى الإسهام فى بناء مجتمعنا الجديد .. حيث يضيق الخناق فيـــه على الامراض بانماطها .. الامراض التقليدية وغيرها على السواء .. وحيث يـكون أعضاؤه أصحاء معافين .. يستمرون فى إستخدام طاقاتهم البشرية الجبارة .. كل طاقاتهم .. فى سبيل الانتاج ، وفى سبيل صنع الحياة .

= الصحة فى محيط مرضى السل . . فهى تقوم بنقل المريض إلى المستشفى . . فاذا كان عائل الأسرة الوحيد ترعى زوجته وأبناءه ومن يعولهم . وينقل الأطفال إلى مستعمرة الهرم التابعة للجمعيـــة .. وعندما يخرج المريض من المستشفى تيسر له عملا مناسبا .. وتمتد رعاية الجمعيـــة للأسرة فترة من الزمن حتى يتم شفاء المريض ... وأنتهز الفرصة وأحيى من الرواد الأوائل فى هذا الميدان الزميل فهمى محمد بدر.

٧ - ميدان الخدمة الاجتماعية فى محيط المجرمين والأحـــداث الجانحين

فى ضوء قيم مجتمعنا الجديد . . وفى ضوء مبادئه ومثله العليا . . نجد أن من الأهداف الكبرى لهذا المجتمع تكوين المواطنين الصالحين . . أقصـــد المواطنين الأسوياء غير المنحرفين . . والانحراف ، كما يلاحظ القارىء ، أنواع وصور . ومن هذه الأنواع والصور إرتكاب الجريمة بصورها وأنماطها . . أو ممارســـة إرتكاب الجريمة بصورها وأنماطها .

والجريمة هى ظاهرة إجتماعية . . أى أنها توجد ، بالضرورة ، فى المجتمعات الإنسانية . . أى فى محيط البشر . . فى محيط الأحداث الصغار وفى محيط الشباب والبالغين الكبار . . وفى محيط الذكور والاناث . . على السواء ، أنى وجد هؤلاء وحيثما كانوا . . فى المدينة . . أو فى الريف . . أو كانوا يحيون حياة البداوة . . سواء كانوا طلبة أو عمالا . . أو كانوا فلاحين أو موظفين . . أو باعة . . الخ أو كانوا ينتمون إلى الأغلبية . . أو إلى الاقلية . . أو إلى طائفة معينة . . أو ينتمون إلى طبقة معينة . . أو يعيشون ، فى المجتمع ، كأشخاص منعزلين .

ويلاحظ أن الأشخاص المجرمين . . قد يكون منهم الأميـــون ، ومنهم الذين يحظون بقسط من التعليم . وقد يكون منهم اليتامى ، وغـــير اليتامى ، والذين طلقت أمهاتهم ، والذين يكون آباؤهم أو امهاتهم مرضى بمرض مزمن . ومنهم من لهم أخـوة وأخـــوات ، أشقاء أو غير أشقاء ، ومنهم من ليس لهم أخوة واخوات . ومنهم الأطفال غير الشرعيين . . ومنهم من كونوا أسرا

تناسلية .. ومنهم من لم يفعل ذلك .. أو فعلوا ذلك وتهدمت .. أو تصدعت هذه الأسر .

ويلاحظ ، أيضـــا ، أن الأشخاص المجرمين ، أحداثا كانوا أو شبابا أو بالغين ، ذكورا كانوا أو اناثا ، يرتكبون أنواعا متباينة من الجرائم . فمنهم من يرتكب جرائم الاعتداء على الأموال .. ومنهم من يرتكب جرائم الاعتداء على الأشخاص . ومنهم من يرتكب الجرائم الجنسية .. ومنهم من يرتكب جرائم ضد أمن الدولة .. ومنهم من يكون فى حالة من حالات التشرد . ونجد ، أيضا ، أن من الأشخاص المجرمين . من يرتكب نمطا من أنماط الجريمة لأول مرة .. ومنهم من يعتاد ممارسة نمطا أو أنماطا من الجريمة .. ومنهم كذلك من يرتكب الجرائم غير المنظورة بأنماطها العديدة ونجد ، كذلك ، أن من الأشخاص المجرمين ، من يعتبرون مجرمين شواذ ، ومنهم من لا يعتبرون كذلك . ومنهم ذوو العاهات الجسمية ، ومنهم الذين لا عاهة لهم .. وأخيرا .. نجد أن من الأشخاص المجرمين .. من ينتمون إلى ديانات معينة .. ومنهم من ينتمون إلى جنسيات معينة .

ان فئة الأشخاص المجرمين ، إذا حاولنا تصنيفها ، فانه يواجهنا ، فى ضوء ما سبق ، الكثير من الصعوبات . ومع ذلك يمكن القول بأنها فئة ليست فريدة فى نوعها ، إذ اعتبرنا أن مخالفتهم للقـانون ، ما هى إلا مخالفـــة لنوع معين من القوانين السلوكية السائدة فى المجتمع . ومن ثم فالأشخاص المجرمون ، أحداثا كانوا أو شبابا أو بالغين ، ذكورا كانوا أو أناثا ، لا يختلفون عن غيرهم من الناس .. أعضاء المجتمع الآخرين .. الذين يخالفون القوانين السلوكية الأخرى السائدة فى المجتمع .

وفى ضوء نظرتنا الاشتراكية .. وفى ضوء مبادئها وقيمها ومثلها العليا .. وفى ضوء ظروف مجتمعنا النامى .. نرى أنه ، لكى نواجه ظاهرة الجريمة فى مجتمعنا .. بأنماطها العديدة وصورها .. ، يجب أن لا يكتفى بالوقاية من جناح الأحــــداث أو الوقاية من الجريمة فى محيط الشباب أو الكبار ، كما يجب أن لا يكتفى باتخاذ التدابير الضرورية لعلاج من يرتكب من هؤلاء أو هؤلاء أفعالا معينة تعتبر جرائم .. بل يجب أن يكون الهدف هو العمل الجدى فى سبيل تكوين مواطنين يتطلبهم المجتمع الجديد . نحن نرى .. أنه إذا كانت دولتنا النامية تبنى مجتمعها إشتراكيا .. فان هذا المجتمع يكون ، بالضرورة ، مجتمعا ايجابيا .. أى مجتمع يرتفع بنـاؤه دائما ، عن طريق تطبيق الأساليب العديدة للتنمية الإجتماعية . سواء كان ذلك فى ميدان المادة الإنتاجية أو المادة البشرية على السواء .

وأهداف تطبيق أساليب التنمية الإجتماعية فى محيط المادة البشرية هى تكوين المواطن الإشتراكى ، فى ضوء تحديد سمات الشخصية الضرورية لشخصيته الإنسانية ، من حيث نواحيها الجسمية والعقلية والعاطفية والإجتماعية . مع الأخذ فى الاعتبار مستوى النضج الضرورى لهذه النواحى حتى يكون شخصا صحيحا ناميا .. يحب الخير والكرامة الإجتماعية .. ويستطيع أن يواجه قوانين السلوك العامة .. ويستجيب للمواقف الإنسانية المتعددة إستجابة سليمة ويكون مدربا على مواجهة الحياة الإجتماعية،ويستطيع أن يهنأ بالكفاح وبالعمل وبأداء الخدمات العامة .. أى ليستطيع ، كشخص ، أن يؤدى أدواره الإجتماعية فى ضوء ما يتوقعه منه المجتمع الاشتراكى .. الجديد .

ويلاحظ أن تحديد هذه السمات مهمة كبيرة ما فى ذلك من شك . وهى

مهمة يجب أن يخطط لها ، كما يجب أن يناط بتنفيذها لأجهزة إجتماعية متخصصه فى كل من القطاعين الأهلى والعام . . وبخاصة تلك التى تعـــنى بعمليات التنشئة الإجتماعية فى المجتمع . . كالأسرة . . والمدرسه . . والنادى الإجـــتماعى . . والمنظمة الدينية . . وأجهزة الأعلام . . الخ ودور مهنة الخدمة الإجـتماعية ، فى ضوء ما ذكر فى الفصل الحالى والفصـــول السابقة ، عن بعض هذه الأجهزة الإجتماعية . . دور بارز . . دور كبير .

واذا كان دور مهنة الخدمة الإجـتماعية فى مجالات تطبيق أساليب التنميـة الإجتماعية فى محيط المادة البشرية دورا واضحا . . فان دورها فى مجالات تطبيق أساليب الوقاية الإجـتماعية فى محيط المادة البشرية ، ومنها أسـاليب الوقاية من الجريمة ، واضح . . وضرورى . . كذلك . ويعنى مفهوم الوقاية من الجريمة ، فى رأى الـكاتب ، وقاية المجتمع من وجود أشخاص مجرمين ، أحداثا كانوا أو شبابا أو بالغين ، ذكوراً كانوا أو أناثا . . أى القيام بالتدابير الاجتماعية والاقتصادية والتربوية التى تحد من وجودهم . أى التدابير التى تحفظ المواطنين الاسوياء . . أسوياء ، أو التى تصحح الظروف الإجتماعية التى تعتبر ضارة لأنها تهدد المواطنين الصالحين . . الاسوياء . . أو أسرهم . أو تهدد معـايير المجتمـع الذى يعيشون فيه .

ويرى الـكاتب . . ولعل القارىء أن يرى مثله . . أن العناية بالاحداث الجانحين إذا ما وجدوا ، أى القيام بالتدابير الاجتماعية والاقتصادية والتربوية لعلاجهم ، أى إعادة تنشئتهم إجتماعيا ، ليصبحوا مواطنين صالحين فى المجتمع . . أى أشخاصا يستطيعون أداء أدوارهم الإجتماعية المشروعة التى يتطلبها منهم المجتمع الـكاتب يرى . . أن القيام بكل هذه الأمور من قبيل الوقاية الايجابية للمجتمع

منهم فى نفس الوقت . الوقاية منهم وهم أحداث جانحون .. ثم الوقاية منهم قبل أن يشبوا ويصبحوا شبابا جانحا أو كبارا جانحين .

ويلاحظ أن مجال العمل الوقائى فى ميدان الجريمة متعدد النواحى . وأهم هذه النواحى هى : العمل مع الاسرة ومع المدرسة والعمل فى ميدان شغل أوقات الفراغ والعمل مع المؤسسات الدينية .. ومع العيادات النفسية .. ومع رجال الشرطة .. ومع المحاكم .. الخ .

ودور الخدمة الاجتماعية فى مجال العمل الوقائى فى ميدان الجريمة يبدو واضحا فى ميدان الاسرة قبل أن تنشأ وقبل أن تتصدع ماديا أو نفسيا وحتى بعد هذا التصدع . فهو يستطيع أن يعمل مع العاملين المتخصصين فى مراكز الاسرة الوقائية فى مجالات التدابير الخاصة بما قبل الزواج والتدابير الخاصة برعاية الأطفال طبيا ونفسيا والامهات الحوامل ودور الحضانة .. فضلا عن عمله فى عمليات التأمين الإجتماعى والصحى للأسر التى تكون فى حاجة إلى ذلك، وعن عمله فى مجالات التدابير اللازمة لمواجهة البطالة،وما يترتب على آثار إصابات العمل وأمراضه فى محيط الاسرة .. وكذلك القيام برعاية أسر المسجونين الذين فى حاجة إلى هذه الرعاية .

ودور الخدمة الإجتماعية فى مجال العمل الوقائى فى ميدان الجريمة يبدو ، أيضاً ، واضحا فى المدرسة .. حيث عن طريقه بالتعاون مع الادوار الإجتماعية الاخرى (الناظر .. المدرس .. الاخصائى النفسى .. الآباء .. الامهات ..) يتحقق التعاون بين المدرسة والاسرة بطريقة مرضية وبخاصة فى القيام بعملية التنشئة الإجتماعية للأطفال .. فاذا تيسر وجود الاجهزة الاجتماعية العلمية

بالمدارس فى كل المراحل .. وذلك للقيام بعمليات الكشف عن بوادر الإنحراف والجريمة والمشاكل السلوكية كان للاخصائى الاجتماعى ، بالضرورة ، نصيب الأسدَى هذه العمليات.

ونحن ننادى بدعم مكاتب الخدمة الاجتماعية المدرسية والتوسع فى انشائها وتزويدها بالعدد الكافى من الإخصائيين الاجتماعيين وغيرهم من القادة المتخصصين ..

ونحن إذ نضم صوتنا إلى طلب موالاة الاهتمام بزيادة عدد الأندية والمحلات والساحات الشعبية والمرافق الترويحية وفق تخطيط سليم يراعى فيه توزيع هذه المرافق على المناطق والاحياء تبعـــا لحاجاتها . . ندعو فى الواقع إلى العمل الوقائى فى ميدان الخدمة الاجتماعية فى محيط المجرمين والأحداث الجانحين[١].

ويلاحظ .. وبخاصة فى ضوء ظروف مجتمعنا الجديد . . أنه يجب ألا يقتصر عمل الإخصائى الإجتماعى فى داخل هذه المؤسسات والمرافق المشار اليها بل يجب أن يمتد عمله مع عملائه خارجها .. وهم .. أقصد هؤلاء العملاء .. الذين لا يحاولون .. عادة .. الالتحاق بهذه المؤسسات والمرافق .. على الرغم من المغريات وألوان التشويق التى تجذبهم اليها . ومن ثم نرى .. أن

---

(١) يسرنا أن نسجل هنا بفخر واعتزاز المجهودات الرائدة لأستاذنا المغفور له يعقوب فام الذى أشرف على نادى كوبرى الليمون (١٩٣٦) أول نادى للاطفال المحرومين .. ولكل من عاونه من الزملاء: المغفور له زكريا عبد العزيز ومحمد كمال الدين عبد السلام وعبد المنعم شوقى وأنيس عبد الملك وعبد المنعم جاد ومنير عبد العزيز ، كما نسجل مجهودات الذين عملوا فى مجالات المحلات الاجتماعية مثل الطيبى ومصر القديمة والقللى .. وكلها مجهودات رائدة . . نذكر من هؤلاء الزميل أمين صبيحة والزميلة وفيقة غنيم .

لا ينتظر الاخصائيون الاجتماعيون الذين يعملون فى هذه المؤسسات عملاءهم يذهبون اليهم . . بل يتحتم عليهم . . أى على الاخصائيين الاجتماعيين أن يذهبوا إلى عملائهم . . وهذا ما يعبر عنه بالخدمة الاجتماعية الايجابيه ، وهدفها الوصول إلى العملاء الذين لا يمكن الوصول اليهم .

ولا شك أن الدين ، كمصدر هام للكثير من قيمنا الإجتماعية ، يلعب دوره فى الوقاية من الجريمة . . وقد آن الأوان إلى أن تسهم مهنة الخدمة الاجتماعية مع الدين فى بناء مجتمعنا . . وأن تكون المؤسسات الدينية مجالا للتعاون بين رجال الدين والاخصائيين الإجتماعيين .

ولا يخفى دور الاخصائى الاجتماعى الذى يؤديه فى العيادات النفسية . . فهو يستطيع أن يتعاون مع الاخصائى النفسى وغيره من المتخصصين فى مجال الوقاية من الجريمة .

ورجال الشرطة يجب أن لا يكونوا رجال منع للجريمة أو ضبط للمجرمين فحسب . . بل يجب أن يسهموا .. ان عاجلا وان آجلا .. فى مجال العمل الوقائى فى ميدان الجريمه . . ان مهنة الخدمـــة الاجتماعية بالتعاون مع العمل الشرطى يمكن أن تعمل الكثير فى هذا المجال وبخاصة فى محيط الأحداث الجانحين .. وفى محيط المجتمعات المحلية التى تسود فيها ظاهرة الأخـــذ بالثأر مثلا .

ونحن ننادى ، بالحاح ، بادخال نظام الخدمة الإجتماعية بمحاكم الأحوال الشخصية للقيام بدراسة كل نزاع أسرى يعرض عليها واقتراح التدابير التى تحفظ كيان الاسرة . . خصوصاً أسرة التوجيه . . ويستطيع الإخصائى الاجتماعى ،

ما فى ذلك من شك ، أن يعمل الكثير فى هذا المجال بالتعــــاون مع المتخصصين الآخرين مثل الإخصائى النفسى والطبيب [١] .

وإذا أخذنا بالرأى القائل ان المجرمين هم فئة من الاشخاص لا يختلفون عن غيرهم من الاشخاص الآخرين الذين يخالفون القوانين السلوكية الاخرى فى المجتمع .. أى أنهم ليسوا قط فئة فريدة فى نوعها .. وأنهم أولا وقبل كل شىء ، أناس آدميون لم يحالفهم الحظ فى ضوء الظروف الاجتماعية التى عاشوها أو تلك التى يواجهونها .. فخالفوا قانون العقوبات .

واذا عرفنا أن نظرة مهنة الخدمة الاجتماعية نحو عملائها هى نظرة إنسانية .. بصرف النظر عن شخصيتهم ونوع سلوكهم .. وهى .. أى الخدمة الإجتماعية تؤمن بالتغيير .. التغيير إلى الافضل .

وإذا كنا ، نحن الاخصائيين الاجتماعيين ، نؤمن بـ « أن لا كرامة للوطن إلا بكرامة المواطن » .. وأن المجرم مواطن فى مسيس الحاجة الينا .. أى إلى أن نيسر له ، مع المتخصصين الآخرين ، إعادة تربيته حتى يعــــود إلى المجتمع مواطنا كريما . ونحن بهذه النظرة نحو الاشخاص المجرمين والاحداث الجانحين ننظر ، فى الواقع ، نظرة مجتمعنا الاشتراكى الجديد نحوهم .. وهى نظرة تعكس بعض قيم هذا المجتمع نحو معاملتهم .. أى هى نظرة يحدوها الامل فى إصلاحهم واعادتهم إلى حظيرة المجتمع .

فإننا فى هذا الضوء .. نرى ان مجال العمل العلاجى فى ميدان الجريمة .. متعدد النواحى ، مثله فى ذلك مثل مجال العمل الوقائى فى ميــــدان الجريمة ..

---

(١) أنظر ميدان الخدمة الاجتماعية الأسرية ... صفحة : ٢٣٩

وأهم هذه النواحى هى : العمل الشرطى والعمل فى المحاكم ونظام المراقبة الإجتماعية (نظام الاختبار القضائى) والعمل فى المؤسسات الاصلاحية ، ومنها السجون ، والعمل فى المؤسسات الخاصة [1].

ودور مهنة الخدمة الاجتماعية فى العمل الشرطى قد أكدناه فى مجال الوقاية من الجريمة . وهو على جانب كبير من الأهمية فى مجال العمل العلاجى فى ميدان الجريمة . ويمكن لرجال الشرطة أن يفيـــدوا من الاخصائيين الاجتماعيين فى مجالات العمل مع الأحداث الجانحين أكبر فائدة ... وكذلك فى مجالات العمل مع المتشردين والمتسولين ومدمنى الخمر ومدمنى المخدرات والبغايا .

والخدمة الاجتماعية بالمحاكم لها أهميتها الكبرى . فهى بالتعـاون مع فروع العلوم الانسانية الأخرى تقـوم بتنوير المحكمة بالظروف الاجتماعية والنفسيـة والاقتصادية التى يسرت إرتكاب جـرائم المجرمين الذين يحاكمون أمامهـا .. حتى تـكون المحـكمة على بينة من الأمر قبل إختيـار نوع العـلاج الملائم . فالاخصائى الاجتماعى وخصوصا المتخصص فى طريقة خدمة الفرد يستطيع أن يؤدى مع غيره من المتخصصين الدراسات والبحوث التى تطلبها المحكمة والتى تعرف بالبحوث والدراسات السابقة على الحكم .

---

(١) نسجل بكل أعتزاز ما قام به الاخصائيون الاجتماعيون الرواد فى مجال العمل العلاجى فى ميدان الجريمة ، فى بلادنا ، .. منذ عام ١٩٣٨ .. نذكر منهم السيدة الزا ثابت أول مديرة لأول مؤسسة علاجية علمية للاحداث الجانحين «١٩٣٨» .. وهى ، أيضا ، أول مديرة لأول جهاز للمراقبة الاجتماعية فى محيط الأحداث الجانحين «١٩٤٠» .. كما نذكر الذين عاونوها من الزملاء : محمود فهمى ، وأحمد مرزوق ، وعبد العزيز فتح الباب ، وصفية شحاته والمغفور له محمد نور الدين مبارك .. وفى مجال العمل فى المؤسسات الاصلاحية وبخاصة السجـون نذكر على الدوام المغفور له الزميل حافظ العطار .

وفى مجال محاكمة الأحداث نرى أن تكون مهنة الخدمة الاجتماعية ومهنة علم النفس ممثلتين على منصة محكمة الأحداث أسوة بمهنة القضاء ..

وعندما يعمم تطبيق نظام المراقبة الاجتماعية بالمحاكم فى بلادنا .. فيطبق على البالغين والشباب والأحداث على السواء فان دور الخدمة الإجتماعية سيكون ، بالضرورة ، دورا حيويا فى انجاح هذا النظام ..

ومهنة الخدمة الاجتماعية اذ تستخدم طريقة خدمة الفرد وطريقة خدمة الجماعة سيكون لها شأن كبير فى المؤسسات الاصلاحيه (ومنها السجون) . حيث يتسع مجال العمل للاخصائى الاجتماعى فى هذه المؤسسات الاصلاحية اتساعا كبيرا وبخاصة فيما يتعلق بتصنيف المادة البشرية (النزلاء) أو بالعلاج النفسى أو بالبرامج أو بالحياة فى المؤسسة .

وتجب ملاحظة أن هنـــاك فئات من الاشخاص المجرمين لايصح أبدا ، فى رأينا ، إيداعهم بالسجون . ومن هذه الفئات فئات المتشردين والمتسولين ومدمنى الخمر ومدمنى المخدرات والبغايا والمجرمين الشواذ سواء كان شذوذهم جنسياأوغير ذلك . ومن ثم تجب معاملتهم معاملة خاصة .. وذلك بايداعهم فى مؤسسات خاصة .. أو فى مجتمعات محلية علاجية خاصة .. تتفق برامجها مع حاجاتهم ومايتطلب من علاجهم . وللاخصائيين الاجتماعيين ، كما لغيرهم من المتخصصين ، مما فى ذلك من شك ، كما يعلم القارىء ، دور كبير فى هذه البرامج العلاجية ..

ومن الفئات السابقة نذكر فئة مدمنى المخدرات .. نذكر دور الاخصائى الاجتماعى وأدوار المتخصصين الآخرين كالمشرعين والمتخصصين فى علم العقاب وغيرهم من المتخصصين فى الوقاية من السلوك الاجرامى ومكافحته .. أى اننا نذكر أسهام الاخصائى الاجتماعى مع أسهام غيره من المتخصصين فى السياسة

الجنائية التى يتبعها المجتمع، عادة، فى مواجهة هذه الفئة من الأشخاص المجرمين... وغيرها من الفئات .. وأقصد بالسياسة الجنائية مجموعة المبادىء التى يتبعها هؤلاء المتخصصون .. ومنهم الاخصائى الاجتماعى الذى يعمل فى ميدان الخدمة الاجتماعية فى محيط المجرمين والأحداث الجانحين - فيما يتعلق بالتجريم والعقاب والوقاية من السلوك الاجرامى ومكافحته . ولعل هذه السياسة ترى ..أو لابد أن ترى .. فى ضوء قيم مجتمعنا ومبادئه ومثله العليا .. وجود علاقة جدلية بين الشخص المجرم والمجتمع وان الفصل بينهما أمر تعسفى .. أى أنها لاترى .. ولا يمكن ان ترى أن دلة السلوك الاجرامى أو علله تكمن فى الشخص المجرم وليس فى المجتمع .. فهى ترفض حتما القول القائل « إذا صلح أعضاء المجتمع صلح المجتمع » لأن عضو المجتمع المجرم أو غيره لا يمكن أن يعيش فى فراغ .. بل يعيش دائما منذ ولادته فى جماعات اجتماعية أى فى علاقات اجتماعية مستمرة .. إذا صلحت هذه الجماعات ، وهى قوام المجتمع ، صلح هذا العضو أو فسد هذا العضو . وهى إلى جانب هذا .. أقصد السياسة الجنائية .. تؤمن بأن الانسان ليس قالبا جامدا تحدد سلوكه حتميات ثابتة أبدية لا يمكن تغييرها ..ولكنها ترى أن الانسان يمكن تغييره .. وأن المجرم بالتالى يمكن إعادة تنشئته الاجتماعية . فقط علينا أن نسلك لذلك الوسائل المناسبة التى تؤدى إلى تحقيق الغرض .. وذلك فى ضوء اتباع المنهج العلمى فى عمليات الدراسة وفى عمليات التطبيق على السواء (١)..

ونحن إذ نحدد فئة من فئات الأشخاص المجرمين .. أى فئة مدمنى المخدرات..

(١) السيد يس : دراسات فى السلوك الاجرامى ومعاملة المذنبين .. القاهرة .. دار الفكر العربى ، ١٩٦٣ ، ص ٢٤٧ .

نحاول ، فى الواقع ، ان نضرب مثلا حيا .. هو تجربة الصين فى مكافحة المخدرات .. لقد قضت الصين، كما يعلم القارىء على المخدرات فى مجتمعها فى وقت قصير . أدهش العالم قاطبة . ولعل هذه التجربة الناجحة توضح كيف يجند المجتمع تحت قيادة المتخصصين الثائرين من أبنائه .. الجماهير فى حملات تهدف الى الاسهام فى بنائه السليم .. حيث يضيق الخناق فيه على الأمراض بأنماطها .. جسمية كانت أو نفسية أو اجتماعيه .. وسيلاحظ القارىء عند عرض التجربة الصينية فى مكافحة المخدرات فى مجتمعها .. كما سجلها « ياو » المستشار بوزارة الداخلية لجمهورية الصين الشعبية فى مقـــاله المنشور فى مجلة المخدرات التى تصدرها هيئة الأمم المتحدة عام ١٩٥٨ (٢) - سيلاحظ القارىء الأدوار القياديه الثائرة التى قادت حملة المكافحه .. سيلاحظ القارىء حتما دور المشرع الثائر .. ودور رجـل الاعلام الثائر ، كما سيلاحظ ، أيضـا ، دور رجل الشرطة الثائر .. ودور الطبيب الثائر .. ودور السياسى الثـائر .. ودور الاخصائى الإجتماعى الثائر . سيلاحظ القارىء هذه الأدوار .. وكيف قام أصحابها كل حسب تخصصه ، وكل حسب خبرته ، بقيادة الجماهير الصينية .. الجماهير التى يصيب أعضاؤها الادمان على المخدرات .. والجماهير التى لا يصيب أعضاؤها الادمان على المخدرات . على السواء . لقد كانت مكافحة الادمان على المخدرات .. بصورها العـديدة .. فى محيط أعضـاء المجتمع الصينى .. تحقيق لضرورة إجتماعية يتطلبها المجتمع الصينى . وقـد قام المتخصصون الثائرون فى هذا المجتمع منهم ، بالضرورة الإخصائى الاجتماعى الثـائر . بأداء واجباتهم فى هـذا المجال . قاموا كقادة جماهير .. واستطاعوا تحقيق هـذا الأمل .. أمل القضـاء

---

(٢) دراسات فى السلوك الاجرامى ومعاملة المذنبين .. صفحات ٢٤٩ ــ ٢٥٨ .

على ادمان المخدرات بصوره العديدة فى وقت قصير .. أدهش العالم قاطبة . أثاروا حماس الملايين من أعضاء المجتمع الصينى ، عن وعى علمى، بهذه المشكلة. فادمان المخدرات مرتبط مباشرة بحياتهم .. وحياة من يحبون ويعزون .. فضلا عن إرتباطه بقدرتهم الواعية على العمل والانتاج .

يرى « ياو » أن تقسيم مشكلة الادمان على المخدرات الى ثلاثة أقسام يساعد كأساس للدراسة المنهجية لهذه المشكلة ... وهو ، أيضا ، نافع لبيان كيفية إمكان تنفيذ برنامج العلاج .. وهذه الأقسام هى :

١ - الكشف عن المدمنين وتسجيلهم .

٢ - علاج مدمنى المخدرات .

٣ - الوقاية من الادمان على المخدرات.

ويلاحظ أن الكشف عن مدمنى المخدرات وتسجيلهم أمر صعب جدا .. يجد ذلك كل متخصص أتيح له الاتصال بموضوع القضاء على إدمان المخدرات . ذلك لأن الشخص إذا ما أصبح مدمنا على المخدرات فانه يحاول ، عادة ، إخفاء هذه الحقيقة بكل وسيلة ممكنة .. حتى ولو كان يتمنى أن يقلع عن الادمان . انه أى الشخص المدمن .. يقع فى حالة من حالات التناقض مع نفسه . . فهو قد يقدر تماما التدابير التى تصطنعها الدولة للقضاء على الادمان . . وهو ، فى الوقت نفسه ، يتردد فى التقدم للعلاج .. وهناك أسباب عديدة لهذا التردد . . نذكر منها ما يأتى :

١ - يعانى مدمنو المخدرات ، بوجه عام ، من مركب نقص .. إذ أنهم يخشون العقوبات القانونية . . كما يخشون الاحتقار الإجتماعى ، فهم يعتقدون أنه إذا ما كشف الستار عن إدمانهم ، سوف يتعرضون هم وأسرهم لبعض الوان

من العقوبة فضلا عن احتقار المجتمع .. ومن هنا نراهم يسيرون متثاقلين يمارسون حياة بائسة .

٢ ـ يستعمل بعض الناس المخدرات كأدوية لبعض آلامهم . ونجد هؤلاء الناس يخشون إذا ما كشفت السلطات الحكومية عن إدمانهم أن ينقطع إمدادهم بالمخدرات فتتضخم آلامهم .

٣ ـ ومن العمال من يعتمد على العقاقير المخدرة لتحفظ عليهم قواهم . وهؤلاء يخشون إذا ما انقطعت عنهم المخدرات أن يعجزوا عن العمل وعن إعالة أسرهم وهم ، فى سبيل أن يتعيشوا ، يتجاهلون ببساطة الآثار الضارة لادمان المخدرات ولا يعنون إلا قليلا بما قد يحدث فى المستقبل .

٤ ـ وهناك ، أخيرا ، من يتعاطون المخدرات بغرض المتعة فقط . وهؤلاء الناس يجدون ضربا من الاثارة والبهجة الحسية فى تعاطى المخدرات .. ونراهم يفضلون أن يكونوا ضحايا للمخدرات على أن يعانوا لفترة موقوتة يشفون أنفسهم من هذه العادة الذميمة .

ويضاف إلى كل ذلك أن بعض هؤلاء المدمنين ربما يكون قد أخبر خطأ أن الشفاء من إدمان المخدرات أمر مستحيل .. ومن ثم تجدهم لا يرغبون فى اجتياز عمليات العلاج .

ومهما يكن من الأمر فالخطوة الأولى التى يجب أن تتبع فى سبيل مكافحة الادمان على المخدرات .. وهى قد أتبعت فعلا فى تجربة الصين .. هى أن نتفهم العقبات الاجتماعية والنفسية فى محيط المدمنين .. ونزيلها . ان هذه العملية .. عملية تفهم العقبات .. محاولة ضرورية .. وهى محاولة يمكن أن تشبه بالمعركة مع عدو من الأعداء .

وقد سار الصينيون في هذا الطريق في ضوء خبرة أحد خبراء الاستراتيجية في الصين القديمة . كان لهذا الخبير بعض التعاليم الحكيمة التي أمكن للصينيين السير على هديها في معركتهم مع المخدرات .. منها ، مثلا ، « أن تعرف خططك ، وأن تكون عليما بالوسائل التي يتبعها عدوك ، ذلك يكفل لك نصرا دائما » .. ومنها ، أيضا ، .. « أن قهر القلوب والعزائم أهم من مهاجمة المدن » ..

وقد وضعت الحكومة الصينية المبـــادىء السابقة في الاعتبار وهي تستخدم الطريقتين الآتيتين في العمل ، كاستراتيجية وتكتيك، في معركة القضاء على المخدرات في المجتمع الصيني .. وهما :

١ - يشجع مدمنو المخدرات على التسجيل الاختياري لأنفسهم باصطناع وسائل البحث وحملات الدعاية الواسعة النطاق .

٢ - اجبار المدمنين للخضوع للعلاج .. وذلك بالبحث عنهم وكشفهم .

وتعني الطريقة الأولى اجراء شبيها بدعوة العدو في المعركة .. إلى التسليم . وهدفها تحقيق هزيمة هذا العدو بغير اطلاق رصاصة واحدة . ولتحقيق هـــذا الهدف كان لا بد من القيام بحملات دعاية على أوسع نطاق ممكن .. تحاول أن تقدم للجماهير الحقائق عن الآثار المدمرة للمخدرات بطريقة مقنعة .. كما تحاول للتغلب على العقبات الإجتماعية والنفسية التي تمنع المدمنين من اتباع الطريق السليم .. أن تذيع على نطاق واسع كيفية تنفيذ قوانين المخدرات التي تساعد المدمنين على حل مشاكلهم حتى يصبح كل شخص ، مدمن أو غير مدمن ، عليما بها .

وقد تبنى المسئولون بعض الأمور ذات الأهمية البالغة في خلال هذه المرحلة . منها ، مثلا ، تحديد يوم معين ينتهي عنده التسجيل الاختياري والمدة المناسبة

لذلك من شهر إلى ثلاثة شهور .. وقد امتثل لنصح السلطات الحكومية بعض مدمنى المخدرات .. وقدموا أنفسهم طائعين للهيئات المختصة بعلاج المخدرات .. بقصد التسجيل . ولوحظ بحذر بالغ التغاضى عن ماضى هؤلاء .. ووجوب معاملتهم بعطف ورحمة .. وتجنب استعمال الكلمات المبتذلة معهم تماما .. وذلك بقصد تنمية احترامهم لأنفسهم بدلا من مضاعفة مركب النقص المدمر الذى يعانون منه .

وينصح « ياو » فى ضوء خبرته الواقعية العلمية ، أن يكون مدمنو المخدرات على يقين من أن الحكومة مصممة على تنفيذ التنظيمات التى وضعتها للقضاء على المخدرات ، حتى يعلموا أنه ليس فى الإمكان وليس فى مصلحتهم التهرب من التسجيل وحتى يغتنموا هذه الفرصة ليخلصوا أنفسهم .

كما ينصح « ياو » ، أيضا ، أنه ينبغى على الحكومة أن تضع فى الاعتبار ضروب القلق التى ستنتاب المدمنين عندما يقدمون أنفسهم للتسجيل ، والصعوبات التى سيواجهونها قبل الشفاء من الادمان وبعد هذا الشفاء .. كما ينبغى أن توضع التنظيمات المناسبة لتأكيد حق المدمنين فى مساعدة الحكومة لهم فى حل مشكلاتهم .. فبالنسبة للأشخاص الذين يستخدمون المخدرات كادوية لآلامهم ، مثلا ، ينبغى أن توضع التنظيمات التى تكفل علاجهم من هذه الآلام فى الوقت الذى يكونون فيه تحت العلاج من الادمان . كما ينبغى ، أيضا أن تقدم المساعدات لأسر المدمنين حتى لا يقلقوا على أسرهم وكيف تعيش فى أثناء فترة العلاج (يلاحظ القارىء دور الاخصائى الإجتماعى الواضح فى كل هذه العمليات) .

وبعد أن يتم تسجيل المدمنين فى هذه المرحلة .. مرحلة تطبيق الطريقة الأولى ..

ينبغى على الحكومة أن تنظم عملية مد المدمنين المسجلين بالمخدرات فى خلال الفترة التى يجتازون فيها عملية الإنسحاب .

وكل ما سبق يقتضى من المسئولين عناية بالغة فى التنفيذ حتى لا يخلق أى شك فى أذهان المدمنين .. أو أسرهم .. أى أن أى وعد يقطعه المسئولون على أنفسهم ينبغى أن ينفذ .. أى أن الوعود الفارغة ينبغى تجنبها .. ذلك لأن المحافظة على الهيبة فى تنفيذ تدابير قمع المخدرات أمر بالغ الأهمية .. فهو يؤكد مكانة عالية للمسئولين على تنفيذ هذه التدابير .. وإذا مافقدت هذه المكانة أو تزعزع بنيانها مرة ، فان أى قدر من الكلام لن يكون له جدوى .. هذه نقطة بالغة الأهمية .. وينبغى أن توضع فى الاعتبار .

وتعنى الطريقة الثانية : اجبار المدمنين للخضوع للعلاج وذلك بالبحث عنهم وكشفهم .. اتخاذ اجراء جديد .. فور انتهاء المدة المحددة للتسجيل الاختيارى عن طريق الحث والترغيب .. وينبغى تحديد تاريخ معين للقيام بهذه الخطوة حتى تتميز عن اجراءات التحرى والقبض العادية .

ومن المستحيل أن نتوقع أن يخرج جميع المدمنين من مخابئهم .. ذلك لأن عادة تعاطى المخدرات غالبا ما تكون عميقة الجذور . ولذلك يجب أن تتحرك القوى السياسية والإجتماعيه القادرة لاجبار المترددين من المدمنين على التقدم للعلاج . وتبدو فائدة تحديد التاريخ المحدد لهذه الخطوة ، فى أنه يعتبر كتحذير للمدمنين المترددين بأنهم لا يستطيعون التأخر عن التقدم أكثر من ذلك .. وهو فى نفس الوقت يذكى حماس هيئات الموظفين الذين يحاربون المخدرات لكى يقوموا بمهمتهم فى الكشف عن المدمنين دفعة واحدة .

وتنبغى الاشارة إلى أن حملات التحرى والقبض تستمر بصفة دورية تطبيقا

للقوانين واللوائح ، بغرض الكشف عن مدمنين جدد أو عن عائدين ، وذلك بعد الانتهاء تماما من حملات الدعاية ضد المخدرات. ولكى يميز بين عمليات التحرى والقبض التى تتم مباشرة عقب انتهاء حملة الدعاية ضد المخدرات ، فانه يشار إلى عمليات التحرى والقبض الدورية بـ « التحرى العمومى » و « القبض العمومى » وحتى فى خلال فترة التحرى العمومى والقبض العمومى، فان الحكومة تعطى فرصة أخيرة للمدمنين الذين لم يسجلوا أسماءهم وتدعوهم إلى الاستفادة بنظام « التسجيل الذى يترتب عليه العفو عن المدمن » . . ويلاحظ أن الفرق بين هذا التسجيل والتسجيل الاختيارى أن الأول يتم فى وقت متأخر ، إلى جانب أن المدمن يمكن أن يعاقب طبقا للقانون . وهو يعفى من العقوبة لا لشىء إلا لأنه أظهر علامات الندم بتسليم نفسه للسلطات، إلى جانب أن المدمن الذى يسجل نفسه اختياريا يعامل كشخص مريض ينشد المساعدة . . ولا يصبح مذنبا فى نظر القانون . وهذا هو السبب فى أن هؤلاء يسجلون أنفسهم فى هيئات العلاج من المخدرات ويلقون معاملة خاصة فأسماؤهم ، مثلا ، لا تذاع علنا .

ويلاحظ أنه إذا ما بدأت فترة التحرى العمومى والقبض العمومى تتخذ بعض التنظيمات منها ما يلى :

ـ تنظيم فرق التحرى . . وتتكون هذه الفرق من ممثلين عن الهيئات المسئولة شخصيا عن القضاء على المخدرات وغيرها من الهيئات العلمية . وتزور هذه الفرق الأماكن المختلفة . . وبخاصة الأماكن التى تمارس فيها حياة الليل كصالات الرقص والمطاعم ومراكز التسلية .

ـ إنشاء مراكز خاصة لتلقى البلاغات . . فيشجع أعضاء المجتمع . . الجماهير

لكى يعطوا السلطات المختصة بلاغات شفويه أو كتابية عن مدمنى المخدرات ويستطيع المبلغون، إذا ما أرادوا ، أن يخفوا شخصياتهم .

- مضاعفة الجهود فى الكشف عن موزعى المخدرات والمدمنين على السواء . فيطلب من تجار المخدرات المقبوض عليهم ، مثلا ، أن يدلوا بأسماء جميع مدمنى المخدرات الذين كانوا يبيعون المخدرات لهم .. وفى مقابل ذلك توقع عليهم عقوبات مخففة وبالمثل يطلب من مدمنى المخدرات المقبوض عليهم أن يدلوا بأسماء المدمنين الآخرين الذين يعرفونهم .

- توقيع أصحاب المساكن على قرار الابلاغ عن المدمنين .. فيشجع هؤلاء الأشخاص على التوقيع على هذا القرار .. ويعطى الذين يثبتون منهم جدارة فى هذا الشأن .. أى فى الابلاغ عن المدمنين بطريقة مرضية ألقابا شرفية .. منها ، مثلا لقب « حضرة المحترم صاحب المسكن » (Honeurable House hold) .

- التحرى فى المستشفيات العامة والخاصه والعيادات .. حيث تجرى تحريات دقيقة فى هذه الأماكن لمعرفة هل قبل بها مدمنون بغير تصريح رسمى من عدمه .. وحيث يطلب، فى نفس الوقت ، من الاطباء الممارسين أن يعطوا قائمة بأسماء مدمنى المخدرات الذين كانوا من مرضاهم فى وقت من الاوقات .

- فحص المدمنين المشتبه فيهم .. وهؤلاء هم الذين قبض عليهم بناء على بلاغ ضدهم . ويحول المدمنون المشتبه فيهم إلى مراكز الفحص لفحصهم .. فاذا ماثبت ادمانهم يرسلون إلى مراكز علاج المخدرات ، وترسل معهم تقارير الفحص ـ التقارير الاخرى الضرورية وذلك لعلاجهم .. وتلصق أسماؤهم فى الاماكن العامة .. ثم يقدمون للمحاكمة بعد افراج مراكز العلاج عنهم .

ولضمان أن تؤتى هاتان الطريقتان : التسجيل للمدمنين .. واجبارهم على العلاج ثمارهما يرى « ياو » ضرورة مراعاة بعض القواعد الرئيسية .. منها ما يلى :

- يجب أن تتحرك كل القوى الممكنة التى يمكن استخدامها فى المهاجمة الشاملة لمدمنى المخدرات .. فالملاحظ أن هناك مدمنين فى جميع القطاعات. وأن الكشف عنهم جميعا لايتطلب تنسيق العمل بين جميع الهيئات المعنية فحسب ... بل إنه فوق كل ذلك يتطلب تعاون القوى الاجتماعية ، وبعبارة أخرى . . أن الكشف عن المدمنين لا يمكن أن يكون مهمة الحكومة فقط .. بل انه ، أيضا ، واجب كل عضو فى المجتمع . وفى هذا الضوء يجب الى جانب وضع القوانين التى تهدف الى القضاء على المخدرات أن تنمى بين أعضاء المجتمع كافة اتجاهات تلقائية ضد المخدرات (يلاحظ دور الخدمة الاجتماعية وغيرها من المهن الانسانية فى هذا المجال .. مجال تنمية المادة البشرية فى المجتمع) ، وعلى هذا يتيسر وجود قوة اجتماعية قوية فى المجتمع تتعاون مع الاجراءات الحكومية .. وكلها تهدف الى حث المدمنين على العلاج وإلى تيسير عمليات التحرى عنهم فى القبض عليهم ... وإذا ما جابه المدمنون فى المجتمع الجزاءات القانونية والأخلاقية جميعاً . نتوقع تكوين الايمان عندهم بأنه لاأمل لهم فى الهروب . وأن عليهم أن يسرعوا إلى العلاج المبكر .

- يجب أن يكون أعضاء المجتمع المسئولون منهم عن حملة مكافحة المخدرات ، وغيرهم .. صادقين فى الكلام وفى الأفعال وأن يعرفوا أحسن السبل لتحقيق النتائج المرجوة .. ويلاحظ أن أحسن السبل ليس فى العادة أيسرها . فلا يكفى أن نملك القوة ، مثلا ، بل لابد أن نستخدمها بأفضل الطرق إن كنا ، فعلا ، نود أن نحصل على نتائج طيبة. ويلاحظ ، أيضاً ، أن ما يدعو المدمن الى أن يستجيب ببطء هو أنه يريد أن ينتظر ليرى .. يرى ، مثلا ، هل الحكومة جادة فى تطبيق

الاجراءات التى أعلنت عنها أولا ؟ ... وعما إذا كان تنفيذ القوانين التى وضعت للقضاء على المخدرات لن يقف بعض الدوائر فى طريقها . . ويعرقل تنفيذهـا ، وبالتالى تصبح عقيمة ولا جدوى منها ؟ ...

وقد أشرنا من قبل الى أن المسئولين عن الحملة . . حملة مكافحة المخدرات . (فى الحكومة وفى غيرها من الهيئات) ينبغى عليهم أن يحفظوا كلمتهم .. ولعلى أنسب طريقة هو أن ندع الحقائق تتحدث عن نفسها . . فمن الممكن ، مثلا ، أن نحقق نتائج ممتازة بالعرض العام لمجموعات من الأشخاص الذين شفوا من ادمان المخدرات . . واستفادوا ، فعلا ، من المميزات التى وعدهم بها المسئولون ولعل إزالة الشك من أذهان المدمنين تبدو واضحه إذا جعلنا بعض الأشخاص ذوى المكانة العالية فى الدوائر السياسية والاجتماعية أهدافا أولى حينما تطبق الطريقتان اللتان أشرنا اليهما من قبل . . ومن ثم يؤمن غيرهم بأن الدولة جادة فى تحقيق أهدافها من حملة مكافحة المخدرات . . يضاف الى ذلك . . أن توقيع العقوبة على مدمن ينتمى الى الدوائر الهامة . . يؤدى دوره بطريقة فعالة جدا فى تحذير جميع الأشخاص الآخرين ...

وفى ضوء كل ماسبق يرى القارىء بعض الملامح الرئيسية لتجربة الصين فى مكافحة المخدرات ، عرضناها ، بقصد إبراز النجاح الذى يمكن أن تحققه السياسة الجنائية الرشيدة فى مكافحة صورة من صور السلوك الاجرامى فى المجتمع ...

ولم تكن الصين هى الدولة التى قامت ، وحدها ، بالتجارب فى هذا الميدان . . ميدان الخدمة الاجتماعية فى محيط الأشخاص المجرمين والأحداث الجانحين ... ولكن فى بلادنا منذ عام ١٩٣٨ قام الاخصائيون الاجتماعيون المصريون فى هذا الميدان بالتجربة تلو التجربة . منها ، كما أشرنا سابقا ، تجربة إنشاء أول مؤسسة علاجية علمية للاحداث الجانحين (١٩٣٨) . . ومنها تجربة إنشاء أول جهاز

للمراقبة الاجتماعية بالمحاكم فى محيط الأحداث الجانحين (١٩٤٠) ، أو ما يسمى بجهاز الاختبار القضائى . . ومنها إنشاء أول دار للملاحظة (١٩٤٥) . . وإنشاء أول دار للضيافة (١٩٤٩) . . وغيرها . . وفضلا عن هذا ما قاموا به . . أى الاخصائيون الاجتماعيون مع غيرهم من المتخصصين من التدابير الوقائية فى هذا الميدان . . فى محيط الأسرة مثلا . . وفى محيط شغل أوقات الفراغ (النادى الاجتماعى والمحلة والساحة . .) وفى محيط المدرسة . . الخ . .

ويلاحظ أن تطبيق نظام المراقبة الاجتماعية بالمحاكم يمثل إتجاها علميا ، وأسلوبا علاجيا للكثير من الأحداث الجانحين . . لا كلهم . . وهو أيضا يمثل مفاهيم جديدة لتفسير السلوك الانسانى الجانح . وفى وقت بدء تطبيقه فى مجتمعنا كان يعتبر . . أى هذا النظام . . تغييرا فى النظرة السائدة نحو الأحداث الجانحين وذويهم . . وقد سبب تطبيقه فى المجتمع بعض التغيرات فى السلطة ، فضلا عن التهديد لبعض المصالح التى كانت سائدة فى ذلك الحين . أى انه قد أوجد أدوارا إجتماعية جديدة فى المجتمع تحاول أن تشق طريقها الى الوجود . .

فوجود المراقبين الاجتماعيين فى ميدن محاكمة الأحداث ، مثلا ، قد سبب ردود فعل متعددة من جانب بعض ممثلى الأدوار الاجتماعية الأخرى كان إتجاه بعض القضاة وبعض ضباط الشرطة نحو المراقبين الاجتماعيين إتجاها طيبا فى بعض الأحوال . وكان إتجاها عدوانيا فى بعض الأحوال الأخرى . وكان المسئولون على تطبيق نظام المراقبة الاجتماعية بالمحاكم . . أقصد الاخصائيين الاجتماعيين . يتوقعون كل ذلك أى أنهم كانوا يتوقعون صورا من الصراع . فواجهوها بحزم . . ودون ما يأس . ذلك لأنهم قد آمنوا بواجباتهم . . وعملوا فى ضوء هذا الايمان على التغيير . . التغيير الى الأفضل ويرجع نجاح ادخال هذا النظام ثم تطبيقه ، فضلا عن ذلك ، فى الواقع ، الى مشكلة

جناح الأحداث نفسها .. كانت مشكلة خطيرة .. وكان لابد من مواجهتها ..
وكان نظام المراقبة الاجتماعية بالمحاكم وسيلة من وسائل هذه المواجهة .. لأنه
نظام قليل النفقات .. وإذا ما طبق تطبيقا سليما كان أجـدى وأنفع ، فى محيط
العديد من حالات الأحداث الجانحين ، من غيره من الوسائل ..

وانتهى هذا العهد ، الآن ، فقد فرض النظام بأدواره الاجتماعية الجديدة ،
نفسه ، على المجتمع ، وأصبح وجوده معروفا ومقبولا ومعترفا به من المجتمع: الدولة
وأعضاء الشعب جميعا. وهذا كسب كبير ما فى ذلك من شك . ولكن لعل الاهتمام
بدراسة الماضى دراسة علمية واعية ، ودراسة الحاضر دراسة علمية واعية تيسر
السبيل إلى تدعيم هذا النظام . فنحن ، فى الواقع ، نملك خبرة أكثر من ٢٥ عاما
فى ميدان تطبيقه فى محيط الأحداث الجانحين . وهى ثروة كبيرة . ونستطيع
فى ضوئها .. وفى ضوء خبرات الآخرين فى المجتمعات المختلفة أن نعمل الكثير فى
سبيل اكمال ما يمكن أن يكون ناقصا .. وفى سبيل إصلاح ما يمكن أن يكون
معوجا (١) ...

ويلاحظ أن نظام المراقبة الاجتماعية بالمحاكم له تعاريف عديدة .. أكدت
ذلك ، بحق ، هيئة الأمم المتحدة .. وحاولت هـذه الهيئة أن تصيغ تعريفا له
شاملا نلخصه فيما يلى :

« نظام المراقبة الاجتماعية بالمحاكم (نظام الاختبار القضائى) هو الاسلوب
الذى يستخدم فى معاملة المذنبين الذين يختارون اختيارا خاصا . وهو يتضمن

---

(١) سيد عويس : تطبيق نظام الاختبار القضائى على الاحداث فى مصر ، أعمال الحلقة الثانية لمكافحة الجريمة للجمهورية العربية المتحدة ٠ ٠ يناير ١٩٦٣ صفحة ٢٠٣ ...

التوقف المشروط لتوقيع العقاب على المذنب في خلال وضعه تحت الاشراف الشخصى والارشاد الضرورى ، أو العلاج » (١) .

وفى المملكة المتحدة يعرف نظام المراقبة الاجتماعية بالمحاكم تعريفا محددا نلخصه فيما يلى :

« هو موافقة المذنب ، بينما يكون مطلق السراح ، على أن يكون ، فى خلال فترة محددة ، تحت إشراف اخصائى اجتماعى متخصص فى طريقة خدمة الفرد ، الذى يعتبر أحد ضباط المحكمة . ويبقى المذنب فى خلال هذه الفترة عرضة ، فى حالة سوء سلوكه ، إلى إعادة محاكمته » .

ويلاحظ أن التعريف الإنجليزى قد تجنب عبارة « التوقف المشروط لتوقيع العقاب » المذكورة فى تعريف هيئة الأمم المتحدة .. وذلك لسببين :

الأول : أن المحكمة تصدر أمرا بالوضع تحت المراقبة الاجتماعية بدلا من الحكم على المذنب بعقوبة ، وذلك بعد تعهده وثقة المحكمة فى هذا التعهد ، لأن المذنب إذا كان حسن السير والسلوك فى خلال فترة المراقبة الإجتماعية حتى نهايتها فكل الاجراءات المتعلقة بجريمته تنتهى . وفى حالة مخالفته للامر بالوضع تحت المراقبة الإجتماعية كأن ارتكب جريمة ثانية مثلا ، فانه يحاكم على الجريمة الأولى والثانية . وقد تكون نتيجة المحاكمة الحكم عليه بالغرامة مع استمرار وضعه تحت المراقبة الإجتماعية . ويضاف إلى ذلك أن العقاب ليس اجراء حتميا فى كل حالة يفشل فيها الشخص المراقب اجتماعيا فى تعهداته للأمر بالوضع تحت المراقبة الاجتماعية .

الثانى : أن تعريف هيئة الأمم المتحدة يتضمن أن المراقبة الاجتماعية ليست

---

(١) قد يكون المذنب حدثا أو شابا أو بالغا .. ذكرا أو أنثى .

عقابا . ولكن يلاحظ أنه فى ضوء وجهة نظر الشخص المراقب اجتماعيا وبخاصة فى المرحلة الأولى للوضع تحت المراقبة الإجتماعية، نجد أن المراقبة الاجتماعية تحمل عنصرا قصاصيا فى شكل الاضطرار إلى الخضوع للاشراف .. [١] ..

وفى بلادنا .. بدأ مكتب الخدمة الاجتماعية لمحكمة الاحداث، فى عام ١٩٤٠، كأول جهاز للمراقبة الاجتماعية فى محيط الأحداث الجانحين . ويلاحظ أنه .. أى هذا الجهاز .. كان تابعا لاحدى الهيئات الإجتماعيـــة الاهلية (الجمعية المصرية للدراسات الإجتماعية) ، ولم تكن لمحكمة الاحداث بالقاهره أو وزارة العدل سلطة الاشراف علية ، بل كانت السلطة كل السلطة لوزارة الشئون الإجتماعية بوصفها السلطة المهيمنة على الجمعيات الخيرية ، ومنها الجمعية المصرية للدراسات الإجتماعية ويلاحظ ، أيضا ، أن وزارة العدل قد اعترفت رسميا بأعمال مكتب الخدمة الإجتماعية لمحكمة الاحداث .. ولكن على الرغم من هذا الاعتراف ، فان رأى الاخصائيين الإجتماعيين الذين يعملون فيه كان رأيا استشاريا ، ويجب أن يقدم هذا الرأى للنيابة وهى تعرضه على المحكمة لترى رأيها فيه . ويلاحظ ، ثالثا ، أن هذا المكتب وبخاصة فى خلال الفترة من عام ١٩٤٠ إلى عام ١٩٤٨ ، قد تعددت مهامه وأغراضه وتحمل أعباء الريادة فى مجال علاج الاحداث الجانحين على الرغم من وجود بعض الظروف المواتية التى مهددت السبيل إلى وجوده . ومن هذه الاعباء ضعف موارده المالية ، وبذل الوقت الطويل فى سبيل اعتراف وزارة العدل بأعماله ، وعدم وجود شرطة خاصة بالاحداث، وضرورة تعديل تشريعات الاحداث وخصوصا قانون الاحداث المشردين(١٩٠٨)، وضرورة سن تشريعات

---

(١) تطبيق نظام الاختبار القضائى على الأحداث فى مصر : صفحتا ٢١٣ — ٢١٤ .

جديدة مثل قانون سلب الولاية على النفس، وعدم استقرار قاضى محكمة الاحداث بمنصبه، وعدم وجود مؤسسات كافية لضعاف العقول وذوى العاهات من الاحداث وعدم وجود مؤسسات كافية لايداع الاحداث فيها (١) .

ويلاحظ ، كذلك ، أن انشاء هذا المكتب ، وبخاصة فى مرحلته الأولى ، كان فى ضوء خبرة سويسرية فرنسية أمريكية . . دعمت على مر الايام بالخبرة الإنجليزية وتوجت ، دائما ، بالخبرة المصرية العربية (٢) .

ولعل من الملائم فى هذه المرحلة أن نتحدث قليلا عن أوجه نشاط مكتب الخدمة الاجتماعية لمحكمة الاحداث . . وبخاصة فى مرحلته الاولى . بدأ هذا الجهاز الاجتماعى أول ما بدأ ، حيث نجد المراقب الاجتماعى والاخصائى النفسى والطبيب

---

(١) بمرور الزمن وخصوصا فى عهد ثورتنا المباركه جدد نظام المراقبة الاجتماعية بالمحاكم الذى كان يمارس فى بلادنا . . خبراته . . ووجد ، بأسلوب أو بآخر ، السند القانونى ، كما وجد العون المادى « أنشىء أول دار للملاحظة فى مدينـــة القاهرة ١٩٤٩ وصدر بعض التشريعات الخاصة بالاحداث الجانحين أهمها قانون رقم ١٢٤ / ١٩٤٩ وقانون رقم ١٥٠ / ١٩٥٠ والمرسوم بقانون رقم ١١٨ / ١٩٥٢ ، وقانون رقم ٤٢٧ / ١٩٥٤ ، وقانون ٤٠٦ / ١٩٥٤ وقانون انشاء الاتحاد العام لرعاية الأحداث رقم ١٩٣ / ١٩٥٤ . وقد طبق نظام الرعاية اللاحقة فى عام ١٩٤٩ ، ونظام الأسر البديلة فى عام ١٩٥٧ ، وأنشىء أول جهاز لشرطة الأحداث فى عام ١٩٥٧ كما أنشىء أول مؤسسة للاحداث الجانحين من ضعاف العقول فى عام ١٩٥٨ . . الخ » .

(٢) لاشك أن الخطوات الهامة التى سبقت انشاء الاتحاد العام لرعايه الأحداث كانت من العوامل التى يسرت انشاءه . وهذا الاتحاد ، وقد أنشىء فى ضوء خبرة مصرية عربية ، يعتبر تتويجا لكل الخطوات والأعمال السابقة التى تمت فى ميدان الخدمة الاجتماعية فى محيط الأحداث الجانحين سواء فى مجال وقايتهم أو فى مجال علاجهم .

النفسى ومحكمة الاحداث .. يعملون معا .. فى سبيل الاحداث الجانحين الذين يقدمون إلى المحاكمة وذويهم . وبالاضافة إلى ذلك كان هذا الجهاز يهتم ، أيضا ، بعدد قليل من الاحداث المشكلين الذين لم يقدموا إلى المحاكمة ، وكان يطلق على هؤلاء « الحالات الخاصة » وكانت تمتد خدمات الجهاز إلى ذوى الاحداث من الحالات الخاصة .. كذلك .

ومهما يكن من الامر فقد كان هذا المكتب على اتصال دائم بمحكمة الاحداث أما أعماله فيمكن تلخيصها فيما يلى :

١ - يرسل وكيل النيابة حالات الاحداث التى يرغب فى ارسالها إلى المكتب وتؤجل قضايا هذه الحالات لمدة شهر حيث يبدأ المكتب دراساته فى خلالها ، وقد يبقى الحدث فى كنف والديه أو مؤسسة الزفاف الملكى أو فى ملجأ السيوفية حتى تتم دراسات المكتب (١) .

٢ - وتبدأ دراسات المكتب بالكشف الطبى على الحدث . وهذا الكشف مهم للغاية لأن الحالة الصحية للحدث ، كعامل من العوامل ، تؤثر على حالته النفسية ومن ثم على سلوكه .

٣ - والخطوة التالية يقوم المراقب الاجتماعى بها ، عادة ، وحده . ويلاحظ أن جميع المراقبين الاجتماعيين فى المكتب ، فى هذه المرحلة ، كانوا من الاخصائيين الاجتماعيين المحترفين . أما عمل هذه الخطوة فينحصر فى القيام بالبحث الاجتماعى وهنا يستخدم المراقب الاجتماعى كل مهاراته وخبراته العلمية كاخصائى اجتماعى ، فيبدأ أولا وقبل كل شىء فى كسب ثقة الحدث وذويه ، ثم يتعرف على أحوال

---

(١) تعرف هذه المؤسسة بعد ثورتنا المباركة بمؤسسة الجمالية الاجتماعية للبنين .

الحدث الحالية وتاريخه الاجتماعى فضلا عن أحوال ذوى الحدث الحالية وتاريخهم الاجتماعى. ويجمع المراقب الاجتماعى كل البيانات التى تلقى الأضواء على أحوال الحدث من مدرسته إذا كان تلميذا أو من مصنعه أو ورشته إذا كان عاملا أو صانعا . وخاصة البيانات المتعلقة بسلوكه ومآثره وتقدمه ..... الخ . ويجمع المراقب الاجتماعى كذلك البيانات الخاصة بشغل أوقات فراغ الحدث من حيث المكان والكيفية والمشاركة مع الآخرين .

٤ - ثم ينتقل الحدث إلى مختبر الذكاء الذى يقوم باجراء اختباراته على الحدث للتعرف على الحدث للتعرف على مواهبه وقدراته ، وهذه الخطوة لها أهمية كبرى إذا عرفنا أنه من غير المعقول وضع الحدث تحت المراقبة الاجتماعية إذا كان ضعيف العقل من مستوى الأبله أو المعتوه . فحالات ضعاف العقول من هذه الانواع فى حاجة إلى رعاية متخصصة أخرى من متخصصين آخرين غير رعاية المراقب الاجتماعى .

٥ - وأخيرا ينتقل الحـــدث إلى يد الطبيب النفسى الذى يتلخص عمله فى الوصول إلى العوامل السيكلوجية ، إذا وجـدت ، التى تسبب عـدم الاستقرار العاطفى للحدث وسوء تكيف الحدث[1] . ويقوم الطبيب النفسى بهذا العمل فى ضوء البيانات المجموعة عن الحـدث وذويه ، طبية كانت أو اجتماعية وكذلك البيانات التى تتعلق بمواهب الحدث وذكائه وقدراته .

٦ - وعندما تكمل الخطوات السابقة ، يجتمع كل من المراقب الاجتماعى (باحث الحالة) ، ومختبر الذكاء والطبيب النفسى ومدير المكتب لدراسة الحالة من

---

(١) أرجو أن يلاحظ القارىء مناقشة مفهوم التكيف الاجتماعى : صفحات ٣٢-٣٥

جميع الزوايا . والهدف الرئيسى من هـــذا الاجتماع هو الوصول إلى تشخيص للحالة الذى فى ضوئه يكتب التقرير الذى يتقدم به المراقب الاجتماعى إلى المحكمة عند محاكمة الحدث ويتضمن هذا التقرير أهم المقترحات المناسبة لعلاج الحدث، وهى تنحصر فيما يلى :

(أ) طلب الحكم بالبراءة ، بعد بيان أسبابها ، إذا اقتنع المكتب بها ، فليس المقصود بالطبع علاج حالة لاتحتاج إلى العلاج .

(ب) التقرير بعدم صلاحية الحالة للوضع تحت المراقبة وذلك إذا قدر المكتب عدم نجاحه فى معالجتها لشذوذ الحدث وحاجته إلى اخصائيين من نوع آخر أو ليأس المكتب من تعاون أهل الحدث أو لان الحدث كبير السن كثير السقطات معتادها ، وغنى عن البيان أن جهود المكتب التجريبية المحدودة أولى بأن توجه إلى الحالات التى يجدى العلاج فيها . أما الحالات الأخرى فيترك للمحكمة البت فى أمرها فى ضوء الدراسات التى أجراها المكتب عليها .

(ح) التقرير بصلاحية الحالة للوضع تحت المراقبة والتماس الحكم بتسليم الحدث إلى أهله تحت اشراف المكتب . فاذا اقتنع القاضى بهذا الرأى وأجاب ملتمس المكتب بدأ المكتب على الفور ينفذ خطة العلاج للحدث فى بيئته :

وتجب ملاحظة أن الجانب الأكبر من أعبـــاء تنفيذ خطة العلاج كان يقع دائمـــا على المراقب الاجتماعى . فهو المعالج المباشر ولكنه يستعين دائما بزملائه فى المكتب : الطبيب والطبيب النفسى ومختبر الذكاء . فهو يستشيرهم ويجمعهم للمناقشة كلما اقتضى الحال . بل هو يستعين فى سبيل نجاح العلاج بكل من يستطيع أن يلجأ اليه من الهيئات والأفراد كالمستشفيات والمصحات والعيادات الخارجية القريبة أو البعيدة وكالشركات والمصانع وأصحاب الأعمال وكرجال الأمن إلى آخره ، كل فيما يمكن أن يقدم إلى الحدث أو إلى أهله من

معونة نافعة : دواء ، أو عمل يجزى ، أو كف لأذى (البلطجية) وقرناء السوء .

وكان المراقب الاجتماعى ، فى هذه المرحلة ، موظفا عاديا . لم يكن رجلا من رجال الشرطة ، أو له علاقة رسمية برجال الشرطة . ان علاقته بعملائه (الحدث وذويه) علاقة مهنية تشوبها الروح الانسانية . لأن نجاحه يتوقف على هذا النوع من العلاقة . فعن طريقه يستطيع أن يخلق جو الثقة الضرورى لفهمهم والتعاون معهم . ولكن على الرغم من ذلك فقد كان من أصعب الأمور على المراقب الاجتماعى فى هذه المرحلة أن ينجح دائما ، فى كسب ثقة الحدث الذى يشرف عليه ، وعلى وجه الخصوص كسب ثقة ذويه . فان فهم هؤلاء ، أو محاولة مساعدتهم ليساعدوا أنفسهم ويحاولوا حل مشاكلهم ، أو محاولة تغيير اتجاهاتهم نحو أبنهم ، كل أولئك لا يمكن تحقيقه الا عن طريق كسب هذه الثقة . ولكن العوائق فى سبيل كسب هذه الثقة كانت متعددة . ومن هذه العوائق ما يلى :

١ - كانت الخدمة الاجتماعية فى ذلك الحين حديثة جدا ، ولم تكن معروفة جيدا حتى عند الكثيرين من المثقفين .

٢ - الأغلبية الساحقة من عملاء المكتب كانوا من المتشككين. وكان الكثيرون منهم يبدون الدهشة من أية محاولة لتغيير أساليب حياتهم بقصد تحسينها . وقد كانوا فى ذلك محقين إلى حد كبير ، حيث عاشوا وغيرهم مثلهم حياة طويلة دون أن يبذل الحاكمون اى مجهود فى سبيل اصلاح احوالهم او تحسينها .

٣ - ان الأغلبية الساحقة من عملاء المكتب قد تعودوا على مجىء المسئولين من موظفى الحكومة اليهم لتنفيذ القوانين ، أو جمع الضرائب ، أو لتتبع المجرمين أو لتحصيل الغرامات منهم التى قد ترجع أسبابها إلى جهلهم أو عدم فهمهم بقوانين الدولة .

٤ - وعلى الرغم من رفع الحجاب من على وجوه النساء فان عدم اختلاط النساء بالرجال كان هو القاعدة . سواء كان ذلك فى الريف ، أو فى بعض الأجزاء فى المدينة . ان مشاركة النساء فى الحياة الاجتماعية فى هذه البقاع ، لم تكن توجد علانية .فرجالهم هم المسؤلون ، عادة ، عن كل شئون الاسرة

وفى ضوء هذه الظروف فان زيارة أحد المراقبين الاجتماعيين من الذكور إلى أسرة الحدث حيث يكون أبوه أو ولى أمره (إذ كان رجلا) غالبا قد تؤول تأويلا فى غير صالح المراقب الاجتماعى ، وربما حطمت الصله بينه وبين أعضاء الاسرة جميعا ، ويكون ذلك ، بالطبع على حساب رعاية الحدث .

ومهما يكن من الامر فان نجاح المراقب الاجتماعى فى كسب ثقة ذوى الحدث الذى يقوم بمراقبته والاشراف عليه يبشر فى أغلب الاحيان بنجاحه فى مهمته .

والعلاج يجرى فى بيئة الحدث نفسها فى أغلب الاحيان . ويحاول المراقب الاجتماعى فيما يحاول اصلاح ما يحتاج إلى اصلاح فيها ، وقـــد يرى نقل أسرة الحدث من حى إلى آخر ، أو ينصح بالحاق الحدث بأحد الاندية الشعبية أو باحدى المحلات أو باحدى المدارس الليلية .

وفى بعض الحالات فى خلال فترة المراقبة ، قد يرى المراقب الاجتماعى ايداع الحدث فى مؤسسة ايداع . وفى هذه الحالة تحفظ الحالة بالمكتب. (قرار الهيئة التنفيذيه للمكتب اجتماع يوم ١٩٤١/٢/٥) .

وتستمر المراقبة مدة أدناها عام وأقصاها عامان ، فاذا أثمرت المراقبة حفظت الحاله بنجاح وأكتفى المكتب باتصالات متباعدة مع الحدث وأهله ونصائح متفرقة يسديها اليهم كلمـــا لزم الامر . أما أن مر عامان ووجد المكتب أن رجاءه فى إصلاح الحدث قد خاب فتحفظ الحالة لفشل العلاج ويصرف الجهد فى غيرها .

على أن بعض الحالات تحفظ أحيانا لاسباب خارجة عن إرادة المكتب كاختفاء الحدث ، أو انتقال إسرته إلى خارج القاهرة ، أو إرساله إلى الاصلاحية تنفيذ الحكم سابق كان موقوفا لعدم وجود مكان خال بها . وفى مثل هذه الاحوال لا يتبين بالطبع ما إذا كان المكتب قد أخطا أو أصاب فى تقرير صلاحية الحالة للوضع تحت المراقبة .

ويلاحظ ان عدد الحالات التى يقوم المراقب الإجتماعى ببحثها ويشرف عليها لم يكن يزيد على خمسين حالة .

ومع أخذ المكتب بالقول القائل بصعوبة تقنين العلاج فى محيط الاحداث الجانحين لانهم يختلفون بعضهم عن بعض وأنه على الرغم من إفتراض بعض أوجه التشابه بينهم فانه يجب الاعتراف باختلاف السمات الفردية لكل منهم ، فانه يمكن أن نلخص ، على وجه العموم ، وسائل العلاج التى كان يتبعها المكتب فى هذه المرحلة فيما يأتى :

أ ـ العناية الطبية بالحدث وذويه .

ب ـ تشغيل العاطلين منهم كل فى أنسب المهن له وبالتالى رفع مستواهم المادى .

جـ ـ حماية الحدث من (البلطجية) وقرناء السوء ويستعان فى ذلك برجال الأمن .

د ـ معاونة الحدث وذويه على حل مشاكلهم المختلفة واصلاح بيئتهم وحياتهم الاجتماعية

هـ ـ نقل الحدث من بيئته إذا تعذر إصلاحها ، كأن يعهد به مثلا إلى بعض الصالحين من ذوى قرباه .

و ـ الإشراف على تعليم الحدث ، وتنظيم أوقات فراغه ، ورسم خطه له فى الحياة يسير عليها وتحديد أهداف سامية يسعى اليها (١) ...

---

(١) تطبيق نظام الاختيار القضائى على الاحداث فى مصر : صفحات ١٥٩ ـ ١٧٢ .

ولعل القارىء أن يرى ، كما يرى الكاتب ، فى ضوء كل ما سبق ، أن القيام بعمليات العلاج الإجتماعى فى ميدان الخدمة الإجتماعية فى محيط الأشخاص المجرمين والأحداث الجانحين .. أمر هام، وأن الاهم منه هو القيام بعمليات التنمية الإجتماعية فى محيط المادة البشرية .. حيث ينمو أعضاء المجتمع مواطنين أسوياء .. وأن القيام بعمليات الوقاية الإجتماعية يأتى بعد ذلك فى المرتبة التالية من الأهمية .. حيث يعيش الاسوياء من أعضاء المجتمع أسوياء فيه . لايجدون الظروف الإجتماعية غير المواتية التى تهددهم أو تهدد أسرهم أو تهدد المعايير فى المجتمع الذى يعيشون فيه .

وإذا كانت الجريمة ، كما سبق القول ، ظاهرة اجتماعيـــة ، أى أن مفهومها وصورها ، وحجمها ، واتجاهاتها .. تختلف من وقت لآخر ، ومن مجتمع لآخر كذلك .. فانه ينبغى لنا لكى نكافحها أن ننبذ الارتجـــال وأن نؤمن بالبحث العلمى .. فالبحث العلمى ، كما يعلم القارىء ، يلقى الأضواء على الحقائق ويكشف القوانين التى تحكم الظواهر ، مادية كانت أو إنسانية ، ومن ثم يتسنى لنا رسم الخطط وتنفيذها .. فالتخطيط فى ذاته ، كما يعلم القارىء أيضا ، سياسة كل سياسه فى شئون دولتنا الرشيدة .

وحيث اننا لا نستطيع فى ميدان السلوك الإجتماعى أن نستفيد مباشرة من نتائج البحوث التى تجرى فى الخارج فانه لابد من اجراء عدد كبير من البحوث من خلال حضارتنا الخاصة .. أى أنه لكى نكافح الجريمة بصورها وأنماطها فى مجتمعنا . ولكى نضبطها ونقى منها .. يجب أن نفهمها ، ولكى نفهمها يجب أن ندرسها ونبحثها فى واقعنا الحى .

ويعتبر انشاء المركز القومى للبحوث الاجتماعية والجنائية خطوة هامه فى سبيل ترشيد الحياة الاجتماعية فى مجتمعنا، ومصداقا لاتجاه حكومة الثورة إلى نبذ الارتجال والإيمان بالبحث العلمى .

ومجال البحوث الجنائية متسع للاخصائيين الإجتماعيين وبخاصة من تخصصوا فى طريقة خدمة الفرد وفى طريقة البحث الإجتماعى .. يتعاونون فيه مع غيرهم من الباحثين الجنائيين والنفسيين وغيرهم .. وهو مجال ليس بجديد على الاخصائيين الإجتماعيين ، فقد اسهموا فيه ولا يزالون .

وانى أرى أن يتسع هذا المجال حتى يستطيع العاملون فيه ، الاخصائيون الإجتماعيون الذين يعملون فى ميدان الخدمة الإجتماعية فى محيط الأشخاص المجرمين والأحداث الجانحين .. وغيرهم - أن يواجهوا ظروف مجتمعنا الخاصة وأن يلاحقوها فضلا عن أن يتنبأوا بما يتطور عنها .

الفصل السادس

الخدمة الاجتماعية ودورها فى تكوين المواطن الصالح

يتضمن هذا الفصل الموضوعين الآتيين :

١ - تكوين المواطن الصالح من الاهداف الكبرى للخدمة الاجتماعية .

٢ - المواطن الصالح فى مجتمعنا الاشتراكى المعاصر .

١ - تكوين المواطن الصالح من الاهداف الكبرى للخدمة الاجتماعية

ان تكوين المواطن الصالح هدف من أهداف الخدمة الاجتماعية .. انه فى الواقع هدف كل الأهداف ، وتحقيقه فى ظروف مجتمعنا الثائر الحاضرة يعتبر ضرورة اجتماعية .. ولعل القارىء أن يرى فى ضوء الفصول السابقة أن دور مهنة الخدمة الاجتماعية فى هذا المجال واضح كل الوضوح .. أى ان هذه المهنة تستطيع بحق أن تبذل الكثير فى هذا المجال . ومع ذلك فاننى أؤكد .. وبكل تواضع أفعل ذلك .. ان هذا الدور .. اقصد دور الخدمة الاجتماعية فى تكوين المواطن الصالح لا يستطيع ان يعمل وحده . فهناك بالضرورة ادوار اجتماعية أخرى تسهم بالعمل الثورى الضرورى ، أو يجب ان تسهم بهذا العمل الثورى الضرورى ..

ويلاحظ ان هذا الموضوع .. اقصد موضوع تكوين المواطن الصالح .. موضوع متعدد الابعاد والزوايا . يحتاج لمعالجته الى العديد من المتخصصين . وما أنا ، كأخصائى اجتماعى ، إلا واحد من هؤلاء .. أى اننى لا ادعى اننى استطيع ان أوفى هذا الموضوع حقه من الدراسة الشاملة واننى اذ اتجاسر واخوض فى هذا الموضوع ، وحدى ، انما أقدم للقارىء العربى احدى محاولات علاج هذا الموضوع وستكون هذه المحاولة ، حتما ، فى ضوء خبراتى فى ميدان الخدمة الاجتماعية العريض .. وهى خبرات محدودة ، وفى ضوء آرائى .. وهى آراء تنبع من هذه الخبرات . ولا أتعنت ، وما لى أن افعل ذلك، وأحاول أن أفرض هذه الخبرات أو هذه الآراء على أحد ولكن يسعدنى ان تتاح لها فرصة النشر ،

كما يسعدنى ان تكون موضوعا للمناقشة الموضوعية بين المواطنين . ولعل فى ضوء هذه المناقشة الموضوعية أن يتحقق ما أبغيه وأن يتحقق ما أرجوه .

ولاحاجة لى الى التكرار فأقول اننا قوم نعيش فى ثورة اجتماعية عارمة ، ونحيا تجربة انسانية عظيمة .. بقصد بناء المجتمع الجديد .. المجتمع الاشتراكى ؛ ان عملية البناء هذه عملية ضخمة .. عملية تاريخية .. وهى فى مسيس الحاجة الى عقول معينة ... والى قـــلوب معينة .. وإلى سواعد معينة . أى الى شخصيات اجتماعية معينة .. قادرة .. واعية . ومن يكون أصحاب هـــذه الشخصيات القادرة .. الواعية .. غير المواطنين الصالحين ؟

ولا حاجة لى كذلك الى ان اعيد القول على القارىء وأزيد اذا اكدت هنا أن المواطن الصالح مفهوم متغير .. فهو فى المجتمع الاقطاعى غيره فى المجتمع الرأسمالى .. وهو فى المجتمع الاخير غيره فى المجتمع الاشتراكى ... أى ان شخصية المواطن الصالح فى كل مجتمع من هذه المجتمعات متباينة . ومن ثم تكون أدواره الاجتماعية التى تتوقعها منه هذه المجتمعات متباينة كذلك .. اى ان نظرته نحو الحياة وعلاقاته الاجتماعية وإتجاهاته وأسلوب تفكيره تختلف ، بالضرورة ، حسب المجتمع الذى يعيش فيه ..

٢ - المواطن الصالح فى مجتمعنا الاشتراكى المعاصر

أبادر فأقول ، فى المرحلة الحاليه من هذه الدراسة ، على سبيل الإجمال ، أننى أقصد بالمواطن الصالح فى مجتمعنا الاشتراكى كل مواطن إشتراكى . والمواطن الاشتراكى هو كل فرد له شخصية إشتراكية ... أى انه كل شخص ، إذا ماواجه أى موقف اجتماعى أو أية مواقف إجتماعية فى كل المجالات الاجتماعية التى يعيش فيها ، يسلك سلوكا اشتراكيا . فهو يسلك هذا السلوك إذا كان يحيا حياته الخاصة ... وهو يسلك هذا السلوك ، أيضا ، إذا كان يحيا حياته العامة . أى أن المواطن الصالح فى مجتمعنا الاشتراكى هـــو الشخص الذى يؤدى أدواره الاجتماعية كما يتوقعها منه هذا المجتمع ... مهما كانت هذه الأدوار الاجتماعية ... أقصد مهما كان مستواها الاجتماعى ، ومهما كانت مكانتها الاجتماعية ، ومهما كانت مجالاتهـــا الاجتماعية ...

وتكتسب الشخصية الاجتماعية ، اشتراكية كانت أو غير إشتراكية ، عادة ، فى المجتمع الإنسانى ... فالمواطنون ، الصالحون منهم وغير الصالحين ، هم أعضاء المجتمع ... أى مجتمع . وهم ، كأعضاء فى المجتمع ، لايعيشون فى فراغ ... أى أنه لايوجد فرد ... أو شخص ... لايعيش فى علاقات إجتماعية دائمة . فكل شخص منا يبدأ حياته ، أول مايبدأ ... أقصد عند ولادته ، فى أسرة ... أى فى جماعة . ربما تكون هذه الأسرة أسرته الطبيعية ... أقصد الأسرة التى ولد فيها ، أسرة أبيه وأمه وأخوته واخواته ، أو أسرته البديلة . وهو منذ ذلك الحين حتى يصير شخصا بالغا ، يصبح ، بالضرورة ، عضوا فى العديد من الجماعات الأخرى . وإذا كانت الظروف الأسرية التى يعيش فيها ظروفا مواتية فان شخصيته تنمو ...أقصد

تتطور . تجده يتطور من طفل لا يهتم إلا بذاته ، يعتبرها مركزا للدنيا بأسرها ، متجاهلا إلى حد كبير حقوق الآخرين وحاجاتهم ... الى شخص قادر على تكوين العلاقات العريضة مع الناس الآخرين . وتزداد رغبته فى ذلك على مر الأيام ، وتمتد هذه العلاقات فى كل مجال جماعى ... فى جماعات المدرسة ... وفى جماعات النادى ... وفى جماعات الصداقة ... حتى تصل ، أخيرا ، إلى العلاقات ذات الصلة بالحياة فى مجتمع البالغين . وفى كل جماعة من هذه الجماعات يتعلم الشخص منا كيف يسلك السلوك الذى يحقق له أكبر مقدار من الشعور بالأمن الاجتماعى . وكل جماعة جديدة يمارس الشخص الحياة الجديدة فيها ... تعتبر له تحديا جديدا . فهو يحاول أن يوفق ، فى خلال هذه العملية ... أقصد عملية ممارسة الحياة الجديدة ، بين تحقيق حاجاته الشخصية الأساسية وبين كسب ثقة الجماعة الجديدة وموافقتها . ويعتبر هذا الكسب ، فى ذاته ، حاجة من حاجات الشخص . وقد تتعارض هذه الحاجة الأخيرة عند الشخص . مع غيرها من الحاجات الأخرى . ومع ذلك فان النمو ... أقصد نمو شخصية معينة ، يعنى وجود هذا التعارض أو هذا الصراع ، كما يعنى وجود محاولات التوفيق ... أقصد التوفيق بين الحاجات الشخصية وبين كسب ثقة الجماعات . وتعنى هذه الصراعات ومحاولات التوفيق وجود خبرات ، وتتراكم هذه الخبرات ... ومن الخبرات الكلية ، حلوها ومرها ، يتكون نموذج معين للشخصية .

وأعضاء المجتمع ، كأشخاص ... أقصد كأفراد لهم شخصيات ، موجودون فى كل المجتمعات ... نجدهم فى المجتمع الرأسمالى ... كما نجدهم فى المجتمع الاشتراكى ... وفى غيرهما من المجتمعات . ولكن نلاحظ أن الطفل ، مهما كان لون المجتمع الذى ولد فيه ويعيش ، هو فرد لم تتكون شخصيته بعد ... أى أن شخصيته لا تزال

فى دور التكوين ، ونلاحظ ، أيضا أن شخصية كل شخص تزداد نموا كلما نما هذا الشخص جسميا ونضج عقليا وعاطفيا ، وكلما نمت خبراته الاجتماعية . . أى كلما ازدادت علاقاته الاجتماعية ، واتسعت مجـــالاتها . . أى كلما تعددت أدواره الاجتماعية التى يؤديها للمجتمع الذى يعيش فيه . ونلاحظ ، مرة ثالثة ، أنه كلما ازداد تعدد الأدوار الاجتماعية عند شخص معين كلما زادت مكانته الاجتماعية إرتفاعا . وتقل مكانة الشخص الاجتماعية كلما قلت أدواره الاجتماعية التى يؤديها للمجتمع الذى يعيش فيه . وترجع قلة الأدوار الاجتماعية عند شخص معين الى بعض العوامل ... منها : المرض المزمن ... المرض الجسمى أو المرض النفسى أو المرض العقلى ، ومنها الشيخوخة ... ، ومنها الفشـل الاجتماعى . ومن مظاهر العامل الأخير صور الانحرافات العديدة ... الانحرافات السياسية والانحرافات الاجتماعية . ويعنى كل ذلك أن نمـــاذج الشخصيات فى المجتمـع ... أى مجتمع ... نماذج مختلفة . لأن ظروف المجتمع ، ككل ، ظروف مختلفة ... فظروف المجتمع فى الحضر ، مثلا ، تختلف عنها فى الريف ... وتختلف عنها فى البدو . ولأن الأشخاص مختلفون ، ولأن خبراتهم الـكلية ، حلوها ومرهـا ، أيضـــا ، مختلفة . أى أن كل شخص فريد فى نوعه . فـــلا يوجد شخصان لهما نفس السمات .. أقصـد نفس السمات الشخصية . والأشخـاص ، كالحيوان وكالنبات وحتى كالجماد ، مختلفون ومتباينون . وأن وجد مـع هذا الاختلاف والتباين ، فى محيط الانسان والحيوان والنبات والجماد ، تشابه ... أى سمات متشابهة ...

وإذا كانت الجماعة ... أو الجمـــاعات ... تصنع الأفراد ... أى تجعلهم أشخاصا ... أى أفرادا ذوى شخصيات ... فأن هذه الجماعات تصنع ... أيضا ، المجتمع ... أى أن هـــذه الجماعات هى قوام المجتمع . كل واحـد منا يبدأ

يبدأ ظهوره فى المجتمع ، أول ما يبـدأ ، فى أسرة عادية ، أو فى أسرة بديلة ... أى فى جماعة . وهذه الأسرة تعيش فى حى فى المدينة ... أى فى مجتمع محلى ، أو تعيش فى ناحية من نواحى القرية ... وهذا الحى أو المجتمع المحلى يرتبط بغيره من الاحياء أو المجتمعات المحلية فى المدينة . وهذه القرية تتصل بغيرها من القرى . وما المدينة أو القرية إلا جماعات ذات مصالح ، أو منظمات إجتماعية مثل المنظمات الدينية والتربوية والاقتصادية . وما المدينة أو القرية إلا جماعات قد تعيش فى طبقات ، أو قد تحاول أن لا تعيش فى طبقات . وما المدينة أو القرية إلا جماعات يظلل أعضاءها مناخ اجتماعى معين ... مناخ اجتماعى قـوامه العقائد والقيم الاجتماعية والمثل العليا . وما المجتمع إلا مجموعة كل ذلك ... أى جماعات تعيش فى مجتمعات محلية حياة جماعية ... أى يعمـلون فى جماعة ، ويتعاونون ويتصارعون ... ويظللهم مناخ إجتماعى ثقافى معين . .

ونحن نلاحظ أن الشخص غير المنتمى الى جماعة لا يوجد فى مجتمع كمجتمعنا إلا نادرا . ولا يمكن أن يكون هذا الشخص شخصا سويا . ربما يكون هذا الشخص مريضا بمرض عقلى ... وربما يكون هذا الشخص شخصا هامشيا . وحتى الشخص الأخـير فهو وإن كان هامشيا بالنسبة الى جماعة إجتماعية معينة أو أكثر ، لا يكون ، بالضرورة ، كذلك بالنسبة الى الجماعات الاخرى . .

وإذا كانت ظاهرة وجود الجماعات فى المجتمعات ظاهرة عامة وضرورية ، فانه يلاحظ ان الجماعة . . اية جماعة ليست اداة سحرية . . أى انها لا تصنع ، آليا ، عجائب التوافق الاجتماعى عند أعضائها . فالناس قد ينتظمون فى جماعة لانهم خائفون ، أو لان الحقد أو التعصب الدينى أو العنصرى . . يجمعهم ، وهم

ينتظمون ، بنفس اليسر ، فى جماعة لأنهم أصدقاء ، أو لأن اهتماماتهم موحدة . وإذا تركت الجماعة ، وحدها ، قد تصبح جماعة منعزله ، او جماعة غير مقبولة اجتماعيا ، او جماعة تميل إلى التعصب بنوعيه .. اقصـــد التعصب الدينى أو العنصرى ، أو جماعة تميل الى الاعتداء على الآخرين أو تميل الى الجناح . ونحن نلاحظ بعض هذه الجماعات الاخيرة أحيانا .. نلاحظها فى الشوارع ، كعصابات الاحداث الجانحين ، أو عصابات البالغين الجانحين ، حيث تزداد مكانة عضو العصابة ارتفاعا كلما ازدادت مهارته فى استخدام المدية .. يعتدى بها على الآخرين، ويحطم بها الاشياء ، أو يكره عن طريقها ضحاياه الذين يعتدى عليهم . ان الجماعة تستطيع ان تعزز فى اعضائها كل الاحتمالات .. وكل الامكانيات .. مهما كانت هذه الاحتمالات أو هذه الامكانيات. فهى قد تعزز فيهم روح الديمقراطية أو روح الخضوع . وهى قد تعزز فيهم تقبل الآخرين أو الشعور بالعداوة ضدهم ، وهى قد تعزز فيهم الجهود البناءة أو الجهود الهدامة . أى ان الشخص منا لا يولد وعنده آفات اجتماعية . انه يصنع .. أى يصنعه المجتمع على علاته . فالقضـــاء على المشاكل الشخصية ، مثلا ، يجب ان يواجه فى المجتمع الذى تصنعه الجماعات التى تصنع الافراد . فنا نحن اعضاء المجتمع ، الا نتاج الظروف الاجتماعية التى نعيش فيها ، والخبرات الاجتماعية التى نتمثلها نتيجة لهذه الظروف الاجتماعية . ان أى شخص منا لم يخترعن طواعية أباه أو أمه ، وهو لم يختر اللغة التى يتحدث بها ، ولم يختر دينه الذى يعتنقه .. ولم يختر كذلك جهاز قيمه الاجتماعية .. ان الآخرين .. أقصد الآباء والرؤساء ومن فى حكمهم فى المجتمع .. أقصد رموز النظام الاجتماعى ولسان حاله .. يكونون جزءا من كل شخص منا ، أى أن سلوكنا وأداء أدوارنا الاجتماعية يكونان « عادة » فى حدود النظام الاجتماعى الذى نعيش فيه . ويلاحظ القارئ أننى قلت « عادة » ولم أقل « دائما » ... ذلك لأن قدرة الجماعات أو قوتها لا يمكن أن تكون مطلقة ... فالقول بأن

الاشخاص ، اعضاء المجتمع ، يصنعهم المجتمع .. اقصد تصنعهم الجماعات التى ، فى ضوء الضرورة الاجتماعية ، يكونون اعضاء فيها، قول ناقص .. اى انه قول يعكس جزءا من الصورة الحقيقية . أى لا يعكس الصورة الحقيقية كلها. لانه إذا كانت الجماعة تصنع الاعضاء، فان اعضاء الجماعة يصنعون الجماعة كذلك . فمايقدمه الاعضاء فى الجماعة من قدرات وآراء ومشاعر يحدد بالضرورة، مدى حيوية الجماعة ومدى تحقيق أهدافها . وما تقدمه الجماعة للأعضاء يعتمد ، بالضرورة ، على مستوى قيمة التجربة أو التجارب التى يصنعها الاعضاء ، معا ، كفريق ، فى داخل الجماعة. والأمثلة على ذلك كثيرة. فالأطفال فى المجتمع نجدهم يأخذون ويعطون.. أى نجدهم يصنعون ويصنعون . نجد ان من حق الطفل الوليد ، مثلا ، ان يأخذ من جماعته الاساسية الاولى .. أى اسرته التوجيهية ، كل ما يحتاج اليه من المأكل ومن المشرب ومن الملبس ومن الأمن الاجتماعى .. فضلا عما يحتاج اليه من الحب ومن الحنان ، ونجده ، كما يأخذ كل ذلك يعطى لأعضاء هذه الجماعة مكانه اجتماعية معينة ، فهو يعطى لابيه حق الابوة ولامه حق الأمومة ولابنائها حق الاخوة..ولأخوة الاب حق العمومة ولأخوة الام حق الخؤوله.. فضلا عن مبادلة الجميع الحب والحنان .. وعندما يكبر هذا الطفل ويصير شخصا بالغا يكون أسرته التناسلية أسرة زوجته وابنائه.. وهو فى كل الحالات يأخذ ويعطى .. أى يصنع ويصنع ..

وإذا اخذنا بالتعريف السابق للمواطن الصالح فى مجتمعنا الاشتراكى .. أقصد المواطن الإشتراكى .. أى الفرد ذا الشخصية الاشتراكية .. فانه لابد لنا أن نعى تماما حدود قدرة الجماعة وقوتها... ونحن إذ نفعل ذلك يجب أن نحاول

دائما أن نوجه هذه القدرة ... أو هذه القوة ... نحو الأهداف الايجابية ... أقصد الأهداف التي يتوقعها منا المجتمع الذى نعيش فيه لكى نحيا حياة طيبة ... حياة أفضل . ونحن فى ظروفنا التاريخية الحاضرة ... نبنى مجتمعا جديدا بقصد تحقيق الحياة الطيبة لأبنائه الطيبين ولبناته الطيبات ... أى بقصد تحقيق حياة أفضل للجيل الحالى ... وللأجيال القادمة . أى أن قدرة الجماعات فى مجتمعنا وقوتها يجب أن توجها، بالضرورة، نحو الأهداف الإيجابية المرجوة أقصد الأهداف الاشتراكية المرجوة . والأهداف الاشتراكية المرجوة لا يحققها إلا المواطنون الصالحون فى مجتمعنا الاشتراكى ... أى المواطنون الاشتراكيون ... فكيف نبنى هؤلاء المواطنين ؟ أن الإجابة على هذا السؤال ليست سهلة . فنحن نرى ما يراه السيد الرئيس جمال عبد الناصر من أن « بناء المصانع سهل وبناء المستشفيات سهل ولكن العسير هو بناء الانسان . بناء الأفراد والمجتمعات » . ونحن نرى أن مجال بناء الانسان هو مجال التنمية الاجتماعية فى محيط المادة البشرية ... أشخاصا كانت هذه المادة أو جماعات . وهو ، فى رأينا ، أولى المجالات بالاهتمام . وأهدافه البناء الإيجابى .. أى تكوين المواطن الاشتراكى ، فى ضوء تحديد السمات الشخصية الضرورية لشخصيته الانسانية . أى أننا نرى أنه لا يمكن أن تكون مسئولية التكوين الاشتراكى للاشخاص هى القضاء على الآفات الاجتماعية التى تعوق هذا التكوين فحسب. ان وضع الأسس السليمة للتنميه الاجتماعية فى مجتمعنا أيا كان مجالها ، هو فى ذاته ، بفضل إيجابيته، قضاء على الآفات الاجتماعية بأشكالها وألوانها وأنماطها . ولكن يلاحظ أن اختيار هذا المجال ، وحده ، لا يكفى . . فالمهم أن نتعرف طريقنا . . أى أن نبدأ . . فكيف نبدأ؟ لقد اتخذنا نمط التخطيط الاشتراكى ، لنا وسيلة الى قيام مجتمع أفضل يعيش فيه الأشخاص والجماعات تحت ظل السعادة والطمأنينة والعدالة والانصاف ، اتخذنا هذا النمط من التخطيط لأنه ، الطريقة الوحيدة التى تضمن استخدام جميع الموارد الوطنية المادية

والطبيعية والبشرية بطريقة عملية وعلميه وانسانية لكى تحقق الخير لجموع الشعب وتوفر لهم حياة الرفاهية ، وهو « الضمان لحسن إستغلال الثروات الموجودة والكامنة والمحتملة ، ثم هو فى الوقت ذاته ضمان لتوزيع الخدمات الاساسية باستمرار ورفع مستوى ما يقدم منها بالفعل ، ومد هذه الخدمات إلى المناطق التى افترسها الاهمال والعجز نتيجة لطول الحرمان الذى فرضته أنانية الطبقات المتحكمة المستعلية على الشعب المناضل » .

أى أن التخطيط الإشتراكى ، فى بلادنا ، عملية مقصودة ووسيلة لنقل مجتمعنا من صورة الماضى المظلم إلى صورة المستقبل المشرق. فهو « عملية خلق علمى منظم يجيب على جميع التحديات التى تواجه مجتمعنا .. وهو ليس مجرد عملية حساب الممكن .. لكنه عملية تحقيق الامل .

وفى ضوء أهداف عملية التخطيط الاشتراكى نستطيع أن نقابل التحدى الذى يواجهنا .. أى أن نتعرف طريقنا إلى تكوين المواطن الاشتراكى .. أى أن نبدأ . وفى ضوء مبادىء عملية التخطيط الاشتراكى نستطيع أن نعرف كيف نبدأ .. أى أن نحاول ، أولا ، أن نحدد سمات شخصية المواطن الاشتراكى .. ثم نحاول ثانيا ، أن نحدد الجماعات الاجتماعية الاساسية التى تيسر تكوين هذه السمات . ثم نحاول ، ثالثا ، أن نخطط طريقة قيام هذه الجماعات الاجتماعية الاساسية بهـــذه المهمة الاجتماعية الضرورية .. أى أن نعرف الدور أو الادوار التى يجب أن تؤديها هذه الجماعات حتى تحقق هذا الهدف الكبير .. تكوين سمات شخصية المواطن الاشتراكى .

أى أن تحديد سمات شخصية المواطن الاشتراكى أمر غير يسير .. وحتى محاولة هذا التحديد ليست سهلة كذلك . ومع ذلك فاننى اتجاسر وأفعل ذلك . اننى

اعترف بأن تحديد سمات شخصية المواطن الاشتراكى ، فى مجتمعنا الثـــائر ، وحتى محاوله هذا التحديد ، يحتاجان ، للقيـام بها أو بأحدهما ، الى العديد من المتخصصين .. يحتاجان إلى الاخصائى السياسى الثائر ، وإلى المربى الثائر ، وإلى الاخصائى النفسى الثائر ، وإلى الاخصائى الاجتماعى الثائر ، والى المشرع الثائر ، وإلى غيرهم من القادة الاجتماعيين .. الثوريين .

ولا يعنى تحديد سمات شخصية المواطن الاشتراكى .. أو محاولة هذا التحديد ، اننا نهدف الى تحويل اعضاء المجتمع إلى قوالب جماعية .. اننا لا نود ان نتعامل ابدا مع قوالب جماعية .. ولكن نود ان نتعامل مع اناس من البشر .. اناس متباينين .. اى اناس من حقهم ان يتباينوا وان يختلفوا . ان اهم اهتماماتنا هو ان نيسر لكل عضو ، عن طريق ارتباطاته بجماعاته ، ان ينضج فى الاتجـاه الذى يميزه عن غـــيره ، وان يصبح ذاته الكاملة ، وان يكون الاحساس بقيمته كشخص ، ليكون ، فعلا وحقا ، عضوا فى المجتمع اكثر نفعا ، واكثر قيمة .

وفى ضوء هذا الاطار المرجعى الطبيعى ، نستطيع ان نحدد أهدافنا . ان اعضاء المجتمع مهما اختلفوا وتباينوا .. اقصد مهما اختلفت سمات شخصياتهم وتباينت .. فانهم ، مع ذلك ، متشابهون .. فأعضاء مجتمعنا مختلفون .. فيهم الذكر .. وفيهم الانثى .. وفيهم الشيخ والكهل والشـاب والصبى والطفل .. ومنهم من يعيش فى الحضر .. ومنهم من يعيش فى الريف أو يحيا حياة البداوة .. الخ . ومع ذلك .فى ضوء تراثهم الثقافى نجدهم يختلفون عن أعضاء المجتمع الانجليزى .. أو عن أعضاء المجتمع الاميريكى .. أو عن اعضـاء المجتمعـات الاخرى . انهم يختلفون .. لأن بعض السمات تجمعهم .. فتراثهم التاريخى واحـــد .. وهم

يتحدثون بلغة واحدة .. وتعتنق أغلبيتهم الساحقة دينا واحدا .. وينظرون إلى الاستعمار نظرة واحدة ..ويعاملون الرجعية معاملة واحدة ..وهم متشابهون عندما يتزوجون ..وعندمايفرحون.. وعندما يحزنون .. وعندما يظهرون فى الكثير من المناسبات كل ما يبطنون .. فى صراحة لامثيل لها .. وعندما يبذلون ويعطون اكثر مما يأخذون ..

ونحن اذ نحاول ان نبنى مجتمعا جديدا .. نحاول ان نستبدل ببعض عناصر التراث الثقافى البالية عناصر ثقافية أخرى جديدة .. نحاول ان نستبدل بالنظرة غير العلمية نظرة علمية .. نحاول أن نستبدل ببعض الألوان الفردية ألوانا أخرى جماعية .. نحاول أن نستبدل بالمرض الصحة .. نحاول ان نستبدل بعدم الثقة بالنفس الثقة بالنفس.. نحاول أن نستبدل ببعض ما يبدو من ملامح اللاوعى السياسى ، فى محيط بعض الفئات ، تيسير ممارسة العمل السياسى عن وعى أكيد ..

ونحن اذ نحاول ان نبنى مجتمعا جديدا .. نحاول ان نؤكد بعض عناصر التراث الثقافى فى مجتمعنا ونثبتها . نحاول ان نؤكد حب الخير والكرامة..نحاول ان نؤكد استطاعة اعضاء المجتمع مواجهة قوانين السلوك العامة .. واستجابتهم للمواقف الانسانية المتعددة استجابة سليمة .. نحاول ان نؤكد التدريب على فن الحيـــاة الإجتماعية .. نحاول ان نؤكد الهناءة بالكفاح وبالعمل وبأداء الخدمات العامة ..

أى أن اهداف مجال التنمية الاجتماعية فى محيط المادة البشرية ، فى مجتمعنا، لا بد ان تكون بقصد تكوين المواطن الاشتراكى .. وذلك فى ضوء تحديد السمات الشخصية الضرورية لشخصيته الانسانية ، من حيث نواحيها الجسمية

والعقلية والعاطفية والاجتماعية .. مع الأخذ فى الاعتبار مستوى نضج هذه النواحى الضرورى حتى يكون شخصا صحيحا ناميا ، يحب الخير والكرامة الاجتماعية ، ويستطيع أن يواجه قوانين السلوك العامة ، ويستجيب للمواقف الانسانية استجابة علمية سليمة ، ويكون مدربا على فن الحياة الاجتماعية، ويستطيع أن يهنأ بالكفاح وبالعمل وبأداء الخدمات العامة ، . . أى ليستطيع ، كشخص ، أن يؤدى أدواره الاجتماعية فى ضوء ما يتوقعه منه المجتمع الجديد .

وصمام الأمان ، فى رأيى ، هو أن نؤكد سمة النظرة العلمية عند المواطن الاشتراكى ، كما نؤكد سمة العمل المثمر ، فى ضوء هذه النظرة، من أجل الآخرين. أن تناول أية ظاهرة ، مادية كانت أو انسانية ، فى مجتمعنا الاشتراكى ، يجب أن يستند إلى أسس المنهج العلمى . ذلك أن الهروب من التفسير العلمى لظواهر مجتمعنا ومشكلاته لا يزيد الأمور الا تعقيدا .وأن فرض اتجاهات غير علمية على تناول قضايا المجتمع لن يقضى على العلم بقدر ما يعوق التقدم الاجتماعى الذى نبغيه . فالمجتمع الاشتراكى مجتمع بناء يواجه مشكلاته دائما بالوسائل العلمية بغرض تغيير الواقع جذريا لتحقيق حياة أفضل . . أى أن المجتمع الاشتراكى يؤكد أن العلم للمجتمع . . أى أنه يؤكد عدم انفصال النظرية العلمية والتطبيق العلمى لها . فلا توجد نظرية علمية .. دون تطبيق علمى .. كما لا يوجد تطبيق علمى دون نظرية علمية . فبالعلم يوضع الأساس الاشتراكى الاقتصادى والثقافى ، لتزدهر فضائل الانسان، وروحانية الانسان . لأن الاشتراكية « تؤمن بأن الجائع أو الجاهل أو العاطل أو القلق على رزق يومه أو رزق غده ، لن يستطيع أن يفكر ويتأمل ويعبد الله ، عن رضا وإيمان ، لا عن خوف أو عن ذل وحاجة » .

ان حياة عضو المجتمع فى جماعات ، كما سبق أن أوضحنا ، أمر ضرورى ..

فهو منذ أن يبدأ حياته يعيش فى علاقات اجتماعية دائمة .. ولعل أهم الجماعات الاجتماعية الأساسية التى يكون عضو المجتمع ، فى ضوء الضرورة الاجتماعية ، عضوا فيها ، هى الجماعات التى تقوم بعمليات التنشئة الاجتماعية لأعضاء المجتمع .. أقصد الأجهزة الاجتماعية التى تقوم باعداد اعضاء المجتمع ليؤدوا أدوارهم الاجتماعية كما يتوقعها منهم المجتمع الذى ولدوا فيه ويعيشون . وتوجد هذه الاجهزة الاجتماعية فى كل المجتمعات .. ولكن وظائفها فى المجتمع الإقطاعى غيرها فى المجتمع الرأسمالى .. وهى أيضا ، غيرها فى المجتمع الاشتراكى .. ذلك لان المناخ الاجتماعى الذى يظللها فى هذه المجتمعات يكون ، بالضرورة مختلفا ، حسب عقائد كل مجتمع وقيمه الاجتماعية ومثله العليا . والجماعات الاجتماعية الاساسية عديدة .. نذكر منها ، على سبيل المثال لا الحصر ، الاسرة والمدرسة ومؤسسة شغل أوقات الفراغ ..

والاسرة ، كاحدى الجماعات الاجتماعية الاساسية ، من أهم هذه الجماعات . فهى وحدة نشاط إجتماعى لاشخاص يعيشون معا فى تفاعل مستمر ، وفى بناء حضارى معين ، وتقوم بسد حاجات إنسانية معينة . والاسرة موجودة فى كل مجتمع .. ويندر أن يفلت منها الطفل العادى فى أى جزء من أجزاء العالم ، وذلك على الرغم من اختلاف العادات التى يمارسها أعضاء هذه الوحدة الاجتماعية الاساسية من مجتمع لآخر . وإذا اعتبرنا الاسرة لبنة أساسية فى المجتمع ، فهى أيضا ، فى مضمونها الاجتماعى ، بناء ذو تكوين معين مسئول عن عدد من الوظائف الاجتماعية والبيولوجية .

وإذا عالجنا موضوع بناء الاسرة أو تكوينها ، من حيث تطوره وما يتوقع له من تغير فى ضوء ظروف مجتمعنا المتغير ، نلاحظ بعض الملاحظات ..

فمن حيث تكوين الاسرة (أو نطاق الاسرة) نلاحظ انه اخذ يضيق شيئا فشيئا حتى اصبحت الاسرة لا تشمل الا زوجا وزوجة ومن يعولان من ابناء . وهذا ما يمكن ان نطلق عليه « الاسرة الفردية » . وبدأ هذا النوع من الاسرة فى المدينة . وهو يتكاثر على الدوام كلما اتسعت رقعة الحضر فى مجتمعنا ، وهذه الرقعه تتسع ويزداد اتساعها على مر الايام ، ونلاحظ انه بظهور الاسرة الفردية «فى مجتمعنا» اختفاء أنواع أخرى من الاسر ، وظهور معالم انواع أخرى من الاسر الجديدة . نلاحظ ، مثلا ، فى وضوح ، بداية اختفاء «الاسرة المركبة» و«الاسرة الممتدة» . وكلما ازدادت نسبة وجود الأسر الفردية فى المجتمع .. او بمعنى آخر كلما اختفت الاسر المركبة والاسر الممتدة من المجتمع .. نتوقع ظهور نوعين واضحين آخرين من الأسر . وذلك من حيث وظائفها الاجتماعية العامة . فنجد الشخص العادى مثلا ، من حيث مكانته الاجتماعية فى محيط الاسرة ، يتحتم عليه ان ينتمى فى خلال حياته الى اسرتين : الاسرة الأولى هى ما يمكن ان نطلق عليها « اسرة التوجيه » ، وهى تتكون من ابويه واخوته . والاسرة الثانية هى « أسرة التناسل » ، وهى تتكون من زوجته وابنائه . ونلاحظ ان هاتين الاسرتين مختلفتان من حيث الوظائف والعلاقات ، وان تشابهتا من حيث التكوين . كما يلاحظ انهما يتجهان نحو الانفصال حيث يتوقع ضعف الروابط بينهما بمرور الزمن .

ونحن نرى أن اهم وظائف أسرة التناسل تنحصر فى تنظيم الإشباع الجنسى بصورة يقرها المجتمع ، وحفظ النوع البشرى عن طريق انجاب الأطفال . أما مهمة القيام بعملية التنشئة الإجتماعية للاطفال .. أى أعدادهم للحياة أعضاء صالحين فى المجتمع الذى ولدوا فيه ، فهى أولى مهام أسرة التوجيه . فهى بحكم

تكوينها تحتوى على جيلين يشتركان معا فى معيشة واحدة . فالزوجان يكونان جيلا سابقا ، والاطفال يكونون جيلا لاحقا. ويعلم الجيل السابق الجيل اللاحق وينقل اليه النماذج الحضارية والثقافية المختلفة التى توجد فى المجتمع .

وجل الأطفال يولدون عادة فى أسر توجيه ، سواء كانت أسرة فردية أو غير ذلك . ولكن يلاحظ ، كما سبق القول ، أن معظم أسر التوجيه وخصوصا فى المناطق الحضرية هى أسر فردية . وكذلك يمكن القول بأن جل أعضاء المجتمع البالغين ينتمون إلى أسر التناسل . ومعنى هذا أننا نتوقع وجود أطفال لا يولدون فى أسر توجيه (الأطفال غير الشرعيين) ، وكذلك وجود بعض أعضاء بالغين لا يتزوجون لسبب أو لآخر . وقد يزداد عدد هؤلاء وهؤلاء بمرور الزمن ...

ونحن نرى أنه بظهور الأسر الفردية فى مجتمعنا لا يمكن أن نتوقع أن تقوم وحدها بعملية التنشئة الإجتماعية للاطفال .. حتى الأطفال الذين ولدوا فى كنفها حيث تكون أعباء الحياة الجديدة عديدة ومتكررة ، وما يترتب على ذلك من توترات نفسية وعدم استقرار .

وفى ضوء مبادىء مجتمعنا الاشتراكية .. نرى أن مجال الاهتمام بالاسرة قبل الزواج وفى أثناء الزواج وحتى بعد الزواج أمر حتمى .. فالهدف الأول لنا ، فى ضوء ظروفنا الاجتماعية ، هو بناء أسر سوية تسهم اسهاما فعالا فى تكوين المواطنين الصالحين فى مجتمعنا الاشتراكى .. نجد مجال هذا الاهتمام فى المراكز الاجتماعية الأسرية الوقائية .. وفى التدابير الطبية الخاصة برعاية الاطفال (الاهتمام طبيا ونفسيا بالأم الحامل ، وكذا الاشراف على عملية الولادة وتتبع الحالة الصحية للأم وللمولود) .. ونجده أيضا فى دور الحضانة لأطفال الامهات

العاملات .. ونجده فى المؤسسات الخاصة بعمليات التأمين الاجتماعى والصحى للأسر .. وفى اتخاذ التدابير اللازمة لمواجهة البطالة وما يترتب على اصابات العمل .. وفى رعاية أسر المسجونين الذين فى حاجة إلى رعاية .. وفى المراكز المشرفة على عملية تنظيم النسل فى المحيط الاسرى، وفى مراكز رعاية الاطفال غير الشرعيين .. ونجده كذلك .. فى تقديم المساعدات الفنية والادبية لارباب الاسر الذين تضيق أرزاقهم عن استيفاء حاجات الاسرة الضرورية .. وفى مجال تعاون الاسرة مع أجهزة عمليات التنشئة الإجتماعية فى المجتمع .. وفضلا عن ذلك نجده فى مجال نظام الخدمة الاجتماعية بمحاكم الاحوال الشخصية للقيام بدراسة كل نزاع عائلى يعرض عليها واقتراح التدابير التى تحفظ كيان الاسرة .. كما نجده فى المؤسسات الخاصة برعاية المسنين .

وفى ضوء مبادىء مجتمعنا الاشتراكى .. نتوقع ازدياد مكانة المرأة العربية ارتفاعا .. كما نتوقع الاعتراف بكرامتها كانسانة تسهم اسهاما فعالافى المجتمع.. فى كل مجالاته .. تسهم فى انتاج المادة البشرية فيه ، وهى مادة لا غنى عنها لأى مجتمع . وتسهم ، فى داخل الاسرة وفى خارجها ، بالقيام بأدوارها الاجتماعية العديدة ، فى بناء المجتمع . وإذا كان مجتمعنا ، ولا يزال ، فى بعض مناطقه ، وفى محيط بعض جماعاته الثقافية.. يعامل أعضاء الجنسين معاملة ثنائية .. أى أن الرجال لهم معاملة معينة ، والنساء لهن معاملة تخالف الرجال ، وتكون المعاملة الاولى.. أى معاملة الرجال ، عادة ، متميزة وتكون معاملة النساء ، عادة ، فى مستوى الحضيض .. فان المواطن الصالح ، فى مجتمعنا ، أقصد المواطن الاشتراكى .. يرفض ، عن إيمان ، هذا النوع من المعاملة . ونحن نرى أن الاعتبارات التى أضطرت النساء إلى قبول وضعهن هذا فى مجتمعنا .. فى بعض مناطقه ، وفى محيط

بعض جماعاته الثقافية .. يجب أن تكون فى سبيلها إلى الاختفاء . ولن يتأتى ذلك إلا إذا انتهى قلق المرأة ، فعلا ، بشأن كسب عيشها ومستقبل أولادها . عندئذ لا تضطر المرأة إلى قبول خيانة الرجل .. وتصبح رغبة الرجل فى الزواج أكثر من رغبة المرأة فى تعدد الأزواج أو تعدد أشباه الأزواج .. أى تصبح المرأة العربية مساوية حقا للرجل .

والمدرسة ، كاحدى الجماعات الاجتماعية الأساسية ، من الأجهزة الاجتماعية الهامة التى تقوم بعمليات التنشئة الاجتماعية لأعضاء المجتمع . أى أن المدرسة ، اليوم لا يمكن أن تكون مجرد بناء يحتجز أحدى فئات المجتمع من التلاميذ والطلبة داخل اطاره بغرض تلقينهم بعض الدروس فحسب .. بل ان المدرسة يجب أن تكون ، بالضرورة ، إلى جانب ذلك ، ومسايرة منها لتطورات الحياة الإجتماعية وما فيها من تيارات تستدعى تنمية الجوانب الاجتماعية والنفسية فى التلميذ أو الطالب لكى يكون أقدر على مواجهة الحياة - مؤسسة تربوية قبل أن تكون مؤسسة تعليمية .

ولعل الهدف الأول من عمليات التربية بين جدران المدرسة ، أن يكون الاسهام فى عمليات التنشئة الاجتماعية التى تبدأ ، كما سبق أن أوضحنا ، فى محيط الاسرة .. أقصد أسرة التوجيه . وذلك بقصد صياغة التلميذ أو الطالب فى قالب جديد يدرك ، عن طريقه ، قيمة الحياة الاجتماعية وقداستها حتى يكون قادرا على تفهمها وتقبلها بروح مرنة غير متجمدة .. وهو فى ذلك يسعى وراء الانسجام الاجتماعى بصورة طليقة حرة خالية من القيود اللهم إلا قيود العقل الجمعى الذى يفرض أحكامه ويتطلب طاعته من أعضاء المجتمع .

فالمدرسة ، كجهاز إجتماعى ، عبارة عن جماعة بشرية كبيرة نسبيا .. أو عدة

جماعات صغيرة .. يكون التلاميذ والطلاب، بالضرورة، أعضاء فيها . والتلاميذ والطلاب ، كاعضاء فى هذه الجماعات ، يحاولون ، وهم يمارسون الحياة فيها ، أن يوفقوا بين تحقيق حاجاتهم الشخصية الاساسية وبين كسب ثقة هذه الجماعات وموافقتها .. حتى يتمتعوا بالحياة الطيبة التى تكفلها لهم المدرسة .. ويؤدوا ، فى الوقت نفسه ، لها وللمجتمع الكبير .. خارج المدرسة .. أحسن ما يستطيعون أداءه . وهم إذ يفعلون ذلك ، يتدربون على العمل الجماعى .. وعلى تحمل المسئولية ويتمثلون معنى احترام القانون وإطاعته، وادراك فكرة الحق والواجب، وممارسة الولاء .. أى أنهم .. أقصد التلاميذ والطلاب يجهزون تجهيزا سويا يساعدهم على تكوين المواطف التى يستطيعون أن يعيشوا على نهجها فى المجتمع الخارجى عيشة سعيدة نشطة فعالة لصالحهم ولصالح المجموع .

وفى ضوء المبادىء التربوية السليمة نرى الاهتمام بالبرامج من حيث الكم والكيف ومن حيث الضرورات الاجتماعية . كما نؤكد الاهتمام بالفروق الشخصية بين التلاميذ والطلاب من حيث التحصيل .. فضلا عن النشاط الشخصى الفردى النابع من الميول الخاصة لكل تلميذ وطالب .

وفى ضوء مبادئنا الاشتراكية لا يمكن ان نقر انعزال المدرسة عن المجتمع الكبير .. أو انعزالها عن اسر التلاميذ والطلبة .. اى اننا نرى الاهتمام باتاحة الفرصة للاباء والامهات ان يدخلوا المدرسة فى أوقات معينة ليتشاوروا فى مصالح ابنائهم وبناتهم ويتدارسوها . وفضلا عن ذلك نرى تأكيد الاستفادة من التدابير المدرسية الوقائية من سوء التكيف الاجتماعى كنظام الخدمة الاجتماعية المدرسية ونظام العيادات النفسية المدرسية .. حتى تحقق وظائفها بطريقة فعالة .

أى أننا نرى فى ضوء المبادىء الاشتراكية ، فى مجتمعنا ، أن المدرسة ، كجهاز اجتماعى ، يجب أن تهدف ، أول ماتهدف ، إلى ايضاح شخصية التلميذ أو الطالب ونموه ليصبح مواطنا اجتماعيا صالحا ... مواطنا اشتراكيا ، وذلك بتهيئة الفرص لاكتساب القدرات الخاصة والاستعدادات والمهارات الموجودة عند التلاميذ والطلبة لامكان تشجيعها وتنميتها ، واتاحة الفرص لتدريب التلاميذ والطلبة على التكيف فى الحياة الاجتماعية ، وعلى تكوين العلاقات السوية واكتساب المرونة اللازمة لمواجهة الحياة فى المجتمع الجديد ...

ومؤسسة شغل أوقات الفراغ ، كاحدى الجماعات الاجتماعية الأساسية ، جهاز اجتماعى يسهم ، أيضا ، مع الأسرة والمدرسة ، فى القيام بعمليات التنشئة الاجتماعية لأعضاء المجتمع .. ومن ثم فهى تكون ، بالضرورة ، مؤسسة تربوية قبل أن تكون مؤسسة رياضية ترويحية ... أو حتى ثقافية . ومؤسسة شغل الفراغ هى مجال هام جدا لرعاية الشباب فى المجتمع . ورعاية الشباب فى كل مجتمع لها اتجاهات ولها أساليب تحقق هذه الاتجاهات . ومجتمعنا الاشتراكى يتطلب ، بالضرورة ، اتجاهات معينة فى رعاية شبابه .. منها أن تكون الرعاية متكاملة ... وأن تكون شاملة ... أى تهتم بجميع الفئات ويكون اهتمامها بالقاعدة الشعبية أولى الاهتمامات ومن اتجاهات رعاية الشباب فى مجتمعنا الاشتراكى أن تكون الرعاية على أسس علمية سليمة ، وأن تهتم الرعاية بالخدمات الوقائية والانشائية أكثر من اهتمامها بالخدمات العلاجية ، وأن تعتمد الرعايه على التخطيط .. كل ذلك بقصد اعداد المواطن الصالح .. المواطن الاشتراكى .. فى ضوء عقائد مجتمعنا وقيمه الاجتماعية ومثله العليا .. فى كل القطاعات .. وفى محيط كل الفئات ..

وفى ضوء ماسبق فاننا ننفر من الرياضة كهدف ... وإنما هى وسيلة ... اقصد عمليـــة تربوية تهدف إلى تزويد الأغلبية الساحقة من أعضاء الشعب ، لا مجرد

بعض الأعضاء ، باللياقة البدنية والاخلاق القويمة ... وإلى أعدادهم مواطنين قادرين على التكيف الاجتماعى ازاء المواقف الاجتماعية التى يواجهونها حيثما يكونون .. قادرين على التفاعل الايجابى فى سبيل المصلحة العامة .. والخدمة العامة، مسلحين بقيم النظام والطاعة والكفاح والولاء ..

والولاء غير التعصب ، كما يعلم القارىء . اننا ننفر من التعصب للعبة معينة أو للاعبين معينين .. فالتعصب يعنى الحماس الزائد على الحد المبنى على اساس خاطىء والشعور بالخوف . وكل هذه عناصر سلبية لاتجدى سوى التوتر والحماقة فضــلا عن التعاسة فى محيط من يمارسونها . اننا إذ لاندعو إلى التعصب بآثاره البغيضة ندعو ، بالضرورة ، إلى تدعيم الولاء . فالولاء يعنى تبادل الحب والاهتمام والتقويم إلى الأصلح ، كما يعنى ازالة أسباب التوتر والحماقة والتعاسة .

وتتحقق اتجاهات رعاية الشباب فى المجتمع عن طريق المؤسسات والمنظمات المعنية بخدمة الشباب خارج المدرسة ، وهى تتضمن اللجنة الاولومبية والكشافة والمرشـــدات وبيوت الشباب والمعسكرات والرحلات والاندية الرياضية والوحدات الرياضية .. وكل هـــذه المؤسسات والمنظمات موجودة فى مجتمعنا الاشتراكى .. ولعل المؤسسات والمنظمات الاخيرة ... اقصد الاندية الرياضية والوحدات الرياضية تعتبر مثلا واضحا للمؤسسات والمنظمات التى تخدم ، فى معظم الأحيان ، أعضاء القاعدة الشعبية فى المجتمع . وتتكون الوحدات الرياضية من الأندية الريفية والساحات الشعبية ومراكز رعاية الشباب . ونحن نرى أن تكون هذه المؤسسات ، بحق ، مراكز الاشعاع فى البيئة ، ريفية كانت أوحضرية والحاجة ماسة إلى الاهتمام بها وتعميمها فى جميع أنحاء المجتمع الاشتراكى ...

ونحن نرى أنه لايمكن أن ننتظر أعضاء المجتمع حتى ينتظموا فى مؤسسة

شغل أوقات الفراغ .. اننا ، فى ضوء ظروفنا الثورية الحاضرة ، يجب أن نذهب اليهم حيثما يكونون .. ان العديد من الناس فى المجتمع لايتطوعون بالالتحاق فى النادى مثلا .. أو فى المحلة .. أو فى الساحات الشعبية . ان العديد من هؤلاء .. قد يكونون الجماعات خارج هـــذه المؤسسات التربوية .. فلنذهب اليهم ... ولاننتظرهم حتى يأتوا الينا ... أقصـــد فلنصل إلى من لا يمكن أن يصل الينا من هؤلاء .. ولنؤد واجبنا الاجتماعى (Reaehing The Unreached) أقصد نحقق نمو أعضاء هذه الجماعات ليكون نموا متزنا يتفق مع احتياجاتهم وهى احتياجات ، بالضرورة ، انسانية .. أقصد اشتراكية ، ويتفق هذا النمو أيضا مع قدراتهم .. وهى قدرات ، فى مجتمعنا الاشتراكى ، لا يمكن أن تقف عند حد أقصد أنها فى ازدياد دائما .. فى نمو مستمر . كل ذلك بقصد توجيه طاقاتهم .. أقصد أعضاء كل جماعة ، ليتيسر لهم أن يكونوا الشباب الأسوياء الذين نرغب فى وجودهم فى مجتمعنا الاشتراكى ، وأن يكون كل عضو منهم قادرا منتجا .. متعاونا .. متحديا للصعوبات .. مرحاً .. ســـعيداً راضيا .. مرضيا عنه .. صحيح الجسم معافى .. سليم النفس سويا ..

وفى ضوء ماسبق .. لعل القارىء قد أدرك أن الجماعات الاجتماعية الأساسية أى الجماعات التى تقوم بعمليات التنشئة الاجتماعية لأعضاء المجتمع .. لاتقتصر على الأسرة بأنماطها والمدرسة ومؤسسة شغل أوقات الفراغ فحسب . فهناك ، أيضا ، المنظمة السياسية .. وهناك كذلك ، منظمة العمل والمنظمة الدينية .. والمنظمة الثقافية .. وغيرها من الجماعات وكل الجماعات الاجتماعية الأساسية توجد ، بالضروره ، تحت ظل مناخ اجتماعى . أى أن وظائفها الاجتماعية تتحدد ، بالضرورة ، فى ضوء نوعية المناخ الاجتماعى الذى يظللها فى المجتمع الذى توجد فيه . فما المناخ الاجتماعى للمجتمع .. أى مجتمع إلا السمات العامة للاتجاهات الاجتماعية القائمة فى هذا المجتمع ، وخصوصاً ،

تلك التى ثبتت منها نسبيا فتبلورت فى عادات اجتماعية مرعية وقوانين ، ولما كانت المجتمعات مختلفة . . فان المناخ الاجتماعى يختلف ، بالضرورة ، من مجتمع لآخر حسب عقائد كل مجتمع وقيمه الاجتماعيه ومثله العليا .

وقد حدد « الميثاق » عقائد مجتمعنا الجديد وقيمه الاجتماعية ومثله العليا . . أى انه حدد سمات المناخ الاجتماعى لمجتمعنا الجديد. ونحن ، الشعب والحكومة، فى ضوء هذه السمات نبنى هذا المجتمع الجديد . ويعنى هذا البناء ، فى الواقع ، الغاء ادوار اجتماعية قديمة وتنحيتها، وخلق ادوار اجتماعية جديدة فى المجتمع ويترتب على هذه العمليات التاريخية بعض الظواهر . منها ظاهرة التغير السريع فى بنيان المجتمع ووظائفه . . أى ظاهرة التغير السريع فى التراث الاجتماعى بعنـــاصره الثقافية المادية وغير المادية . ومنها ظاهرة التفاوت فى درجة التغير فى كل من هذه العناصر . ومن مظاهر الظاهرة الأخيرة مايبدو ، فى بعض الأحيان ، من علامات القلق والاضطراب فى العلاقات الاجتماعيه بين اعضاء المجتمع . . اقصد الصراع بين القديم والجديد . ويتبلور هذا الصراع ، عادة، ويكون واضحا جليا بين القيم الاجتماعية القديمة المعوقة وبين القيم الجديدالتى تعكس، بالضرورة ،صور الظروف الاجتماعية الجديدة. وماالقيم الاجتماعية القديمة المعوقه الارواسب بالية لاتزال تعمل فى نفوس الناس وتوجه سلوكهم عن طريق العادات والتقاليد وبتاثيرها.

ولن تتأكد سمات المناخ الاجتماعى لمجتمعنا الجديد إلا بممارسة العقائد والقيم الاجتماعية والمثل العليا التى تخلق هذه السمات . ولن تتم هذه الممارسة بنجاح الااذا تمثل اعضاء المجتمع هذه العقائد وهذه القيم الاجتماعية وهذه المثل العليا . . أى إلا إذا أصبح لدى كل عضو من أعضاء المجتمع جهاز معين من هذه العقـائد والقيم والمثل العليا . . يمثل ، عنده ، أنبل الامور . . واقدس الأشيـاء ، ويبذل فى الدفاع عنه النفس والنفيس . ولن يتم ذلك الا اذا وجـد عند هـــذا الشخص الاستعداد ، والاستعـداد يعنى الضرورة الملحة الى وجود الاجهزة الاعـلامية

الرشيدة التى تدعو الى وجود هذا الاستعداد وتعمل جاهدة فى سبيل تنميته . . آخذة فى الاعتبار الصراع بين القديم والجديد . . أقصد أنماط هذا الصراع فى كل المجالات . . وفى محيط كل الفئات والجماعات . وحتى إذا وجد هذا الاستعداد ، فان الحاجة الى الامكانيات التى تساعد أعضاء المجتمع على أتاحه الفرصة للممارسة . . ضرورة حيوية وهذه الامكانيات ، بالضرورة ، اجتماعية . أى انها امكانيات توجد فى الجماعات الاجتماعية الأساسية . . أى فى الجماعات التى تقوم بعمليات التنشئة الاجتماعية لأعضاء المجتمع .

وفى ضوء ظروف مجتمعنا الحالية . . نرى أن الجماعات الأساسية لا يمكن أن تترك وحدها لتعمل . . انها فى مسيس الحاجة الى قادة اجتماعيين ثوريين . . اننا فى محيط الاسرة ، مثلا ، فى حاجة الى المربى الثائر والى الأخصائى الاجتماعى الثائر والى الاخصائى النفسى الثائر . . والى المشروع الثائر . اننا فى محيط المدرسة أو مؤسسة شغل أوقات الفراغ ، أيضا ، فى مسيس الحاجة الى بعض هؤلاء . ان أجهزة الاعلام الرشيدة تحتاج إلى قادة ثوريين كذلك . . فهى فى حاجة ماسة الى الفنان الثائر . . والى المفكر الثائر . . والى الأخصائى السياسى الثائر . ان الحاجه إلى قادة اجتماعيين ثوريين يؤكدها أننا نعيش فى ثورة اجتماعية عارمة . . ونحيا تجربة انسانية عظيمة . أى أن الحاجة ماسة ، فى ظروفنا الحالية ، الى قادة متخصصين بحكم تدريبهم العلمى وخبراتهم الثقافية ومصالحهم الشخصية . . قادة تكون صناعتهم الثورة الواعية التى تهدف الى مواجهة نتائج الثورة الاجتماعية التى نعيشها فى الوقت الحاضر حينما تكون هذه النتائج وحيثما تكون : فى الأسرة . . وفى المدرسة . . وفى مؤسسة شغل أوقات الفراغ . . وفى المنظمة السياسية . . وفى منظمة العمل . . وفى المنظمة الدينية . . وفى ميادين أجهزة الاعلام العديدة . . فى المجتمع المحلى وفى القرية وفى المدينة على السواء . .

والقائد الاجتماعى الثائر وهو يعمـــل مع الجماعات الاجتماعية الاساسية فى المجتمع ، أو يعمل من أجلها ، يكن الاحترام للناس . ولا يعنى هذا الاحترام مجرد أن يكون رجلا مهذبا . انه أكثر من ذلك . انه شعور عميق . انه عقيدة تؤكد أن كل إنسان جدير بالاعتبار . واحترام الناس يعنى عدم التمييز بين الناس فى ضوء نماذج سلوكهم البشرى . . أى مهما كانت صور هذه النماذج وأنماطها ، أو فى ضوء آرائهم أو اتجاهاتهم . . أو حتى أذواقهم - ولـكن الاحترام المقصود يعنى أنه مهما كان الشخص . . أقصد عضـو الجماعة . . ومهما كانت شخصيته . . ومهما كانت مكانته الاجتماعية . . فهو يستحق اهتمام القائد الاجتماعى كانسان . . كواحد من البشر . فالاحترام ، أولا وقبل كل شىء ، مفهوم إنسانى . . وهو ، أيضا ، مفهوم ديموقراطى . . وهو سبيل الى تطور الجماعات وأعضائها الى الأفضل . .

والقائد الاجتماعى الثائر وهو يعمـــل مع الجماعات الاجتماعية الاساسية فى المجتمع ، أو يعمل من أجلها ، يقبل أعضاء هذه الجماعات ، كما هم ، أى بصفاتهم الايجابية والسلبية على السواء . فتقبل الناس ، كما هم ، وكما عندهم من امـكانيات ييسر تكوين العلاقة بين القائد الاجتماعى وبين من يعمل معهم . وتقبل أعضـاء الجماعات ينبع من الشعور الحار نحو الإنسانية ككل ، وهو ينبع ، أيضا ، من الرغبة فى تخفيف أعباء المعاناة عن كاهل الانسانية . . أيا كان أعضاؤها . . ومهما اختلف أعضاؤها وتباينوا ، ومهما يكن فاعضاء الجماعة يشعرون بقبول القــائد الاجتماعى لهم إذا لم يكن مصدر تجريح لهم ، وان كان من حقه أن ينقدهم نقدا بناء ، أو أن يقيم لهم بعض الحدود . لا يوجد الشخص الذى يحـاول أن يرضى الآخرين إذا كان يحتقرهم . . ولـكن كل إنسان مستعد لأن يقوم بعمـل ما . . لأن يضحى بشىء ما . . من أجـل الناس الذين يعاملونه معاملة طيبة . فالقائد

الاجتماعى الثائر فى ضوء تقبل أعضاء الجماعة أو الجماعات الذين يعمل معهم ..أو حتى من أجلهم .. يستطيع أن يفعل الكثير . حتى لو كانت الجماعة التى يعمل فى محيطها جماعة من الاشخاص المنحرفين . . انه يستطيع أن ينجح فى تغيير جهاز قيمهم الاجتماعى .. من جهاز غير مقبول .. الى آخر مقبول ومتوقع ..

والملاحظ أن القائد الاجتماعى الثائر فى أثناء التفاعلات التى تحدث بينه وبين أعضاء الجماعة .. يهتم ، أول ما يهتم ، بالوسائل التى تساعد هؤلاء الأعضاء على أن ينموا .. وأن ينضجوا . . وطبيعى أن الجماعة باقية لأعضائها وليست للقائد الاجتماعى . ونلاحظ فى التطبيق أن العديد من الدوافع الشخصية الواعية وغير الواعية تؤثر ، بالضرورة ، على عمل القائد الاجتماعى دون أن يعى ذلك فى بعض الاحيان . وقد يظهر بعض المشاعر العميقة.. أقصد مشاعر القائد الاجتماعى.. على السطح فى اللحظات التى لايتوقعها ، مما يكون له أكبر الأثر على نظرته نحو الأعضاء الذين يعمل معهم . ومهما يكن فانه يجب أن يكون على بينة من مشاعره التى تؤثر فى كل عمل يقوم به . انه يجب أن يهتم ، فى كل الاوقات ، بنتائج مايقوم به من أعمال .. وبأن مايقوم به من أعمال يكون ، حقيقة ، فى سبيل مصلحة الجماعة وليس فى سبيل اشباع حاجة فى نفسه..أى أن يكون قادرا على أن يتعرف بدقة على كل ما يصدر عنه وعلى كل ما يصدر عن أعضاء الجماعة ، حريصا جدا على أن لايحابى عضوا من أعضاء الجماعة على حساب الأعضاء الآخرين . قد يحدث ذلك دون ما قصد. ومع ذلك فان حدث ذلك فان دوره فى محيط الجماعة ، ككل، قد ينحرف .. أقصد أنه لايستطيع أن يقوم بدوره كما ينبغى ، وربما أصبح دوره فى خبر كان . . أى لايؤثر التأثير الإيجابى المرجو . ان القائد الاجتماعى الثائر فى مجتمعنا ، فى الواقع ، يمثل هذا المجتمع .. وذلك بالاسهام فى القيام ببعض

العمليات الاجتماعية الضرورية فى هذا المجتمع : عمليات التنشئة الاجتماعية . وفى ضوء قيم مجتمعنا الثائر ومبادئه يعمل القائد الاجتماعى الثائر . ومن المؤكد أن العبء الملقى على عاتقه عبء جسيم . ان مجتمعنا الحالى ينتقل من مرحلة الى أخرى ان الرواسب البالية تحوم لا تزال فى المناخ الاجتماعى لمجتمعنا فى الوقت الحاضر. إن القيم الجديدة تتصارع مع هذه الرواسب البالية . ان القائد الاجتماعى الثائر الذى يعمل مع الجماعات الاجتماعية الاساسية فى مجتمعنا الحالى يحاول أن يؤكد . . أو يجب أن يؤكد القيم الجديدة ، ويجب أن يصارع الرواسب البالية فى محيط هذه الجماعات حتى يصرعها . ويعمل ذلك فى ضوء عقيدة وإيمان . ويتعاون مع غيره من القادة الاجتماعيين الثوريين ، فى المجتمع ، فى سبيل تحقيق ذلك ما استطاع الى ذلك سبيلا .

والقائد الاجتماعى الثائر الذى يعمل فى محيط الجماعات الاجتماعية الاساسية فى المجتمع هو ، أولا وقبل كل شيء ، شخص مسئول . أقصد أنه شخص لا يعمل لحسابه . . انه يعمل لحساب المجتمع ككل . أى أنه يعمل فى إحدى وحدات هذا المجتمع . . ومن ثم نجده يستمد سلطته فى العمل مع الجماعات وأعضائها من سلطة هذه الوحدة الاجتماعية التى تستخدمه . . والتى هو يمثلها . انه . . أى القائد الاجتماعى الثائر فى هذه الوحدة جزء لا يتجزأ منها . . فهو يمثل الفلسفة العلمية التى تنبعث منها أهدافها . . وهو يمثل ، أيضا ، سياستها وعملياتها العديدة . وهو اذ يفعل ذلك انما يعبر عن اعترافه بوظائف الوحدة الاجتماعية وعن قبوله إياها كاطار مرجعى له يحدد أمامه ما ينبغى عليه أن يفعله . ولا بد أن يكون القائد الاجتماعى الثائر قادرا على أن ييسر لكل جماعة يعمل معها التقدم والنهوض فى حدود قدراتها وفى ضوء هذه الاهداف وهذه الاغراض . ومن حق الجماعة

الاجتماعية الاساسية ، كجهاز اجتماعى ، فى ضوء خطة التنمية الاجتماعية للمجتمع أن تختار أنواعا معينة من الخدمات وأن تختار أولوية مكان معين دون مكان آخر .. أو فئة معينة دون فئة أخرى . ومن واجب القائد الاجتماعى الثائر أن يعمل على هدى كل ذلك .. ويكون واعيا بحدود مدى العمل المتاح، وحدود الاماكن التى تكون لها الاولوية ، وكذلك يكون واعيا بالاشخاص الذين يعمل معهم .. ويكون واعيا ، أيضا ، بالطريقة التى يتبعها لتحقيق الاهداف المرجوة ..

ويلاحظ ان القائد الاجتماعى الثائر الذى يعمل فى محيط الجماعات الاجتماعية الاساسية فى المجتمع يعمل دائما مع النـــاس .. وهو اذ يفعل ذلك يكون له ، بالضرورة ، علاقات وثيقة بالجماعات الأخرى فى المجتمع . والمجتمعات لاتثبت على حال .. أى انها متغيرة على الدوام .. اى انها مثل الاشخاص ومثل الجماعات دينامية . والقائد الاجتماعى الثائر يعيش فى المجتمع وهو يعمل . وهو فى ضوء حياته وعمله فى مركز مناسب يلاحظ منه صور التغـــير الإجتماعى التى تحدث باستمرار . خصوصا فى مجتمع كمجتمعنا .. أقصـــد المجتمع الذى يعيش فى فى ثورة اجتماعية ، ويحاول فى اصرار ان يواجه نتائج هذه الثورة الاجتماعية . وفى ضوء ملاحظات القائد الاجتماعى الثائر لألوان التغير الاجتماعى يستطيع ان يقوم مداها ، وفى ضوء هذا التقويم يستطيع ان يتعرف على الآثار الاجتماعية المترتبة عليها . ومن ثم يستطيع ان يقارن بين ماتقوم به الجماعة الاجتماعية الاساسية التى يعمل فيها . اقصد بين ما تقدمه هذه الجماعة من خدمات وبين مايحدث . وفى ضوء هذه المقارنة يستطيع القائد الاجتماعى ، وهو احدى عيون الجماعة الاجتماعية الاساسية التى يعمل فيها، ان يقترح خدمات أخرى جديدة، تتفق مع الظروف الاجتماعية القائمة . وربما فى ضوء ما يقترحه القـائد الاجتماعى تـغير الوحـدة الاجتماعية الأساسية من سياستها فعلا .

وإذا كانت الحاجة ماسة إلى قادة إجتماعيين ثوريين يعملون مع الجماعات الإجتماعية الأساسية حتى تستطيع أن تؤدى أدوارها فى تكوين المواطن الصالح فى مجتمعنا الإشتراكى .. المواطن الاشتراكى ـ فان الحاجة ماسة ، أيضا ، إلى حسن اختيار هؤلاء القادة والإختيار ، وحده ، غير كاف . فهم ، كقادة محترفين ، فى مسيس الحاجة إلى التدريب . والتدريب نوعان : تدريب نظرى وتدريب عملى . . والنوعان ، فى ضوء ظروف مجتمعنا الحالية ، ضروريان . فالقائد الاجتماعى الثورى فى كل المجالات .. يجب أن يحذق النوعين .. أى يجب أن يكون على دراية عملية مستخدما مواقف تطبيقية من المادة النظرية التى تكون مستواه النظرى .. ولنا فى قائد ثورتنا الرئيس جمال عبد الناصر أسوة حسنة . فهو قائد يعمل فى ضوء التنظير وهو ينظر فى ضوء الخبرات العملية .

وأخطاء التطبيق متوقعة .. لاننا فى مرحلة انتقال . أى أن تجنيد القادة الاجتماعيين الثوريين ، فى كل المجالات ، لم يتم حتى الآن . وأخطاء التطبيق أنواع .. منها ما قد ينتظر اتمام تجنيد هؤلاء القادة الاجتماعيين الثوريين . . ومنها ما يمكن تلافيه الآن .. ومعظم هذه الاخطاء ، ان لم يكن كلها ، نجده يتعارض مع بعض القيم الاشتراكية .. التى يدعو اليها الميثاق . ومن أمثلة الأخطاء الاولى ما نجده ، فى ميدان الطفولة .. صانعة المستقبل .. فمشكلة الاحداث الجانحين ما زالت قائمة .. أى أن التدابير الوقائية ، فى محيطها ، أثرها ضعيف .. وحتى العلاجية ، فى محيطها ، غير مجدية . ونجد ذلك فى مجال معاملة المرأة فى محيط بعض مناطق المجتمع ، وفى محيط بعض جماعاته الثقافية . ومن أمثلة الاخطاء الثانية نجد ذلك فى ميدان العلوم . . والعلم هو السلاح الذى يحقق النصر الثورى . . نجد الدعوة الى اتخاذ الاسلوب غير العلمى قائمة على صفحات جرائد الاتحاد الاشتراكى

مثلة « فى حظك اليوم » أو « بختك اليوم » ، ونجد ذلك فى مجال قيمة العمل . . أقصد القيمة الاجتماعية الجديدة التى يجب أن تحدد وحدها مكانة المواطن الصالح . . فى المجتمع الجديد . . حيث أوراق اليانصيب تباع وتشترى . . وحيث يبارك هذا البيع وهذا الشراء بعض الاجهزة الحكومية . . وذلك بصرف النظر عما تغرس هذه العمليات فى النفوس من السلبية والاعتقاد فى بعض الصور غير العلمية . . وعما يشجع المواطنين على الربح السريع .

ومهما يكن من الامر . . فإن حرصنا على أن تقل أخطاء التطبيق فى مجتمعنا فى المرحلة الانتقالية يدعونا الى طلب اتاحة الفرصة للعاملين الثائرين أن يتقدموا غير الثائرين . وان لم يكن ذلك متاحا فلا أقل من تيسير الاستماع لهم . . أقصد الاستماع لآرائهم . . فالهدف كل الهدف هو تكوين المواطن الصالح فى مجتمعنا . . المواطن الاشتراكى الذى يؤدى أدواره الاجتماعية كما يتوقعها منه المجتمع . . مهما كانت هذه الادوار الاجتماعية . . أقصد مهما كان مستواها الاجتماعى ، ومهما كانت مكانتها الاجتماعية ، ومهما كانت مجالاتها الاجتماعية .

الخاتمة

ان كتاب « الخدمة الإجتماعية ودورها القيادى فى مجتمعنا الإشتراكى المعاصر » مجهود فردى .. قام المؤلف بكتابته فى ضوء خبراته النظرية والعملية وعلى هدى مبادىء مجتمعنا المعاصر وقيمه ومثله العليا . . على السواء . وهو إذ يقدمه إلى أعضاء المجتمع المصرى العربى المعاصر .. لا يدعى أبدا ، ودون ما تواضع ، أنه الكلمة الاخيرة . انه محاولة .. جادة . . فى سبيل توضيح الدور القيادى لمهنة الخدمة الإجتماعية فى مجتمعنا . ومهنة الخدمة الإجتماعية ، كما يعلم القارىء ، هى ، أولا وقبل كل شىء ، مهنة إنسانية . . مجالها التطبيق العلمى . . وتهدف ، دائما ، إلى التغيير الافضل . . فى ظل مناخ المجتمع الذى تعمل فيه . . وتعمل له . . ، أى فى ضوء مبادىء هذا المجتمع . . وقيمه . . ومثله العليا .

وإذا كانت مهنة الخدمة الإجتماعية ، ولا تزال ، مهنة حديثة فى مجتمعنا . . فإن العاملين فيها من المحترفين .. ومن يعاونهم من المتطوعين . . كانوا فى ضوء الظروف التاريخية . . ، ولا يزالون ، الطلائع الثـورية فى الحقل الإجتماعى . والكاتب إذ يقدم هذا الكتاب .. فهو يقدمه لهم . . كما يقدمه لغيرهم من القادة الإجتماعيين الثوريين ، ولعله استطاع ، وبخاصة فى ضوء ظروف مجتمعنا المعاصر ، التعبير الصادق عما يبذله هؤلاء العاملون من أعمال . . وما يستطيعون بذله من أعمال .. فضلا عما يختلج فى صدورهم من آمال . . هى آمال مجتمعنا الكبار . . مجتمع الكفاية ومجتمع العدالة الإجتماعية . . المجتمع الإشتراكى .

مراجع الكتاب

أولا-المراجع العربية :

١ - ابراهيم المنوفى : الخدمات الريفية : دراسة غير منشورة ، ١٩٦٥ .

٢ - أحمد كمال وعدلى سليمان : الخدمة الاجتماعية والمجتمع - القاهرة ، مكتبة القاهرة الحديثة ، ١٩٦٣ .

٣ - أحمد عبد الحكيم السنهورى : أصول خدمة الفرد - القاهرة ، مكتبة القاهرة الحديثة ، ١٩٦٣ .

٤ - أدولف أرمان وهرمان رانكة : مصر والحياة المصرية فى العصور القديمة ، ترجمة عبد المنعم أبو بكر ومحرم كمال ، القاهرة ، مكتبة النهضة.

٥ - الآب عيروط اليسوعى : الفلاحون : ترجمة محمد غلاب ، القاهرة ، مطبعة الكوثر ، ١٩٤٣ .

٦ - السيد يس : دراسات فى السلوك الاجرامى ومعاملة المذنبين ، القاهرة، دار الفكر العربى ، ١٩٦٣ .

٧ - المركز القومى للبحوث الإجتماعية والجنائية : البغاء فى القاهرة ، القاهرة ، ١٩٦١ .

٨ - الميثاق وقانون الاتحاد الاشتراكى العربى - الدار القومية للطباعة والنشر ، ١٩٦٢ .

٩ - أنيس عبد الملك : خدمة الجماعة والريادة - القاهرة، مكتبة الشرق، ١٩٥٩ .

١٠ ـ أنيس عبد الملك وآخرون : خدمة الجماعة فى المجتمع الاشتراكى ، القاهرة ، مكتبة الأنجلو المصرية ، ١٩٦٤ .

١١ ـ جون لويس : مدخل الفلسفة ـ ترجمة أنور عبد الملك ، القاهرة ، الدار المصرية للكتب ، ١٩٥٧ .

١٢ ـ حسن الساعاتى وعبد الحميد لطفى : دراسات فى علم السكان ، القاهرة ، ١٩٦٢ .

١٣ ـ حمزة أحمد عوض : الحقوق الزوجية فى الاسلام (المجلس الأعلى للشئون الاسلاميه ـ دراسه غير منشورة ١٩٦٢).

١٤ ـ درويش محمد درويش المنزلاوى : دراسة إجتماعيه لمشكلة الأطفال غير الشرعيين (غير منشورة) اشراف سيد عويس ، ١٩٦٣ .

١٥ ـ سيد عويس : الأسرة المتصدعه وصلتها بجناح الأحداث ، أعمال الحلقه الأولى لمكافحه الجريمة للجمهورية العربيه المتحدة ٢ : ٥ يناير ١٩٦١ .

١٦ ـ سيد عويس : السلوك الانسانى : محاولة تفسيره: مجلة الخدمةالاجتماعيه أبريل ١٩٦٠ .

١٧ ـ سيد عويس : المرأة كسلعة : مجلة الهلال ـ أول مارس ١٩٦٥ .

١٨ ـ سيد عويس : تطبيق نظام الاختبار القضائى على الأحداث فى مصر ، أعمال الحلقه الثانية لمكافحة الجريمة للجمهورية العربية المتحدة ، ١٩٦٣ .

١٩ ـ سيد عويس : دراسه مقارنة بين حى بولاق وحى روكسبرى ، المجلة الجنائيه القومية ، نوفمبر ١٩٥٩ .

٢٠ - سيد عويس : دور المدرسة" وعمليات التربية خارج المدرسة في الوقاية من سوء التكيف الاجتماعي بين الشبان والأحداث الجانحين-المجلة الجنائية القومية نوفمبر ١٩٦٤.

٢١ - سيد عويس : رعاية المجرمين الكبار -مجلة كلية الشرطة،يوليو ١٩٦٤.

٢٢ - سيد عويس : مذكرات يوغسلافيه : انطباعات وحقائق وأراء - القاهرة ، ١٩٦٤ .

٢٣ - سيد عويس : من ملامح المجتمع المصرى المعاصر : ظاهرة ارسال الرسائل الى ضريح الامام الشافعى . . القاهرة ، دار الشعب ، ١٩٦٥ .

٢٤ - شريف حتاتة : البلهارسيا والعمل السياسى ، مجلة روزاليوسف،١٩٦٥ عدد ١٩٤٩ .

٢٥ - صالح الشبكشى : أسس خدمة الفرد ، القاهرة ، ١٩٥٩.

٢٦ - عبد المنعم شوقى : تنمية المجتمع وتنظيمه ، القاهرة ، مكتبة القاهرة الحديثة ، ١٩٦٣ .

٢٧ - عبد المنعم شوقى : مناهج الرعاية الاجتماعية فى المجتمع الاشتراكى ، القاهرة ، وزارة الشئون الاجتماعية

٢٨ - عبد المنعم هاشم وآخرون : العمل مع الجماعات . القاهرة ، مكتبة القاهرة الحديثة ، ١٩٦٠ .

٢٩ - عدلى سليمان : تطور اتجاهات التربية الاجتماعية بالمدرسة" فى ضوء الاشتراكية العربية . (أنظر الكتاب السنوى للتربية الاجتماعيه" ١٩٦٣).

٣٠ ـ فردريك أنجلز : أصل نظام الأسرة والدولة والملكية الفردية ، سلسلة الفكر الاشتراكى ، دار الفارابى .

٣١ ـ محمد شمس الدين أحمد : فن خدمة الجماعة فى محيط الخدمة الاجتماعية القاهرة ، ١٩٦٩ .

٣٢ محمد عبد الهادى بيومى ومحمد نبيه فودة : دور مكاتب الخدمة الاجتماعية المدرسية فى المجتمع (أنظر الكتاب السنوى للتربية الاجتماعية ١٩٦٣).

٣٣ ـ محمد كامل البطريق : الخدمة الاجتماعية مهنة ذات علم وفن — القاهرة ، ١٩٥٨ .

٣٤ ـ منصور ابراهيم حسين : التخطيط الاجتماعى داخل الاطار العام للتخطيط بجامعة الدول العربية ، لجنة التخطيط الاقتصادى والتنسيق الصناعى ، الكويت ، دراسة غير منشورة ١٩٦٥ .

ثانيا : المراجع الأجنبيه

1. Bowers, Swithun, "The Nature and Definition of Social Casework" in Principles and Techniques in Social Casework, New York, 1953.
2. European Seminar on New Methods of Working with groups, Finland, 1955,
3. European Seminar on the General Principles of Social Group Work, Sevères, Paris, 1959,
4. European Seminar on Training For Community Development, Athen, September, 1961
5. Fairchild, Henry, " Dictionary of Sociology and Related Sciences ", Littlefield Adame and Co., 1955.
6. Farrington, Benjamin, " Francis Bacon : Philosopher of Industrial Science" London, 1951.
7. Haldane, J. B. S., " What is Life ? " London, 1949.
8. Redfield, Robert. " The Folk Society ", in Sociological Analysis by Wilson and Kolb, New York, 1949.
9. Ross, G. Murry. "Community Organization : Theory and Practice ", New York, 1955.

10. Shalaby, M.M., " Rural Re-Construction in Egypt " Cairo, 1950.

11. Sprott, W. J., " Human Groups ", Great Britain, 1964.

12. Timms, Noel, " Social Casework — Principles and Practice " London. 1964.

13. United Nations : Study Kit on Training for Community Development, New York, 1957.

14. Vasilyev, M. and another, " Report From the Twenty First Century ". Moscow.

مطبعة المصري
٩ ش ابن زنكي محطة الرمل - ت ٣٢٧٤٠٦ اسكندرية